أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٧٨) شوال ١٤٣٦ هـ / أغسطس-سبتمبر ٢٠١٥م

الإدارة في الإسلام

- مناهج المحققين بين العرب والغرب
- الاتصال الجمعي في الإعلام الإسلامي
- الفطر.. عيد الفرحة
- وظيفة الشعر في التراث النبوي

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

الافتتاحية

القيادة بالفطرة

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

إن النوع الإنساني مضطر إلى التعايش والتآلف والإجتماع في إكمال المعيشة، وإتمام وانتظام البنيان، فيحتاج إلى قيادة تقيم أموره على التقدم والتطور، فإن استعمال الأنظمة واللوائح والوسائل الحديثة، وإن كانت من ضروريات العمل المؤسسي ومن بديهيات الإدارة العصرية فهي لا تستوعب حقيقة النجاح، وتحقيق الأهداف في القيادة والإدارة، فهناك جوانب أخرى في القيادي تكون موضوع ضرورة وأهمية للنجاح، فالصفات الفطرية الموجودة داخل القيادي والإداري قد تهيأت بطبيعتها الربانية للقيادة والإدارة، ومع المعرفة والخبرة تكفي للتفوق والنجاح.

فالفطرة والصفات الموهوبة مصدر ضروري للقيادي الناجح من خلال امتلاكه معالم النجاح من الاستيعاب والفراسة والنضج والصدق والأمانة والضمير اليقظ، وهي تلك الصفات التي اتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين، ويدل على هذا اختيار النبي ﷺ بعض القادة وتقديمهم على من هو أقدم منهم إسلاماً وأكثر علماً وورعاً للصفات الفطرية التي ولدت معهم.

والقيادة الحقيقية ليست أوامر ونواهي، ولا وسيلة بناء مجد ذاتي، وإنما هي تنفيذ أعمال من خلال الآخرين، وتحقيق الأهداف بأعلى كفاءة وأقل تكلفة وأسرع وقت، فبعض الناس يولد قائدًا ببراعة وموهبة، وبعضهم يتعلمون القيادة، وهناك أناس لا يستطيعون أن يملكوا زمامها، وهناك أناس لا يستطيعون حتى مجرد التفكير بأن يكونوا قادة، «كل ميسر لما خلق له» ويمكنك أن تلمس بعض هذه القيادة الفطرية في بعض قادة العالم العظماء من الشرق والغرب في القديم والحديث كعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين وغيرهم.

ومن ركائز القيادي الاعتماد على الذكاء الفطري والحسي، فهي علم وكياسة وذوق، وألا يكون بخيلاً ولا جاهلاً ولا جافياً ولا خائفاً، ويكون من الأقوياء في أبدانهم وعقولهم، والشفقة مع الآخرين والعناية بهم والتآلف والرفق، والرفق أصل في القيادة والإدارة، لأن القسوة إذا أفرطت نفّرت، وكذلك الرقة إذا أفرطت أطمعت، فخير الأمور الوسط، والقدرة على الاتصال والتواصل، فهي التي تفجر الطاقات داخل الناس، وتحول الأفكار إلى أفعال، ولأن الحياة الإنسانية في جميع صورها لا تقوم إلا بالتعاون، ولا تستقيم إلا بالنظام، ومن المهم ترك الغرور والاستبداد وإقصاء من قبلك ومن بعدك، والتغيير ممكن، ولكن بموضوعية وتشاور، دون الوعود الزائفة.

فيا أيها القيادي الناجح لا تتكلم دون تفكير، ولا تتهرب من المسؤلية، ووازن بين المصالح وحماية مصالح من معك، فالإخلاص والولاء والتفاؤل والحب من صفات القائد الناجح، وإن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا لمن يُبصره.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٧٨ | شوال ١٤٣٤ هـ
العام الخمسون
أغسطس - سبتمبر ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ -
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.gov.kw
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

أسس الإسلام قواعد صارمة وحاسمة للأمور الإدارية التي دعت إليها بعد قرون مختلف النظريات المعاصرة

١٠

حوار/ د. عبدالله بركات

٤٠

القرآن والتغيير النفسي

٦٠

الأدب الإسلامي ليس ضد الإسلام

٧٦

السيجارة.. قنبلة زوجية

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
- الكويت : ٥٠٠ فلس - السعودية: ٥ ريالات - البحرين : ٥٠٠ فلس - قطر : ٥ ريالات - الإمارات : ٥ درهم - سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن:دينار واحد - مصر : ٢ جنيه - اليمن : ١٠٠ ريال - لبنان: ٢٠٠٠ ليرة - سوريا: ٣٠ ليرة - المغرب : ١٠دراهم - الجزائر: ٤ دينار جزائري - تونس: دينار واحد تونسي - المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني - باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	الافتتاحية / القيادة بالفطرة	فيصل يوسف العلي
٦	تحقيق/ الفطر.. عيد الفرحة	محمد عبدالعزيز
٨	دعوة / وحدوا الله	د. طارق شلبي
٩	فعاليات/ عندما يتفقه الأدباء	التحرير
١٠	حوار/ د. عبدالله بركات	شريف أبوالوفا
١٣	خواطر/ كلمات كتبت في السماء	د. إبراهيم الحلالشة
١٤	أخلاق/ الإسلام والإتيكيت	رشيد الحسن
١٨	تراث/ مناهج المحققين بين العرب والغرب	د. فيصل الحفيان
٢٠	ملف العدد/ فن الإدارة في الإسلام	منى الموجي
٢٤	ملف العدد/ فئات المجتمع ودورها لتحقيق النهضة	هواري عبدالقادر
٢٦	ملف العدد/ من فنون إدارة الخلاف في الصف الإسلامي	د. سعيد باه
٣٠	ملف العدد/ الأخلاق التنموية.. مفتاح سري للأمة	أحمد مصطفى
٣٤	ملف العدد/ تأملات في الإدارة الناجحة	د. سلطان السهو
٣٥	خواطر/ الأدب	هنادي الشيخ
٣٦	دراسات/ رحبة مالك بن طوق في الطب والفقه والتقنيات	زبير سلطان
٤٠	دراسات/ القرآن والتغيير النفسي	توفيق سبع
٤٥	دراسات/ الاتصال الجمعي في الإعلام الإسلامي	د. عبدالعزيز شرف
٥٠	ثقافة/ الخيول العربية في الإسلام	جميل الأحمد
٥٢	لغة وأدب/ وظيفة الشعر في التراث النبوي	هاني إسماعيل
٥٦	لغة وأدب/ القول المأثور في الصواب المهجور (١٣)	عبدالله الأعشير
٥٨	لغة وأدب/ كسرة خبز	مياسة النخلاني
٥٩	لغة وأدب/ اذكر صباك	د. علي الفرسطائي
٦٠	لغة وأدب/ الأدب الإسلامي ليس ضد الإسلام	فوزي تاج الدين
٦٢	لغة وأدب/ نفس خضراء	محمد ثابت توفيق
٦٤	أنباء الكتب/ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية	بهيج سكيك
٦٨	تراث/ تقريب المأمول في ترتيب النزول	صالح عبدالفتاح
٧٠	أسرة/ الزواج ارتباط أسر لا أشخاص	بشرى شاكر
٧٢	أسرة/ السيجارة.. قنبلة زوجية	د. خالد النجار
٧٤	أسرة/ العدل الأسري.. بواعثه وثماره	عثمان إسماعيل
٧٦	تاريخ/ تفسير التاريخ في الإسلام	د. أحمد الشال
٧٩	رثاء/ الشيخ صبحي السامرائي رحمه الله	د. وليد المنيس
٨٢	تقارير/ المسلمون في اليونان	أحمد أبوزيد
٨٤	طب/ الفطور.. من حسناتها البنسلين	محيي الدين عواد
٨٨	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد محمد
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام/ التسامح.. مطلب إنساني	حسن بن محمد

كلمة العدد

الإدارة الواعية

تعد الإدارة الواعية أحد أبرز المفاهيم العصرية لتحقيق النجاح والريادة والإبداع، بدءًا من إدارة الذات، ومرورًا بإدارة المؤسسات، وانتهاء بإدارة المجتمعات.. لذا بات من الضروري إدراك أبعاد هذه المفاهيم ودرجة تأثيرها في الوصول للغايات.

والإدارة الواعية هي التي تحسن استغلال الطاقات لتحقيق الأهداف المرجوة، ولعل خير من استطاع تحقيق ذلك هم أنبياء الله ورسله- عليهم أفضل الصلاة والسلام- فقد حققوا العبودية الكاملة لله- عز وجل- في جميع شؤون حياتهم.

إن أساس الإدارة الواعية وضوح الرؤية فيما نريد أن نحققه، وأن تكون رسالتنا في الحياة ماثلة أمام أعيننا؛ حتى نصيغ الأهداف المشروعة ووسائلها وفق ميزان الشريعة الإسلامية، بحيث تتسم هذه الأهداف بالحيوية والفعالية.

ولكي نصل إلى إدارة واعية لابد من الإيمان بالله تعالى، فبالإيمان والتوكل عليه سبحانه نكسب الثقة بالنفس، كذلك العلم الذي ينور للإنسان مسيرته الحياتية، بينما الجاهل يتخبط كالأعمى لا يدري إلى أين يسير!

وهناك دراسات عديدة تكشف أن من يرسم خطة مستقبلية بعد تخرجه من الجامعة يكون التفوق والنجاح حليفًا له.. أمّا البقية كما هم عليه لم يستطيعوا أن يحققوا شيئا.

ويقال: «كلما فكرت كلما قدمت»، هذه المقولة العظيمة تؤكد أن التفكير هو الحياة، ولكن بالشكل الإيجابي الواقعي البعيد عن الخيال، والموازن بين العقل والعاطفة.

إذن، التركيز في الأعمال وعدم التشتت في الوصول للهدف يختصر عشرات السنين من التجربة والمحاولة، ويساعدك في الخروج برأي واع وسديد.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

تحقيق

أشكال مختلفة للاحتفاء به في العالم العربي

الفطر.. عيد الفرحة

محمد عبدالعزيز- القاهرة
دار الإعلام العربية

يأتي عيد الفطر المبارك حاملا البسمة الغائبة إلى نحو مليار ونصف المليار مسلم على امتداد العالم.. تتباين الوجوه والألوان والأجناس والألسنة، غير أن القلوب كلها متوحدة مجتمعة على ذكر الله، وقد جاءتهم الفرحة التي بشر بها الرسول ﷺ لكل مسلم عند فطره.. يتخذ الاحتفال بالعيد أنماطا متباينة، تميز طابع كل مجتمع وموروثاته الفلكلورية التي يتفرد بها عن غيره، لكن يبقى الطابع الأشمل لهذه الاحتفالات هو الفرحة التي لا تحتاج إلى ترجمة.

نبدأ جولتنا بقبلة العالم الإسلامي أجمع، من المملكة العربية السعودية التي يبدأ الاستعداد فيها لاستقبال عيد الفطر المبارك في الثلث الأخير من شهر رمضان المبارك، حيث تستعد الأسر السعودية لشراء الثياب الجديدة لأبنائها، فيكثر الزحام في الأسبوع الأخير من رمضان في المراكز التجارية ومتاجر الأحذية و«الإكسسوارات» لشراء الجديد الذي يملأ قلوب الصغار والكبار على السواء بالبهجة.

الأم السعودية يقع العبء الأكبر عليها، فتحاول التوفيق بين رغبات أبنائها، وبين تزيين البيت لاستقبال المعيّدين من الأهل والأقارب، وإعداد أو شراء بعض الحلوى والمأكولات المرتبطة بهذه المناسبة العظيمة.

تحت الاحتلال

يحل عيد الفطر في فلسطين وسط اعتداءات صهيونية متوالية لكسر إرادة المقاومة، غير أن كل هذه المحاولات تتكسر على صخرة الإرادة الفلسطينية.. وللعيد في أرض الانتفاضة على الرغم من حالة الانقسام التي يعانيها الفلسطينيون حاليا بهجة وحلاوة تكمن في فرحة وسعادة الأطفال، الذين ينتظرون قدومه لحظة بلحظة، فيرتدون ما تيسر لديهم من ملابس جديدة، وقد ارتسمت البسمة على وجوههم الصغيرة وسط ذويهم وأحبتهم.. تمتلئ المتنزهات بضحكاتهم، كما تتلألأ السماء بألعابهم النارية، وتشهد الأسواق ازدحاما كبيرا لشراء الألعاب الصغيرة الملونة.

وعلى الرغم من كل الهموم التي تقع على كاهل كل طفل فلسطيني، لتجعله يكبر قبل الأوان، ولتسلبه طفولته وحقه بالعيش كجميع أطفال العالم، وممارسة حياته الطبيعية في اللعب والتعليم، فإن كل ذلك لم يكن ليمنع الأطفال الفلسطينيين من أن يستيقظوا من نومهم باكرا في يوم العيد، يستعجلون الخروج من منازلهم إلى الصلاة، ومن ثم المتنزهات وزيارة الأقارب، ومنهم من يتوجه إلى مقابر الشهداء التي تزايد عددها لكثرتهم.

في الخليج

وتتشابه أجواء العيد في معظم دول الخليج العربي، حيث تتقارب العادات والتقاليد المحافظة التي يتحلى بها الخليجيون، ففي سلطنة عمان اعتاد الناس في عيد الفطر الذهاب إلى المتنزهات والحدائق، بغرض الترفيه عن أنفسهم، وفي ولاية عبري- على سبيل المثال- يحتفي المسلمون بالعيد من خلال صلة الأرحام وإقامة الولائم الجماعية، وإحياء الموروثات الشعبية، بإقامة الأهازيج والفنون المتوارثة وسباقات وعروض الخيل والهجن، وغيرها من الحفلات الفنية. كذلك يحرص العمانيون على إقامة الموائد الجماعية وغيرها من الأساليب الاحتفالية التي يعبر بها المسلمون عن فرحتهم الرشيدة، كما أوصى الله تعالى بذلك.

أما في مملكة البحرين فتتحول الشوارع إلى لوحة مضيئة بالبهجة،

حيث يخرج الجميع بعد أدائهم صلاة العيد لزيارة الأهل منذ الصباح الباكر وتناول الحلوى والمكسرات والقهوة البحرينية الأصيلة، كما تضفي حركة الأطفال على جو العيد بهجة وبراءة، فتراهم جماعات تخرج من بيت لتدخل في آخر بحثا عن «خرجية» المهنئين، وقد اختلفت مظاهر العيد في البحرين عما كانت عليه سابقا، فمثلا اختفى ما كان يعرف بـ«يوم الزينة»، وهو آخر يوم من شهر رمضان المبارك، الذي يخرج فيه الأهالي، لتهنئة الحاكم والأمراء والجيران بقدوم العيد، لكن بقيت أبواب المنازل والمجالس مفتوحة لاستقبال المهنئين.

وفي قطر، تزين الشوارع والمحلات التجارية بالأضواء والزينة، وتقام المهرجانات الخاصة بالعيد، ويحرص رب الأسرة على اصطحاب أبنائه لأداء صلاة العيد، بعدها يبدأ في تبادل التهاني، وتعود النساء إلى بيوتهن، حتى يتم الإعداد لاستقبال الأهل والضيوف.. وللعيد في قطر وليمة خاصة يتم إعدادها لأهل البيت وللضيوف، وتعد من الصباح الباكر، وهي عبارة عن طبق «المكبوس»، وفي العادة يعدها البيت الكبير (بيت العائلة)، حيث الجد والجدة، وهو البيت الذي يجتمع فيه أفراد العائلة، ويقصده المهنئون، هذا بالإضافة إلى الحلويات والفطائر، المعدة مسبقا، والمجهزة على سفرة خاصة بالضيوف، وقد اعتاد الناس أن يشتروا الملابس الجديدة خاصة للأطفال، أيضا الكبار. نساء ورجالا. يحرصون على لبس الجديد قدر الإمكان، وبالنسبة لملابس البنات، لا يوجد زي محدد في العيد، سواء للصغار أو الكبار، المهم أن تكون ملابس جديدة وبهية، فالصغيرات

أطفال اليمن يحرقون الحطب فرحا بقدوم العيد وحزنا على فراق رمضان

تلبسن الفساتين، والفتيات تلبسن الملابس العصرية، أو الجلاليب المطرزة، أما الصبيان والرجال فيلبسون الثياب التقليدية: الثوب والغترة والعقال، ومنهم من يلبس «البشت» فوق الثوب.

بينما يحتفل الجميع في الكويت بالعيد رجالا ونساء وأطفالا، فعقب الصلاة يجتمع الرجال في «الصفا» لتبادل التهنئة وقضاء أوقات طيبة مع تناول القهوة، لكن القهوة لا تسبق «الواجب»، فبعد الانتهاء من صلاة العيد يتوجه الجميع أولا إلى الاجتماع في البيت الكبير ليتلاقى أفراد العائلة، ويتبادلون التهنئة بالعيد، وقد تمضي العائلة مجتمعة في هذا البيت نحو نصف النهار، وقد يمتد بهم الأمر إلى عصر اليوم الأول من العيد، وفيما مضى اعتاد الرجال التجمع في الديوان لتناول غداء العيد المكون من اللحم والحشور والخبز، توضع على صواني كبيرة ليجتمع حولها ستة أو سبعة من الرجال، كما تقدم الحلوى الكويتية الخاصة بالعيد وهي «شعر البنات» التي تصنع على شكل الشعر الطويل، كما يقدم معها «الهريس» وهو نوع آخر من أنواع حلوى العيد، والعيدية أيضا جزء مهم من فعاليات العيد يحرص الجد الكويتي والأب كذلك على منحها للأبناء والأحفاد كلّ على قدر سعته وإمكاناته المادية.

في اليمن

يستقبل اليمنيون عيد الفطر ببهجة كبيرة، فيستعدون لاستقباله مع انتصاف شهر رمضان بتجهيز الحلوى وتفصيل الثياب الجديدة، ومن العادات المتوارثة للعيد في اليمن انشغال الصغار والكبار بجمع الحطب، ووضعه على هيئة أكوام عالية، ليتم حرقها ليلة العيد تعبيرا عن فرحتهم بقدوم عيد الفطر السعيد، وحزنا على فراق رمضان، بينما تسهر النساء ليلة العيد حتى الصباح ليهيئن بعض المأكولات التي تقدم صباحا للضيوف، وعندما يعود رب الأسرة بعد أداء صلاة العيد، تستقبله الزوجة والأبناء وهم في أجمل زينة وهيئة، ويتناولون الإفطار، قبل أن يخرجوا لمعايدة الأقارب والجيران.. سكان العاصمة اليمنية صنعاء يبدأون قبل أيام من حلول العيد بمغادرة المدينة عائدين إلى قراهم ومدنهم الأصلية.

في المغرب العربي

تتقارب عادات دول المغرب العربي في الاحتفاء بعيد الفطر المبارك، فيحرص المغربيون على شراء الملابس الجديدة خاصة للأطفال، فتنشط حركة البيع والشراء في المغرب في اليومين اللذين يسبقان العيد، ويحرص الرجال صباح يوم العيد على اصطحاب أبنائهم إلى المصليات التي تمتد في ساحات واسعة لأداء الصلاة، ثم يبدأون في توزيع زكاة الفطر على المحتاجين، بينما تظل معظم السيدات في المطبخ لإعداد طعام الإفطار، وعادة ما يكون من الحلويات الخفيفة. بينما يستقبل التونسيون العيد بحفاوة مبالغة، فتعم مظاهر الاحتفال والفرحة شوارع البلاد، في محاولة للتصدي لمحاولات البعض عزل الشعب التونسي عن أصالته وهويته، لذلك تجتهد كل العائلات للاحتفال بالعيد، وتنشط سوق صناعة الحلوى التقليدية خلال أيام العيد.

دعوة

وحّدوا الله!!

الدكتور طارق شلبي
الأستاذ بجامعتي عين شمس وأم القرى

ما أكثر ما نسمع هذا الأمر فنردد: «لا إله إلا الله» ومقصد المتكلم تبديد حزن السامعين، أو امتصاص غضبهم، ولا نسأل أنفسنا: هل نستشعر جلال هذه الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد أم لا؟ هل تترك أثرًا «حقيقيًا» على سلوكنا عندما نقولها، أم أنها مجرد ترديد باللسان دون بذل الوعي اللازم من الأذهان؟

«ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وأن لا إله إلا الله لأهل الدنيا(١)، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أباها فماله ودمه هدر، ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله» (٢).

ومن فضائل «لا إله إلا الله»: أنها ثمن الجنة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة، وهي نجاة من النار: وهي توجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا، وهي تجدد ما درس من الايمان في القلب، وترجح بصحائف الذنوب، وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها، وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزا من الشيطان، وهي أمان وحشة القبر وهول الحشر، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم.

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها، هذه عناوين الفضائل التي ذكرها ابن رجب في رسالته، واستدل لكل واحد منها(٣).

ولا تنفع «لا إله إلا الله»: قائلها - إلا بشروط، منها:

- العلم بمعناها نفيا وإثباتاً، فمن تلفظ بها وهو لا يعرف معناها ومقتضاها فإنها لا تنفعه؛ لأنه لم يعتقد ما تدل عليه، كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها.
- اليقين وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.
- الإخلاص المنافي للشرك، وهو ما تدل عليه لا إله إلا الله.
- الصدق المانع من النفاق، فإنهم يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.
- المحبة لها ولما دلت عليه والسرور بذلك، بخلاف ما عليه المنافقون.
- الانقياد بأداء حقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلباً لمرضاته، وهذا هو مقتضاها.
- القبول المنافي للرد، وذلك بالانقياد لأوامر الله وترك ما نهى عنه.

والمراد اعتقاد معنى هذه الكلمة الإلهية والجملة القدوسية بالقلب السليم عن الشرك السقيم، وأما التلفظ بها باللسان مع الجهل بمرادها والعمل بمقتضاها، فليس من إخلاص التوحيد في صدر ولا ورد، ولا ينفع ذلك نفعا، ولا يغني من عذاب الله شيئًا، ولا يكشف ضرًا» (٤)، وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بخصوص هذه الكلمة(٥).

ومن عنايته بشأن التوحيد مع الصغار: ما أخرجه الترمذي عن أبي رافع قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة»(٦).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وسر التأذين أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها»(٧).

نسأل الله أن ينفعنا بهذه الكلمة العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يكون ذكرها باللسان تحريكًا لقلب غافل وتقويمًا لسلوك معوج ونشرًا للسكينة والطمأنينة في مجتمع مضطرب.

الهوامش

١- كلمة الإخلاص لابن رجب، ص ٥٢-٥٣.
٢ رواه مسلم، حديث رقم ٢٣.
٣- رواه مسلم، حديث رقم ١٩.
٤- الدين الخالص: صديق حسن خان- القاهرة - مطبعة المدني ص ١٨٧.
٥- انظر كلمة الإخلاص، ص ٥٢ -٥٣، وفتح المجيد، ص٩١، ومعنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع، ص ١٩.
٦- «الجامع» (١٥١٤). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
٧- «تحفة المودود في أحكام المولود» (ص٢٢).

عندما يتفقَّه الأدباء

التحرير

أعرب الوكيل المساعد للعلاقات الخارجية والحج رئيس منتدى الأدب الإسلامي بالمركز العالمي للوسطية د.مطلق القراوي عن تفاؤله بما يقدمه المنتدى من نشاط جماهيري مكثف جدير بترسم منارات أدبية على طريق الارتقاء بالذوق، وتلمس مواطن الجمال في الكون والحياة وإنعاش ذائقة محبيه.

جاء ذلك خلال تنظيم المنتدى لمجلسه الأدبي الشهري الشهر الماضي تحت عنوان «عندما يتفقه الأدباء ويتأدب الفقهاء» للشيخ حمد الكندري، وشدد الكندري على أن كمال المعرفة للإنسان يكمن في مجموعة من المسارات التي يتحتم اجتماعها ما بين الجسد والروح، فصلاح الجسد وقوامه يكون بالطعام والشراب والرياضة، وصلاح العقل يكون بالعلم، وصلاح الروح بالأدب، وفي حال اجتماع العلم والأدب تكمن الشخصية السوية.

وأوضح الكندري أثر الأدب في كمال الشخصية، وضرب الأمثلة ليعطي النماذج من حياة سلفنا الصالح الذين كانوا في حرص شديد على التزود بالأدب، مع عدم التغافل عن جوانب اكتمال الشخصية بالعلم النافع وطرُق مسالكه.

وبين حرص الفقهاء قديمًا وحديثًا على تذوق الشعر الحسن لما له من ملكة تهذيب الطباع، وتغذية روافد الفكر السليم، ورفع للذوق الصحيح، مع رفعة شأن قائله، وأورد نماذج حية كقصة ابن عباس رضي الله عنهما مع عمر بن أبي ربيعة، وكيف حرص هؤلاء على تمثل اللفظ الشريف كممر آمن لكمال الشخصية.

وقال الكندري: إن كثيرًا من علماء الأمة حرصوا على تعلم الأدب، ترويحًا للنفس، وتسرية للروح، لتعاود النشاط من جديد، وتقبل على العلم بجدية، واعتبروها بمنزلة ساحات من الترفيه المشروع، وقدروا أثر حلو الفكاهة في معاودة النفس نشاطها والجسم حيويته، فكان لزامًا وجود فضاء رحب تجول فيه النفوس وتنسج الخيال، فيدرك المرء الخير والصواب.

واستعرض صورًا من شعر الفقهاء، وكيف كان تذوقهم لتلك المعاني، وتجاوبهم مع المعنى اللطيف، وبيّن ولعهم بالشعر بأن كان يفتتحون مؤلفاتهم الشرعية مستشهدين ببعض الأبيات لمشاهير الشعراء، لتوصيل المعلومة، والربط بين الأحكام الفقهية والواقع، كما في علم الحديث وفي الحدود وتطبيقاتها.

حوار

الدكتور عبدالله بركات العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر:

لا يخلو زمان ولا مكان من هجوم على الدعاة والصالحين

أكد الدكتور عبدالله حسن بركات العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية، وأستاذ الأديان والمذاهب بجامعة الأزهر الشريف على عدد من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، موضحًا أن تعرّض الداعية للاتهامات وحملات التشويه أمر طبيعي سبق أن تعرّض له الأنبياء والصالحون في كل الأمم.. وتطرّق إلى أهمية أن يتصدى الإعلام الإسلامي بهدوء واحترافية لحملات التشويه، ولا يقف فقط موقف المفند لما يتعرض له من اتهامات.. بل عليه أن يبادر بتوضيح سماحة الإسلام والدفاع عن علمائه، داعيًا في هذا الصدد المؤسسات الإسلامية الكبرى وعلى رأسها الأزهر الشريف لأن تتولى هذه المهمة.. إلى غير ذلك من التفاصيل التي تهم كل مسلم، نتعرف إليها في سياق الحوار التالي.

• لفضيلتكم باع طويل في مجال الدعوة.. كيف ترى المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في الوقت الحالي في ظل ما يتعرّض له رموز العمل الدعوي من هجوم وتجريح شخصي متواصل؟

- أهم المواصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعون إلى الله هي العلم والقدوة، فبدون العلم هو داع لا يصلح لهذا المقام، وبدون القدوة الحسنة هو كأهل الكتاب الذين ذمهم الله في كتابه حينما قالوا ما لا يفعلون، وقد حذّر الله من مصيرهم، وهذا لا علاقة له بالتطاول على رموز الدعوة من عدمه، فالمنافقون آذوا الرسول ﷺ والعلماء من بعده، ويسجل القرآن الكريم سنة سلوكية حين يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.. وهناك بالطبع صفات أخرى، منها حسن الصلة بالله تعالى والتوكل عليه وحده، ومن ثم «الإخلاص» بأن يقصد بدعوته وقوله وعمله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته، وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر.. ومن صفات الداعية أيضًا «الحلم»، فالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تكون بالمعروف، لا غلظة فيها ولا شدة ولا تعالي ولا توبيخ أو تقريع.. أيضًا على الداعي أن يقول الحق ولو كان مُرّا، وكان الرفق من أخلاق الصالحين وأسلوبهم الأول في الدعوة إلى الله.. ومن الطبيعي

أيضًا أن يخالط الداعية الناس، فالمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.

أما إذا كان المتصدر للدعوة والقائد لمسيرتها ممن يفتقر إلى القدوة والعلم، إضافة إلى الصفات الأخرى فإنه خارج عن هذا الإطار، ويتحمل وزر ما أصابه لتقصيره واعتدائه، وقد جاء في الحديث «رحم الله والدًا أعان ولده على بره».

استهداف الدعاة

● أحيانًا نفاجأ بسقطات لبعض الدعاة يستغلها المتربصون للتشهير بكل من يمارس العمل الدعوي والهجوم على الإسلام؛ فما نصيحتك بهذا الشأن؟

– الهجوم على الصالحين من الدعاة لا يخلو منه زمان ولا مكان، لكن العبرة هل أوفى الداعية بواجبه أم لا؟ فإن كان قد وفى فلا يعيبه ما يصيبه، بل هو في ميزان حسناته وتتحول اللائمة على من سبوه وانتقصوه.. أما إذا تحوّل المنتقصون للنيل من الإسلام بهذه الهفوات فهو اعتداء ظاهر واضح، وافتراء للكذب، ومحاربة لدين الله، وكفاهم بهذا «سبة»، وأما إذا كانت الزلة والهفوة لا يتعداها الناقد في بيان الصواب والخطأ حسب فهمه؛ فهذا حق لا يلام عليه، فالدين النصيحة للعالم والحاكم والمحكوم على حد سواء، وأذكر هنا أنه ليس في الناس من له الحسنى فقط، وأنه كفى بالمرء نبلًا أن تعد معايبه، فكل الناس يخطئون ويصيبون، وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

● وهل قصر الإعلام الإسلامي في أن يكون له القدرة على صد هذا التشويه عن الدعاة وعن الإسلام؟

– الإعلام الإسلامي بصفة خاصة والعطاء الدعوي بصفة عامة لن يرقى إلى حد الكفاية وأداء الأمانة إلا إذا عاد الأزهر إلى دوره، وهذه العودة تحتاج إلى كل الأطياف المسلمة ليصهرها في بوتقة الإسلام التي لا ترى إمامًا غير رسول الله ﷺ، ولا دستورًا قاطعًا غير القرآن الكريم، مع التزام أدب الخلاف في النصوص المحتملة، أما في ظل الفضائيات المتصارعة والإعلام الذي يخضع لتوجهات بعينها، أو لرأس المال فمن الطبيعي أن يكون هناك تقصير، ليس فقط في صد التشويه الذي يطول الدعوة وعلماءها، بل أيضًا يقصر في أن يبلغ الرسالة على الوجه الأكمل؛ لذلك أدعو المؤسسات الإسلامية الكبرى وعلى رأسها الأزهر الشريف أن تقود زمام المبادرة لإدارة إعلام إسلامي قادر على تحمل المسؤولية.

● هل يمكن أن يستمر الخوف على الإسلام من ظهور مذهب هنا أو هناك يؤثر في عقيدة أبنائه؟

– لا خوف على الإسلام في الأساس، فالله ناصر دينه، وما محاولات الأعداء للنيل من الإسلام إلا ضربات طائشة لن تجدي نفعًا، ولن تحقق هدفًا مهما اجتمعت أياديهم وبذلوا من مال وجهد لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، لكن الخوف إن صح فإنما هو على المسلمين، أصدقوا الله أم لا؟ فإن فعلوا نصرهم الله وأعزهم وقواهم ورفع شأنهم، وإن تولوا يستبدل الله قومًا غيرهم، ولا يكونوا أمثالهم، فمن خاف فليخف على نفسه.

إذا أحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه فلن تجد في المجتمع فقيرا أو محروما أو مكلوما

الولاية لله

● لكم تجربة إعلامية كمقدم برامج بإحدى الفضائيات الإسلامية.. فما مواصفات الإعلامي الإسلامي؟

– الإعلام والدعوة صنوان، تختلف الوسيلة وتتحد المعايير في فن البلاغ، غير أن الإعلام بعمومه يهتم بالحرفية والشكل دون المضمون، ويقصد الإثارة ولا تعنيه الثمرة الإيجابية، بينما الدعوة محصورة في الخير، وسيلة وغاية لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فلا يجوز للداعية على منبره أو الإعلامي إلا أن يكون صادق اللهجة، حريصًا على البناء لا الهدم، وتحقيق الإيجابيات والقضاء على السلبيات، وأن يستر العيوب ويجسد المحاسن، إلى آخر القيم الإيمانية.

● وهل تتوافر هذه الصفات حاليًا في الفضائيات العربية خاصة الإسلامية منها؟

– المتاح ليس كله مؤهلًا، ومن ثم يصبح لدينا خطأ مركب.

• عندما وقع القتال في غزوة بدر قاتل الصحابة أقاربهم وإخوانهم وعشيرتهم من المشركين ولم يخافوا في دين الله لومة لائم، بماذا تفسر عقيدة هؤلاء الصحابة؟

– الإيمان يجعل الولاية كاملة لله ولرسوله والمؤمنين، ومن ثم فإن المؤمنين لا يوادون من حاد الله ورسوله، وكل من يحاد الله ورسوله توعده الله بالذلة والهوان في الدنيا والآخرة، فلما رفض الصحابة الكرام مودة من حاد الله ورسوله، كان من الطبيعي أن يطيعوا الله فيما أمرهم، ولو بقتال الآباء والأبناء، فلا طاعة إلا لله، ولا حرص إلا على مرضاته، ولا ولاية إلا في ظل الإيمان به.

• وهل يمكن أن يظهر بين المسلمين اليوم أو غدا هذا النموذج الصحابي؟

– كل من ذاق طعم الإيمان وحلاوته لا يستطيع إلا أن يكون مع الله ومع رسوله والذين آمنوا، فيتعاون مع إخوانه على البر والتقوى ويجاهد الكفار والمنافقين ولا تأخذه في الله لومة لائم، فإن تحقق الإيمان يتحقق معه هذا النموذج الصحابي، وإن تخلف الإيمان لا يستطيع الإنسان أن يرقى إلى هذا المقام.

• ما القاعدة التي يجب أن يستند إليها المسلمون حال حدوث خلاف بينهم حول مسألة فقهية أو قضية شرعية؟

– الدين مرجعية أهل الإيمان، وهو يشتمل على جزأين، نص قطعي الدلالة، وهذا لا مجال للرأي والاجتهاد فيه ولا يملك المسلم عالمًا كان أو متعلمًا إلا أن يقول معه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أما الثاني وهو النص

محاولات الأعداء للنيل من الإسلام ضربات طائشة لن تجدي نفعا

المحتمل الظني الدلالة، فلا ينبغي أن يتعرّض له إلا العلماء الثقات القادرون على استنباط الحكم التكليفي من أدلته الشرعية لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾، فإن تعددت الفهوم لهؤلاء العلماء فلا ينبغي أن يتصارعوا أو يتعصبوا لفهم دون الآخر، إنما يتخيروا ما يتوافق مع ظروفهم وإمكاناتهم، فالدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وإذا اختار الحاكم أحد الفهوم ارتفع الخلاف.

تكامل الآراء والفهوم

• هل وصل علماء اليوم باجتهادهم الفقهي إلى فهم الواقع وملاحقته والبحث عن الحكم الشرعي المناسب؟

– قلّ أن تجد العالم الذي يصل اجتهاده الفقهي إلى فهم الواقع في عصرنا الحالي، ولتعدد التخصصات الدقيقة في ثقافة التعليم اليوم، فإنه يُغني عن هذا العالم «الفتوى الجماعية» فيما يسمى بالمجامع الفقهية والعلمية، وبتكامل الآراء والفهوم بين علماء هذه المجامع نقترب من فهم الواقع وعالمه وملاحقته.

• الفقر أهم المشكلات التي تعاني منها المجتمعات التي شهدت تغييرات في الآونة الأخيرة.. كيف عالج الإسلام هذه المشكلة؟

– مشروع الإسلام الرئيس بناء الإنسان الصالح المصلح، وإذا تحقق ذلك وعاش المسلمون إخوة كما أمر الله، وأحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، فلا يمكن أن تجد في مجتمعه فقيرًا أو محرومًا أو مكلومًا، وما عالج الإسلام مشكلة الفقر بعد الهجرة إلا بالإيثار الذي كان ثمرة الإخاء الذي جسد معلم الإيمان.

• وكيف ترى الطريق الآمن لمواطني هذه المجتمعات؟

– الالتزام والصدق والأمان هي أساس الإيمان، فإن عادت هذه المجتمعات إلى ربها واستقامت على دينها حُلّت جميع مشاكلها، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

• أخيرًا.. المرأة والطفل هما عماد الأسرة المسلمة، كيف يمكن تنشئتهما على العقيدة السليمة وأخلاق الإسلام حتى تنعم الأسرة بالاستقرار وتعود إليها المحبة؟

– غابت المرأة المسلمة بنتًا وزوجًا وأمًا أو غيبت عن عمد، فما عرفت دينها ولا رسالتها منه إلا من رحم الله، فأدركنا ثمرة مُرة تجسدت في أطفال الشوارع وشباب الشوارع وفتيات الشوارع وعلاقات الشوارع.. والإسلام يدعو إلى الاهتمام بالمرأة أنثى في حد ذاتها، أو أمًا لها برها، أو زوجة تتحقق السكنى إليها، أو بنتًا هي أم أبيها، ألم يتعرف المجتمع على تلك المعاني ويتربى عليها؟!

كلمات كتبت في السماء

د. إبراهيم الحلالشة ●

كثيرة هي الرسائل التي أود أن أوصلها إلى إخواني الشباب، وعظيمة هي المشاعر التي أحملها في قلبي لهم، فما إن هممت بكتابة رسالة لهم حتى تزاحمت الخواطر على عتبات أفكاري، وتراقصت الكلمات بين يدي لأخطب أجملها وأرقها وأرشقها، وأدعوها لحفل شعري وعرس نثري، فتنتظم أمام العيون كأنها النجوم في الفضاء، أو الأقمار في السماء، في مقالة مقتضبة قصيرة لم أجد لكتابتها وقتا سوى أثناء سفري في الطائرة وأنا فوق السحاب.. ولذا.. هي كلمات كتبت في السماء..

في السماء نجوم لامعة متلألئة، كبيرة عملاقة، نأت عن أرضنا كثيرا، واتخذت منها مكانا قصيا.. فهي جميلة وهي بعيدة، لطيفة وهي بعيدة، هي زينة وهي بعيدة، لا نرجو القرب منها بالرغم من جمالها، وضيائها، وجلالها.. وبعض الآمال والأمنيات، وبعض ما نحب ومن نحب يكتسب جماله من بُعده، وحضوره من غيابه، وجاذبيته من تمنّعه ودلاله، فلا تذهب نفسك على بُعده حسرات، وتمتع بالشوق إليه والفقر إليه والسعي إليه..

في السماء شمس تحترق.. تتفجر.. تتفطر.. لتشع النور، وتنشر الضياء، وتدفئ الخلق، بل تحقق التمثيل الضوئي في النباتات حتى نتنفس من هواها، ونأكل من جناها، لأنها تحترق من أجل سواها.. هي نور بذاتها في الصباح، وبقمرها في الليل.. فالقمر صورة للشمس الحبيبة، معلقة على جدار السماء، ننظر إليه كلما طال غياب الشمس واشتد هجير الشوق إليها.. ليعكس لنا وجه الشمس الجميل وضياءها المنير..

في السماء الغيوم الساقيات، الرائحات الغاديات، المعصرات المطرات، المبرقات المرعدات، تحمل الأطنان من الأثقال وهي خفيفة، تشبه الجبال شكلا وحجما، ولكنها في السماء، يعزف البرق على أوتارها لحن الرعد القوي المجلجل، إلا أن قطراتها الحانية تعزف على صفحات أوراق الشجر الجافة المخشخشة إيقاعا لطيفا حبيبا للنفوس.. الغمامة تجود بالرحمة، ترطب الجاف، وتلين القاسي، وتنبت الزرع، وتملأ الضرع، فهي عارض غيث، ولكنها صاعقة عذاب، هي بيضاء، وهي سوداء، سراء وضراء، نعماء ولأواء.. كن مثلها، وليكن لديك لكل حادث حديث ولكل مقام مقال.

في السماء الرزق والقدر، والخير والشر، والحياة والموت.. كل هذا في السماء وليس على الأرض، لا يملك من على الأرض لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا خيرا ولا شرا.. لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا.. فلم الذل ولم الخوف؟ ولم الخضوع ولم الخنوع؟ انظر إلى السماء وارفع رأسك عاليا، ففيها مبتغاك ومتّقاك.. فيها خوفك ورجاؤك.. ذلك وعلاؤك.. ظمؤك ورواؤك.

في السماء دروس وعبر لا يدركها إلا من رفع رأسه لينظر إلى السماء.

● كاتب ومترجم تركي
– بكالريوس في الفقه وأصوله
– ماجستير في المذاهب الإسلامية
– دكتوراة في الحقوق الإسلامية
– مترجم فوري من التركية للعربية
– مدرس للغة العربية لغير الناطقين بها
– مواليد ١٩٧٧م

الإسلام والإتيكيت

رشيد ناجي الحسن
باحث دراسات إسلامية

عندما نسمع بكلمة (إتيكيت) يتبادر إلى ذهن الكثير منا التفوه بالكلمات الإنجليزية والفرنسية، والأكل باليد اليسرى، وترقيق الصوت، ويظن الكثير منا أن الدول الأوروبية هي من أوجدت الإتيكيت، ووضعت له أصوله.. الإيتيكيت.. كلمة تتردد على ألسنة الكثيرين من الشباب والشابات، حيث إنهم لم يفهموا المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، فما هو الإتيكيت؟ وما علاقته بالإسلام؟

الإتيكيت (etiquette) كلمة إنجليزية من أصل فرنسي، وترجمتها إلى العربية تعني: آداب السلوك، أو قواعد المجاملات، أو قواعد المراسم والتشريفات، أو أصول اللباقة والذوق، خاصة في محافل المال والأعمال والسياسة والفنون والرياضة. وقد دخلت هذه الكلمة الاستعمال في عام ١٧٥٠ للميلاد، وجاءت من كلمة (تكت)، حيث كانوا يطبعون التعليمات على بطاقة صغيرة (تكت TICKET) تحوي كيفية التصرف في مناسبة ما. وهذه الآداب تهتم بما يجب على الإنسان فعله عندما يكون مع الآخرين، وبعضها قواعد عامة تنطبق على كل الشعوب، وبعضها يخص شعبا بعينه. بل هناك معاهد ودورات تدريبية خاصة لتعليم فن الإتيكيت، يتدفق إليها الرجال والنساء ليتعلموا الإتيكيت وأصوله ومهاراته، حتى أصبح اتباع قواعد الإتيكيت مظهرا من مظاهر التمدن والرقي، وضرورة مهمة.

وكل شخص لا يحترم نفسه، ولا يقيم اعتبارا لقيمها لا يحق له أن يطلب من الآخرين اعتباره واحترامه. فآداب المائدة وطريقة حمل الشوكة والسكين، ووظيفة كل سكين وكل ملعقة تكاد تكون علما يدرس للصغار، كذلك عدم فتح الفم أثناء الأكل، أو الأكل والفم ملآن، كذلك يأتي نوع الحديث- ما لم يكن غداء عمل- يجب أن يختار الجالسون مادته، وأصوات التجشؤ تنقص من قدر فاعلها، وهي شيء غير مقبول، بل غير مستحب.

ولو أمعنا النظر في اهتمام الغرب بقواعد المعاشرة، أو ما يطلق عليه الـ (إتيكيت) لأدركنا أنهم يهتمون بقواعد الأكل أكثر من الأكل نفسه، وهذه حقيقة يؤكدها كل من عاش هناك في الغرب لبرهة من الزمن. ويدخل الإتيكيت في تفاصيل كثيرة، منها مثلا: أنه عندما تستخدم الصابون عليك أن تغسلها، ولا تترك أثر الرغوة عليها، لأن الذي بعدك قد يضايقه منظرها هكذا. وهناك قواعد تختص بكيفية تقديم الطعام، هل نقدم الحلوى أولا، أم الفاكهة، وهل بعد الوجبة أم قبلها، إلى غير ذلك من القواعد التي قد تختلف من شعب إلى آخر. ومما يجدر ذكره أن أقدم كتاب وضع في آداب السلوك ظهر في مصر القديمة عام ألفين وخمسمائة وستين قبل الميلاد، ألفه إحدى الشخصيات في عهد الفراعنة، ليعلم ابنه قواعد التصرف السليم مع الآخرين.

لكن الأمر الذي غاب عن الكثيرين من المفتونين بهذا الإتيكيت هو أن هناك

أشياء كثيرة نختلف فيها كمجتمع إسلامي محافظ.. له آدابه وعاداته وتقاليده.. وقبل هذا كله له محوره الديني الذي يرسم له خطوطا حمراء، لا يجوز له تخطيها بحال. لذلك عبثا يحاول من يريد تطبيع مجتمعنا بإتيكيتهم وآدابهم. لكن للأسف وجد هناك من افتتن بذلك الإتيكيت، وتلك الآداب، وراح يطبقها بحذافيرها من مبدأ ما ذكره ابن خلدون في مقدمته حيث قال: «إن الأمم المغلوبة تحاكي الأمم الغالبة في كل شيء»، وخاصة حين تغلب من الداخل...من داخل الذات فتفقد معها هويتها وإحساسها بقيمتها. وإن كنت أشك في أن الغرب نفسه يلتزم بها، بل هي قشور تمسَّك بها بعضنا، ويريد أن يطبقها بحذافيرها مع أن أصحابها قد هجروها. والمعروف أن لكل بلد آداب تصرف ولغة اجتماعية وجسدية تلزم أفراده باتباعها. ولنا ما يناسب ديننا الحنيف وعاداتنا وتقاليدنا، ولهم ما يناسبهم. بل لدينا نحن أمة الإسلام كنز عظيم من الآداب والأذواق لم يترك صغيرة ولا كبيرة في سلوكياتنا وتصرفاتنا إلا وتحدث عنها، لذا أقول: لكم إتيكيتكم، ولنا آدابنا.

كتبت أخت من الأخوات عما يسمى بفن الإتيكيت والمبالغة في تطبيقه فقالت:

أريد أن أتكلم عن هذا الذي يسمونه الإتيكيت في اللباس، والحديث والحركات والنظرات، الشيء الذي لا نطيقه والذي يبعدنا حتى عن أنفسنا. فالإنسان الذي يتبع ما يسمونه بالإتيكيت صدقوني كأنه شخص آخر عندما يتصرف بهذه التصرفات.

الحقيقة وللأسف إنه كثر في مجتمعنا تقليد الإتيكيت، لدرجة أننا كرهنا التعامل معه، والكثير منهم أصبح يلبس ثوبا غير ثوبه، حتى ولو لم يكنْ مقاسه، ويقلد في تطبيق الإتيكيت الذي لا يليق به.

حتى في الموت وإقامة العزاء أصبحت عندنا لها مراسيم وإتيكيت لابد أن تتبع، وسأقص عليكم موقفا مررت به وصدمت منه بصراحة. تقول الأخت: ماتت إحدى قريباتي، وعندما سمعت الخبر بكيت بحرقة، وتألمت وفكرت في بناتها وأولادها، وكيف حالهم عند تلقي خبر وفاة والدتهم، وجهزت نفسي للذهاب إليهم، وعندما وصلت كنت قد انهرت من كثرة البكاء في الطريق، دخلت المنزل فوجدت الأم ممدة ميتة، أما بناتها فقد شغلن في اللباس الذي سيلبسونه في العزاء، فالكبيرات منهن سيلبسن الثوب ذا اللون البني، والأصغر سنا سيلبسن الثوب البيج، وأما البنات الشابات فسيلبسن الثوب الأسود، وسمعت إحداهن تتفق مع إحدى الكوافيرات لتحضر إليهم عصر الغد لعمل مكياج حزن.

حتى إنهن حددن جلوس كل واحدة منهن في العزاء، وكيف ستجلس، ومن ستكون على يمينها ومن ستكون على شمالها، والأصناف التي ستقدم للمعزين في أثناء حضورهم للتعزية وكيفية التقديم، ومتى يتم تقديم العشاء، وأين يجلس أهل المتوفاة، وأين يجلس المعزون!

فصدمت وبكيت بحرقة، وصرخت بأعلى صوتي وقلت لهم: من هذه الممددة أمامكم؟ إنسانة ميتة، أم عروس ستحضرون فرحها؟! الملائكة من حولها، وأنتم مشغولون باللباس والأكل وكيفية الجلوس، ومتى وأين وكيف؟! قامت إحداهن وقالت لي: هذه الأشياء التي تكلمنا عنها لابد من القيام بها، وهي ضرورية جدا، وإلا لسخر منا آل فلان وآل فلان، وانتقدونا.

سبحان الله! حتى في الموت مسابقة لحضور أحسن عزاء وأجمل لباس ومكياج حزن.

خرجت ووعدتهم أن أحضر العزاء المتحضر الإتيكيتي، وفعلا حضرت في اليوم الثاني فوجدتهم مرصوصين كالأعمدة المجوفة، لا أحاسيس ولا مشاعر، حتى البكاء حددوا له إتيكيت، متى يبكون، ومتى يصمتون، وكيف تتم السيطرة على الدمعة. فوقفت مذهولة، وبكيت على المتوفاة، وحزنت أكثر من بناتها وحفيداتها، حتى إن إحدى المعزيات جاءت بجانبي وقالت لي: أعظم الله أجرك، حسبتني إحدى بنات المتوفاة! حتى الآن كلما تذكرت الموضوع أبتسم بسخرية، فمع الأسف لقد أصبحت عاداتنا حتى في مناسبات الحزن تتبع الإتيكيت وفنونه، وأصبح همنا الوحيد: ماذا سيقول الناس عنا؟ وما الذي يليق ولا يليق؟ وابتعدنا عن الدين وما حبب إلينا فعله في تلك المناسبات، وما منعنا منه وحذرنا.

ما أريد أن أقوله هو أن الإنسان عندما يتصرف على طبيعته من دون تكلف يكون تصرفه نابعا من مبادئه وأخلاقه التي لا مواربة فيها ولا خداع، وأيضا قد يكون في الإتيكيت شيء من الكذب والنفاق وإظهار المرء بمظهر مزيف وبعيد عن مظهره الحقيقي، فهو بهذا يكاد يكون يتعامل مع الناس من خلف قناع.

وإذا كانت الجامعات الأوروبية تنشئ كليات خاصة لفنون الإتيكيت، فنحن نأخذها بالمجان ودون دخول مثل تلك الجامعات، وذلك بتطبيق تعاليم

الإسلام التي جاء بها الرسول الكريم محمد ﷺ.

والسؤال المطروح الآن: ما علاقة الإتيكيت بالإسلام؟ وهل هو مستمد من الذوق الإسلامي أم لا؟

كل من يسافر إلى الخارج يعود غالبا بحسرة على حالنا مما رآه هناك من نظام وانضباط ونظافة وذوق في التعامل، حتى ظن البعض أن هذا السلوك مرتبط فقط بالحضارة الغربية وأن ما نعيشه من عشوائية وفوضى لصيق بالإسلام، ولا أبالغ إذا قلت: إن معظم قواعد الإتيكيت مأخوذة من الإسلام، وقد انتقل إلى الغرب عن طريق فتح الأندلس وغيرها، ابتداء من التحية، مرورا بالمصافحة باليد، وصولا إلى توزيع النظر على الجميع وعدم التركيز على شخص وإهمال الآخرين، وكذلك أسلوب التعامل مع الآخرين، وقد تناثرت صور الذوق الرفيع في ديننا أمام الجميع، فقد كان ﷺ يجيء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان، وقد أمر الرسول ﷺ أن ندخل ونخرج من البيت بالتلطف وحسن التصرف، إذا دخلت دارك أو خرجت منها، فلا تدفع بالباب دفعا عنيفا، أو تدعُه ينغلق لذاته بشدة وعنف، فإن هذا مناف للطف الإسلام الذي نتشرف بالانتساب إليه، بل أغلقه بيدك إغلاقا رقيقا، ويأتي المعنى فيما روته السيدة عائشة رضي الله عنها من قول رسول الله ﷺ «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

وتأمل آداب السلام في الإسلام تجد فيها قمة الذوق والأدب، فردَّ السلام يكون مثل السلام، أو أفضل منه، فإذا سلم المسلم بالأقل، فالراد يرد بمثله أو يزيد: ورحمة الله، أو ورحمة الله وبركاته، وإذا سلم بالسلام الكامل فيرد كاملا، ولا يرد بأنقص منه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ (النساء: ٨٦). وقال ﷺ: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير»، وقال: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه»، وقال: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلّم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»، بل إن الإسلام كره السلام على المتخلي ببول أو غائط، كما ورد في الحديث الصحيح. فهل هناك آداب كهذه الآداب؟!

يقول أحد الدبلوماسيين العرب ممن عاشوا في الغرب: وعند تأملي في مدلول كلمة إتيكيت وجدتها قاصرة عن الإحاطة بما يجب أن يكون عليه سلوك الإنسان المسلم السوي، وكثيرا ما تكون مخالفة لما يتوجب على الدبلوماسي المسلم أو غيره بفعله أو قوله، ناهيك عن أن الإسلام قد وفى كل شيء حقه، وأن الدين كامل وشامل لكل شؤون الحياة.

الغريب في هذا المصطلح الغربي هو أنه وسيلة استخدمت منذ بداية تحويل مجتمعاتنا العربية الإسلامية سلوكياتها وقيمها النابعة من ثقافتها إلى سلوكيات وقيم مجتمعات لسنا من ثقافتها، ولا من دينها، أو جنسها.

ولقد كانت كلمة «الإتيكيت أن تفعل كذا وكذا..» تظهر في دوائر تشمخ بالنموذج الغربي غير الإسلامي، وتظهر التعالي على العرب والمسلمين، فإذا كان المعادل لكلمة «إتيكيت» في لغتنا وثقافتنا هو «الأدب والذوق»، فإن في قاموس تربيتنا الإسلامية والعربية قواعد للسلوك والتهذيب لا تعد ولا تحصى. صحيح أن بعضا من قيمنا السلوكية والتهذيبية تتلاقى مع قواعد «الإتيكيت»، لكن في معظم الأحوال هناك من قواعد «الإتيكيت» ما يتعارض مع قواعد أدبنا العربي الإسلامي، مثال على ذلك:

يتقدم الرجل عندنا المرأة في السير، وفي صعود السلم، حرصا على تمهيد الطريق لها وحمايتها من أي معوق قد يقابلها، فقد يكون هناك بالطريق كلب تخافه أو درجة سلم مكسورة وغير ذلك، وعلى الرجل أن يميط للمرأة أذى الطريق. بينما يقول «الإتيكيت الغربي»: إن المرأة تتقدم الرجل، وإن هذا دليل احترامه لها. الهدف في الأدب الإسلامي و«الإتيكيت» هو احترام المرأة، لكن تحقيق هذا الاحترام عندنا يختلف عند أصحاب «الإتيكيت». طبعا شن البعض الحرب على الأدب الإسلامي، واعتبر تقدم الرجل على المرأة في السير شكلا من أشكال الاحتقار لها، وفسروا سيرها وراءه بالتبعية والخضوع.

مسألة أخرى: من آداب وتهذيب الإسلام أن يقلم الإنسان أظافره، واعتبر ذلك من الفطرة، لكن «الإتيكيت» يقول للرجل: قلم أظافرك، وأحيانا دع ذلك عنك وطولها، وفقا لإرشادات الموضة، ويقول للمرأة اتركيها وهذبيها وفقا لآخر الإرشادات القادمة من عاصمة الأناقة الغربية. بينما الصحة والنظافة تقولان: الأظافر الطويلة ساتر للأوساخ، مهما اعتني بها، فالظفر في ذاته مشكلة لو أنه انكسر في عجينة أو طعام، والعياذ بالله.

والأدب الإسلامي يقول: «كل بيمينك»، و«الإتيكيت» يأمرك أن تأكل بشمالك، وفقا للنظام الأوروبي فقط، ويجب أن نفهم أننا لا نحاكيهم، ولكننا نأتمر بأمر نبينا ﷺ. والقاعدة الإسلامية في أدب تناول الطعام هي ألا نكون سببا في تقزز ونفور منْ حولنا من الآكلين، وعلينا أن نهذب من سلوكنا في تناول الطعام، وفقا لهذا المبدأ الإسلامي.

ومن الذوق الإسلامي عدم الأكل في الطرقات وفي الشارع ..وعدم الشرب واقفا.. وفي الإتيكيت الغربي يعتبر أمرا أقل من عادي.

ومن الأدب الإسلامي ألا نتكلم في الحمام مثلا، وألا نقضي حاجتنا في مواجهة القبلة، بينما يسمح لك «الإتيكيت» بأن تأخذ معك فنجان قهوتك وصحف الصباح لتقرأها وأنت جالس على مرحاضك. وفي الإتيكيت الإنجليزي إذا كنت مدعوا إلى طعام في مطعم فعليك أن تكون في مكان الدعوة على الوقت بالضبط، أما إذا كانت الدعوة في بيت المضيف فمن الأدب أن تتأخر خمس دقائق عن الموعد، وذلك لإعطاء فرصة إضافية لأهل البيت ليكملوا استعدادهم. وعندما علمت بهذه القاعدة في بريطانيا قلت في نفسي: إذا كان الذي يتأخر خمس دقائق يكون مؤدبا فلا شك أننا أكثر أدبا، لأن أحدنا قد يتأخر نصف ساعة أو أكثر!!

ومن طرائف التأخر ما روي عن الشيخ علي الطنطاوي- رحمه الله- أنه كان مدعوا مع نفر من الناس على الغداء، وتأخر الغداء كثيرا، وكان صاحب البيت يخرج ثم يعود فيظنون أن الفرج قد حان، ولكن دون جدوى، فتوجهت الأنظار إلى الشيخ ليقول شيئا، فذكر حديث المرأة التي عذبت في هرة حبستها، ولمح إلى ضرورة إطلاق سراح الضيوف، فلعل ظروف صاحب البيت قد تغيرت. وأخيرا وصل أحد المدعوين متأخرا جدا فحضر الطعام، فقد كان صاحب البيت ينتظر مجيء هذا الضيف المهم، والذي كان أكثرهم أدبا حسب القاعدة التي استنتجتها قبل قليل.

اقتصادا للكلام أخلص إلى أهمية أن تكون هناك زاوية للإرشادات عن الصحيح واللائق في السلوكيات والتصرفات، لكن يجب أن يكون اسم هذه الزاوية: «آداب»، أو «تهذيب»، أو «افعل، ولا تفعل»، أو «اللائق، وغير اللائق»، وأن تكون القاعدة الإسلامية والعربية في أصول الأدب والتهذيب هي المرشد لتحديد الطيب من الخبيث.

لقد اختلط الحابل بالنابل في مجتمعاتنا وتناقضت القيم باختلاف منابعها، واختلت الموازين وتشوهت ملامحنا، ولم نعد نشبه أي شيء.

فلتتوقف قليلا يا حضرة «الإتيكيت» عن إرشادنا وصغارنا، فنحن في أشد الاحتياج إلى استعادة مصطلحاتنا وقيمنا الوضيئة، لتحدد لنا قواعد العلاقات الرسمية وغير الرسمية، نحن في أشد الاحتياج إلى:

«أعطوا الطريق حقها»، فلا جلبة، ولا ضوضاء، ولا وخز، ولا تحرش، وبحاجة إلى ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فلا تسابق بين السيارات والعربات والحافلات يروع السائرين والركبان، وبحاجة إلى «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» فلا قذارة، ولا رائحة لفم منفرة، وإلى «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، وإلى ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم﴾، ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ..﴾، ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾، «وقر الكبير وارحم الصغير»، ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، «إماطة الأذى عن الطريق صدقة»، فلا بصق من الفم أو الأنف، ولا تبول في الطريق، ولا نثر للقمامة، ولا إهمال.

يا حضرة «الإتيكيت» تنحَّ عنا، فلدينا إرشادات تهذيب جوهرية أهم بكثير من معرفة كيف نطوي منديل المائدة، وأين نضع السكين بجوار الصحن. فنحن «المسلمين» نعترف ونعرف ونعرف بتلك الكلمة، لكنْ بزاوية هم بعيدون كل البعد عما يبتغونه، فليست غريبة على عقيدتنا، فنحن من جعل للآداب الإتكيتية وجودا قبل أن يتأتكتوا هم، وإذا كان الإتيكيت عند الآخرين عادة فنحن معشر المسلمين الأخلاق والذوق عندنا عبادة.

الذوق هو خلق إسلامي ونبوي أصيل قبل أن تنادي به أوروبا أو فرنسا.. وختاما: الذوق والأدب فن تعلمناه ببساطة شديدة وبكل تفاصيله من قرآننا الكريم ومن تعاليم نبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، هو فن التخلق بالخلق والسلوك السوي. فخاطبنا بلغة عربية واضحة كيف نأكل ونتأدب في الأكل وكيف نتحدث، وعلمنا أصول الحديث مع من هم أكبر منا سنا.. وكيف ندخل بيوت الآخرين بذوق وأدب، حتى العلاقة الخاصة بين الأزواج والزوجات نظمها. وأقول لمن تربى على الذوق وهو يظن أن أصله من حضارة الغرب: إنك تربيت على الذوق كمستحضر، ولم تترب عليه كخلق إسلامي.

مناهج التحقيق.. بين العرب والغرب

كنت حاضرًا وشاهدًا على المؤتمر الكبير الذي عقدته جامعة زيان عاشور بولاية الجلفة (الجزائر) يومي ١٣ و١٤ أبريل الماضي، تحت عنوان «مناهج تحقيق المخطوطات بين العرب والغرب»، وقد حشد مخبر دراسة وترميم المخطوطات بالجلفة -الملحق بكلية الحقوق بالجامعة- للمؤتمر جهده، وجمع له عددًا كبيرًا من الباحثين، من عدد لا بأس به من البلاد العربية.

هذا المؤتمر هو الثاني، فقد سبقه -العام الماضي- مؤتمر كان موضوعه «علم المخطوطات».

وقد رأيت من منطلق حضوري وشهودي أن أقرأ فكرة المؤتمر والأوراق التي قدمت فيه قراءة نقدية، ليس بمعنى العرض، وإنما بمعنى تقييد الملاحظات والمساءلة والنقد، وأيضًا التوقف عند بعض البحوث المهمة ذات الإضافات اللافتة.

المناهج تدور في فلك التعليم!

مما يؤسف له أن مسألة المنهج في تحقيق النصوص التراثية أصبحت تدور في فلك التعليم، لا في فلك العلم، وأعني أنه على الرغم من عشرات الكتب التي صدرت حتى الآن في التفكير النظري في التعامل مع النص فإنها تقريبًا كتاب واحد، أشبه بالمتون في العلوم المختلفة، ولذلك فإن الاختلاف بينها لا يعدو أن يكون في العناوين وطريقة التنظيم والترتيب والأمثلة، فمنذ كتاب هارون المؤسس (١٩٥٤)، وصلاح الدين المنجد (١٩٥٥)، ورمضان عبدالتواب (١٩٨٥)، وعبدالله عسيلان (١٩٩٤) وغيرهم، حتى فخر الدين قباوة (٢٠٠٧)، ونحن تقريبًا أمام مادة علمية واحدة!

إن أهم ما يلفت في هذه الوحدة التي قررناها هو غياب النظرة المنهجية التي تمد العين إلى منهج الآخر، نقصد المنهج الاستشراقي في تحقيق النصوص العربية، على الأقل، لضبط الفروق بين المنهجين، والاطمئنان إلى المسافة الحقيقية الفاصلة بينهما، ومدى أثرها على النصوص وتجلياتها عليها.

إشكالية العنوان

أول ملاحظة أتوقف عندها تتصل بالعنوان الذي وقعت فيه المقابلة بين العرب والغرب، وهي مقابلة لا تصح، فالعرب جنس أو قوم، والغرب مكان أو جهة في مقابل الشرق، وقد يكون الداعي لهذه المقابلة هو السجع وتوافق الفاصلة بين اللفظين، وذلك أمر ثانوي، يؤدي إلى نوع من التجاوز غير المرغوب فيه. كانت المقابلة أولى وأصح بين العرب والمستشرقين، أو بين الشرق والغرب.

ضعف هاجس الموازنة

وعلى الرغم من العنوان الذي قد يوحي بالنزعة الموازنة أو المقارنة فإن أكثر البحوث قد أفلتت من هذا الإطار؛ لتذهب في اتجاه واحد: اتجاه المنهج العربي والمنهج الغربي، كلًا على حدة، مما أضعف- من وجهة نظري- هاجس الموازنة الذي كان ينبغي أن يكون مسيطرًا تمامًا على البحوث جميعًا، وأفقد العنوان بريقه وقيمته الحقيقية، وجعل منه مجرد وعاء فضفاض لعناوين هدفت إلى استقصاء درس المنهج، مرتبطًا حينًا بعلم من أعلام التحقيق (محمد بن أبي شنب الجزائري)، وطائفة من المحققين العرب بصفة عامة حينًا ثانيًا، والمحققين المنسوبين إلى أحد البلاد العربية (العراق) حينًا ثالثًا، والمحققين الغربيين حينًا رابعًا.

د.فيصل الحفيان
مدير معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

واحد فقط من البحوث هو الذي انسجم مع هاجس الموازنة الأساس، وكان تحت عنوان «مناهج تحقيق المخطوطات لدى العرب والغرب: الاتفاق والافتراق» للباحث السوري د.محمود مصري من جامعة إستانبول.. والمفارقة أن هذا الباحث لم يحضر المؤتمر، لكن بحثه وصل، ورآه المشاركون.

وبعيدًا عن الانسجام بين العنوان والبحوث، يجدر أن نلتفت إلى مجموعة من البحوث التي انشغلت بعلم التحقيق في حال تعلقه بالحقل

المعرفي للنص، فقد قدم بعض الباحثين رؤى تحقيقية موصولة بعلم القراءات، ونصوص تراجم النحاة، والنصوص التاريخية والجغرافية ونصوص الرحلات.

وهذه النظرة المركبة مهمة في الكشف عن خصوصية العلم (موضوع النص) من جهة التحقيق، فعلى الرغم من أن النص يظل- بغض النظر عن موضوعه- نصا لغويا، والتعامل معه هو في جوهره متجه إليه بهذه الصفة، فإن الموضوع يفرض نوعًا من التوجه التقني في صنعة التحقيق، سواء على مستوى الضبط أو التعليق أو التخريج أو التكشيف... إلخ.

بعض البحوث- وإن لم تكن مندرجة تحت هاجس الموازنة- كانت لافتة، ذلك أنها أثارت إشكاليات جديدة في عالم التحقيق، من مثل «النص التراثي وإشكال تعاقب التحقيقات» للباحث المغربي د.عبد الله الرشدي، من دار الحديث الحسنية (الرباط).

التحقيق.. قراءة

إن مقاربة هذا الإشكال تعد بداءة مقاربة جدية وجديدة في ظل ما نراه من نشر النص الواحد أكثر من مرة، على يد أكثر من محقق، ثم إن هذه المقاربة استطاعت أن تنظر إلى الإشكال من زاوية جديدة تمامًا، تقوم على أن التحقيق إنما هو نوع من القراءة بالمفهوم النقدي الحديث، القراءة التي تستلزم بالضرورة الاختلاف عند التعدد، فكل قراءة جديدة هي قراءة مختلفة بالنظر إلى اختلاف القارئ ورؤيته وغرضه.. كما تستلزم بالضرورة- أيضًا- الإنتاجية التي تعني توليد نص جديد.

لم تكن مقاربة الرشدي مقاربة نظرية، بل قامت على نموذج محدد هو كتاب «دلائل الإعجاز» لعبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، أحد أهم العلماء في تاريخ البلاغة العربية، وصاحب نظرية النظم، فقد جرى تحقيق هذا النص في القرن الماضي أكثر من مرة، اختار منها الرشدي ثلاثة تحقيقات: تحقيق محمد عبده في مطالع القرن الماضي (١٩٠٣)، وتحقيق محمد بن تاويت التطواني في أواسط الخمسينيات من القرن الماضي، وتحقيق محمود محمد شاكر الذي ظهر في مطالع القرن الحالي (٢٠٠٤).

أسئلة التحقيق- القراءة

إن النظر إلى التحقيق على أنه قراءة يكشف عن أن التحقيق الأول صدر عن هاجس التعليم، فمحمد عبده إنما حقق النص ليدرسه لطلبته في الأزهر، وقد انعكس ذلك على اهتمامه الشديد بتصحيح النص وشرح ألفاظه، وأعانه على ذلك تلميذه محمد رشيد رضا، ومحمد محمود الشنقيطي إمام اللغة والأدب في ذلك الوقت.

تحقيق التطواني كان مسكونًا بسؤال آخر هو سؤال التاريخ، فالمغاربة لم يكونوا يعرفون «الدلائل»، وجاء التحقيق ليلبي هذه الحاجة، ويبعث النص من جديد، وقد تجلى سؤال التاريخ هذا في المقدمة التي تصدرت الطبعة، وتركزت على التأريخ للبلاغة العربية، وأسس صاحبها لرؤية مستقبلية تدعو إلى تبني مشروع لإعادة كتابة هذا التاريخ، وضرورة إحياء النصوص اللازمة لذلك عن طريق نشر مخطوطاتها.

إن المستهدف عند التطواني هو النخبة، على حين كان عند عبده هو الطلبة، ولذلك اختلف منهج التحقيق (القراءة). ويبدو أن سيطرة سؤال التاريخ على التطواني كان وراء سقوط ركن أساسي في التحقيق، هو ركن النسخ التي لم تظهر أية إشارة إليها في المقدمة، وهو أمر مثير للدهشة حقا- كما يقول الرشدي- إذ كيف السبيل للحديث عن تحقيق علمي دون نسخ معتمدة؟

على أن سؤال التاريخ ما وجد تجليه إلا في المقدمة، مما يعني أن هذا العمل (القراءة/التحقيق) لم يرق إلى توليد رؤية جديدة للنص.

كان منطلق شاكر في قراءة «الدلائل» مختلفًا، فالرجل جعل وكده استبطان النص، صادرًا عن مشروعه الأساس في قراءة التراث الذي يقوم على ما أسماه المنهج التذوقي.

ومما يلفت في تحقيق شاكر أن سؤال الفهم لم يحجب لديه سؤال التعليم، لذلك استطاع أن يقدم لنا نصا صحيحًا إلى جانب تقديمه نصا مستبطنًا بعمق، فقد أمكنه أن يكتشف أن العلاقة بين كتاب الجرجاني و«المغني» للقاضي عبدالجبار (ت ٤١٥هـ) المعتزلي هي علاقة المقابلة، فالجرجاني يرى الإعجاز في النظم، ويرد أقوال القاضي الذي يراه في اللفظ.

وقد انعكس سؤال الفهم على عملية التحقيق نفسها، فرأينا شاكرًا يعنى أيما عناية بتقسيم النص إلى فقر وترقيمها، وعنونتها، والربط بينها.

لا شك أن النظر إلى التحقيق على أنه قراءة سيفتح أمام الباحثين في التراث آفاقًا واسعة، وأول هذه الآفاق هو التأسيس لمشروعية تكرار التحقيق، دون أن يعني ذلك التضحية بالإجراءات الأساسية والمنهجية للتعامل مع النص، أو تجاوزها.

وأحسب أننا بحاجة إلى هذا النوع من البحوث التي تثير إشكاليات في عالم التعامل مع النص، ولا تكتفي بإعادة الصياغة وسوق الأمثلة، وهو ما يردنا إلى الفكرة الأساسية التي انطلقنا منها.

فن الإدارة في الإسلام.. منقذ الأمة من وعكاتها!

منى الموجي
القاهرة : دار الإعلام العربية

جاء الإسلام ليؤسس لقواعد صارمة وحاسمة للأمور الإدارية التي دعت إليها بعد قرون مختلف النظريات الإدارية المعاصرة، وتعرف الإدارة في الإسلام بأنها الولاية أو الرعاية التي تأتي في نطاق المسؤولية التي تلزم وجود أمانة لدى من يتصدى لشؤون الإدارة على اختلاف أنماطها ومستوياتها.. كما وضع الإسلام جملة من الركائز لفن الإدارة، من أهمها الشورى، باعتبارها أصلًا من أصول علاقات العمل.. «الوعي الإسلامي» سألت عددًا من المعنيين وجاءتكم بالتفاصيل.

يقول محمد بركات، مهندس إنتاج بأحد مصانع الملابس: بحكم عملي كمهندس إنتاج أتعامل مع كثير من العمال المسؤولين مني، ويقومون بأعمالهم وفقًا للتعليمات التي أوجهها لهم، والحمد لله هم متفانون في عملهم بإخلاص لسبب رئيسي، وهو أنني أتعامل معهم برفق، وأتناقش معهم بهدوء حول الأمر الذي من المفترض القيام به.

وعن كيفية اختياره لمعاونيه أكد اعتماده على عنصر الكفاءة والأمانة وحب العمل فيمن يختارهم ليكونوا معاونين له.

كفاءة وتناغم

بدورها، تؤكد منار وجدي، مصممة ومديرة خط إنتاج ملابس، أنها تحافظ على مسافة معينة في حدود الاحترام بينها وبين من ترأسهم في العمل، محاولة في الوقت ذاته أن تجعلهم يقبلون على العمل وينفذون تعليماتها بصدر رحب، وترى أن

د.صلاح العادلي: اختيار القائد على أسس العلم والأمانة والموهبة وحسن القبول

المدير الناجح هو من يطبق سياسة ناجحة تتناسب مع وضع المكان وظروف العمل، مشيرة إلى أن اختيارها لمن يعاونها في العمل جاء على أساس الاجتهاد والكفاءة والتناغم مع كل الأطراف.

الطيبة والحزم

بينما يؤكد سعيد محمد موظف بالجهاز المركزي للمحاسبات أن الإدارة التي تقوم على أسس سليمة هي التي تؤدي إلى نجاح العمل واستمراره، وأن المدير الناجح هو القادر على أن يكون قريبًا من الموظفين الأقل منه، بشكل لا يجعلهم يتساهلون في العمل استنادًا على طيبته، وفي الوقت نفسه لا يتذمرون من حزمه، فالوسطية هي خير الأمور، واستخدام كل صفة في الوقت المناسب لها، فاللين في موضعه، والحزم أيضًا في موضعه.

شورى وطاعة

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، وفي الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم».. بهذه الكلمات بدأ د.عبدالستار فتح الله سعيد، أحد علماء الأزهر الشريف وعضو المجمع الفقهي بمكة المكرمة، موضحًا أن من أسس الإدارة الناجحة الشورى والطاعة، والتي لا يمكن أن تستقيم أمور

الجماعات والمنظمات بدونهما، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(النساء: ٥٩).

ويشير د.عبدالستار إلى أحاديث نبوية شريفة كثيرة تحدثت عن الإدارة، وسبل اختيار المسؤول أو القائد، منها ما يشير إليه قوله ﷺ «من ولي من أمر المسلمين شيئًا، فولى رجلًا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله»، وفي رواية أخرى: «من قلد رجلًا عملا على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»، ومن دعائه ﷺ أيضًا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا، فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا، فرفق بهم فارفق به»..

ويقول النبي ﷺ: «ما من راعٍ يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لها، إلا حرم الله عليه رائحة الجنة».. فكل هذه الأحاديث تشير إلى ضرورة أن يتولى الإدارة أهل الصلاح والمعرفة والكفاءة والإصلاح.

وتابع: أما عن سبل اختيار المستشارين المعاونين للمدير أو القائد وهم أهل المشورة والخبرة، فيقول الصحابي الجليل علي بن أبي طالب: «لا تدخلن في مشورتك بخيلًا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانًا يضعف عليك الأمور، ولا حريصًا يزين لك الشره والجور».. ويشير إلى أن التاريخ الإسلامي يحفل بقصص ومواقف، منها مثلًا سؤال عبدالملك بن عمر ابن عبدالعزيز لوالده لما قال له: «يا أبت لم لا تحمل الناس على الحق جملة واحدة؟ فرد عليه قائلًا: يا بني، أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة.. أما يرضيك أن أحيي فيهم كل يوم سنة وأميت بدعة؟».

إدارة الأزمات

إلى ذلك، يحدثنا د.محمد أبوليلة أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر أن مفهوم الإدارة واسع ليشمل كل أنواع الإدارات، سواء إدارة المنزل أو الدولة أو الأمن أو الحرب، والتي تعد من صميم الإسلام، وكل منها يتطلب استشعار المسؤولية تجاه المؤسسة أو الدولة أو الأزمة، إضافة إلى ضرورة توفر العلم والخبرة الكافية فيمن يتولى مهام الإدارة، أيضًا يجب أن يتمتع المسؤول عن الإدارة بأفق عقلي وثقافة واسعة بحيث يستطيع أن يلم جيدًا بما حوله من أحداث وأزمات سابقة في التعامل، هذا علاوة على أنه ينبغي أن يكون الشخص المختار من ذوي الكفاءة الخلقية، وليس

انتهازيًا، ويبحث عن المصلحة العامة عند مواجهة الأزمات، ولا يزيدها تعقيدًا.

ويستند د.أبوليلة إلى الحديث الشريف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، مؤكدًا ضرورة أن تتوافر في الراعي شروط العلم والكفاءة، وأن يكون لديه شفقة تجاه من يرعاه، وبالرجوع إلى سيرة سيدنا رسول الله ﷺ نجد أن النبي خير من علمنا حسن الإدارة، وعلى وجه الخصوص إدارة الأزمات، فكان يعتمد على مبدأ المشورة في الإدارة، وأكبر دليل على ذلك ما حدث في غزوة بدر، فقد كان النبي ﷺ يشاور الصحابة قبل أي خطوة يخطوها قبل وبعد الغزوة، وإذا طبقنا ذلك على العصر الحالي فيجب على كل مدير أن يكون لديه فريق استشاري متخصص في جميع المجالات يلجأ إليه عند أخذ القرارات أو عند مواجهة الأزمات.

ويضرب مثلًا بالرسول ﷺ حينما نوى الهجرة من مكة إلى المدينة،

د.رفعت الفاعوري: علم الإدارة فن يمتد ليشمل جميع مستويات الحياة

حيث ظل الأمر سرًا حتى على أصحابه؛ كي لا يمكن أعداءه منه، وأخفى الخبر على أبي بكر حتى جاء وقت الهجرة، حيث علم وقتها فقط.

أما بالنسبة إلى علاقة المدير بمرؤوسيه، فيرى «أبوليلة» أنها علاقة عقد مع الله في المقام الأول، فالراعي يجب أن يكون عالمًا عارفًا أبًا شفوقًا لمن هو أصغر منه سنًا وأن يحترم مصالح مرؤوسيه ويوفق بينهم دون تمييز، ويدافع عن حقوقهم وأن يقيم شرع الله.. أما الرعية فعليها أن تساند المدير أو القائد وأن تتعاون معه وألا تشكك فيه أو تهينه أو تسيء إليه بالقول أو الفعل، ولا مانع من تقويمه إذا أخطأ، فسيدنا عمر بن الخطاب يقول «لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها». وكان يشير إلى أهمية إذا رأى المسلمون خطأ في إدارته أن يعلموه، وعليه أن يستمع جيدًا إلى شكواهم، كما أقرها أبوبكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له بعد تولي الخلافة، «وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني»، وهنا نشير إلى ضرورة تقويم الرعية لراعيها لكن دون تجاوزات أو سب أو تخوين.

القوي الأمين

من جانبه، يقول د.صلاح محمود العادلي أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر: الإدارة فن أقره الإسلام، وأوصى باختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، سواء على مستوى المؤسسات العامة أو المؤسسات الخاصة أو حتى مستوى الأسرة، واختيار هذا الرجل يجب أن يعتمد على شرط العلم والأمانة، فقد قال تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وهو ما يستدل منه على أهمية العلم والأمانة في الإدارة.. كما قالتها ابنة شعيب لأبيها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، والقوي هنا تشير إلى صاحب العلم.

واستطرد قائلًا: إذن لابد من هاتين الصفتين اللتين تعدان إحدى أهم الركائز الأساسية عند اختيار المدير إضافة إلى الموهبة وحسن القبول، وهو ما يعبر عنه في فن الإدارة بإجادة التواصل، سواء على مستوى الأسرة أو الرئاسات الصغيرة أو الكبيرة.. وأعظم قائد

هو سيدنا ورسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ، الذي علمنا أصول فن الإدارة سواء في إدارة الأزمات أو إدارته لبلاد المسلمين أو إدارته في علاقته بزوجاته وأبنائه وأصحابه، رضي الله عنهم جميعًا، فنجد أنه طبق ذلك في اختياره للقادة وعماله على البلاد، كما طبقه بين صحابته في البيئة الجديدة، حيث أدار العلاقة بين أصحابه وجعلها تستند على الإخاء والمحبة، أيضًا إدارته للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين التي اعتمدت على السلام والسماحة وتقبل الآخر.

تابع العادلي: أما بالنسبة إلى العلاقة بين الرئيس ومرؤوسيه فيحثنا إسلامنا العظيم على أنها لابد أن تنطلق من

الراعي يجب أن يكون عالما عارفا يحترم مصالح مرؤسيه ويدافع عن حقوقهم

مبدأ العدل والاحترام المتبادل وعلى المرؤوس أن يلتزم بالانقياد المطاع لرئيسه باستثناء الطاعة في المعصية أو المخالفة أو الخطأ، فعليه هنا أن يلفت نظر رئيسه في أدب دون خروج على الحق.

حسن البصيرة

أما مدير عام المنظمة العربية للتنمية الإدارية د.رفعت الفاعوري، فيرى أن مبادئ الإدارة لها مقومات أساسية، وهي الحكم الرشيد ونور البصيرة والتأني في أخذ أي قرارات، إضافة إلى أن علم الإدارة هو فن يمتد ليشمل جميع مستويات الحياة، فهو يعلمنا كيف نتعامل مع أزواجنا وزوجاتنا، كيف نتعامل مع أطفالنا، كيف أتعامل مع دخلي المالي وكيف أنفقه، وهو أيضًا ضمن أنواع الإدارة، إضافة إلى التعامل داخل المؤسسات الحكومية والخاصة على مستوى العمل والعلاقة بين كل من الرئيس والمرؤوس، والتي يجب أن تتضمن العدالة الكاملة والبعد تمامًا عن التمييز، وأخيرًا التعامل عند مواجهة الأزمات.

وتابع: بشكل عام يجب أن يكون المدير أو أي صاحب منصب كبير كفؤًا في المقام الأول؛ كي يستحق أن توكل إليه تلك المهمة، وأن يتمتع بحسن الإدارة وأن يتحلى بالهيبة والعلم وحسن البصيرة وقوة الإرادة، والرحمة بمن تحت رئاسته والتي يجب أن تستوعب الكل.

تلك المقومات تعتبر مقومات أساسية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.

وقال الفاعوري: أيضًا على الموكل إليه مهمة اختيار من يتولى مهام الإدارة أن يحسن جيدًا الاختيار، وإذا وقع الاختيار على شخص لم ير في نفسه أنه يمتلك تلك المقومات فليس عيبًا أن يعترف بذلك، فرحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

ستة عناصر لإدارة ناجحة

يوضح د. رشاد عبداللطيف أستاذ تنظيم المجتمع بكلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان ضرورة توافر ستة عناصر كي تصبح الإدارة ناجحة هي:

- تحديد الهدف: إذا كان الأمر يتعلق بعلاقة أسرية فلابد أن نضفي عليها الجانب الاجتماعي، وإذا كانت الإدارة تتعلق بعمل فلابد أن نضفي عليها الجانب الخدمي والإنساني.
- المساواة: العمل على عدم التفرقة بين الأفراد، ففي العمل على المسؤول ألا يفرق في المعاملة بين مرؤوسيه، بل عليه اعتماد الموضوعية في التعامل بينهم، وهو نفس الأمر فيما يتعلق بالأسرة، فلابد أن يراعي رب الأسرة طريقة التعامل بين الأبناء دون تفرقة، وبالطبع ينطبق الأمر على إدارة الدول لشؤونها، حيث تقوم الدول المتحضرة على المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، بغض النظر عن أي اختلاف بينهم، مشددًا على أن اعتماد هذا المبدأ هو أساس النهوض بالدول.
- البسمة: الوجه العبوس يقتل البيت، الجامع، الكنيسة والمدرسة، فالبسمة تزيد من تفاؤل الإنسان وتدفعه إلى التفكير الإيجابي بعيدًا عن العبوس والتشاؤم.
- التقوى: لابد أن يتقي المسؤول عن الإدارة -سواء كانت إدارته تتعلق بالأسرة أو بالعمل أو بالدولة- الله في كل تصرفاته تجاه الآخرين.
- الذكاء الاجتماعي: لا أقصد الذكاء الفطري، ولكن أقصد أن يتسم المدير ببعد النظر في الإدارة، ولا تقتصر إدارته على الخطط قصيرة المدى فقط، وإنما يراعي المستقبل ايضًا.
- الحكمة والتواضع: وهما صفتان لابد من توافرهما في شخصية المدير.

فئات المجتمع ودورها لتحقيق نهضة الأمة

هواري عبدالقادر
ماجستير إدارة الأعمال
جامعة سطيف - الجزائر

تعتمد نهضة الأمة على عدة مقومات لابد من توفرها لنجاح هذه النهضة، وعلى رأسها المقومات البشرية، فالأمة التي تسعى للوصول إلى أعلى مراتب الرقي الحضاري يجب أن تضم أفرادًا ذوي همم عالية، يسعون نحو المعالي ولا يدخرون جهدًا من أجل تحقيق الأهداف السامية لنهضة أمتهم، وهؤلاء هم صفوة الصفوة، فهم الذين يرسمون السياسات الكلية، ويحددون الأهداف المرجوة من هذه السياسات، كما أنهم يحاولون استغلال كل الإمكانيات المتاحة لهذه الأمة استغلالًا تامًا حتى يكون هناك عائد أكبر، ولهذا فلا بد من وجود ثلاث فئات من الأفراد في المجتمع لضمان تحقيق النهضة، هذه الفئات تعمل بتكامل على رسم وتحقيق ومراقبة البرامج والأهداف التنموية التي من شأنها أن توصل الأمة إلى هدفها، هذه الفئات هي فئة صناع القرار، وفئة أصحاب العقول، وفئة المنفذين.

إن فئة صناع القرار هي تلك الفئة التي تضم خبراء في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وعندما نقول خبراء فإننا لا نقصد حاملي الشهادات العليا فقط، أو ذوي الخبرة الطويلة في الميدان فقط، فهناك من يحمل أعلى الشهادات في تخصصه، لكنه حبيس الجانب النظري، ولا يعلم عن الواقع شيئًا، فهو لايستطيع أن يعطي القيمة المضافة المرجوة، من جهة أخرى، هناك من له باع طويل في مجال عمله وخبرة تحسب بالعقود، لكن لا يدرك الجوانب النظرية والعلمية لمجال عمله، من هنا يمكننا القول إن الخبراء الذين تحتاجهم فئة صناع القرار هم أولئك الذين يجمعون بين الشهادة العليا التي هي ضرورية لمعرفة الجانب النظري، وكذلك الخبرة التي تساعد على إسقاط النظرية على الواقع، وإضافة إلى هذا لابد من توفر عامل التميز، فقد تتوفر الأمة على عدد معتبر من الإطارات الأكاديمية ذوي الخبرة، ولكنهم يفتقرون إلى التميز الذي يظهر جليًا من خلال القدرة على خلق الأفكار، وإيجاد البدائل، وحسن استغلال الفرص المتاحة.

أما فئة أصحاب العقول، فهي عصب الأمة، وتضم كل من له علاقة بمجال العلم والبحث من أساتذة وباحثين وطلبة، حيث توكل لهم مهمة مساعدة صناع القرار على صياغة الإستراتيجيات والسياسات انطلاقًا من البحوث الميدانية والدراسات الفعلية، وكذا العمل على إيجاد الحلول للمشكلات الراهنة للأمة باستخدام الطرق العلمية، فعلى سبيل المثال يقوم أصحاب العقول في ميدان علم الاجتماع بالبحث في الأسباب الاجتماعية
لظواهر العنف
أو الهجرة أو العنوسة
أو غيرها من المشكلات التي قد تقف حجر عثرة في سبيل نهضة الأمة، وبعد تحليل الأسباب لابد من اقتراح حلول للمشكلة، ورفع تقارير إلى صناع القرار الذين سيتصرفون على أساس هذه التقارير، كما أن أصحاب العقول مطالبون بالعمل على ابتكار أفكار جديدة لتعبيد الطريق أمام الراغبين في المساهمة في نهضة الأمة.

من جهة أخرى، وبعد صياغة الإستراتيجيات والسياسات من طرف صناع القرار، بناءً على تقارير ودراسات أصحاب العقول، توضع مجموعة من البرامج التنفيذية القطاعية على مستوى كل قطاع، تضم جملة من المشاريع متعددة الأحجام، فمنها الصغيرة والكبيرة والمتوسطة يعمل على تنفيذها أفراد الفئة الثالثة، والتي تضم الموظفين والتجار والفلاحين وغيرهم من أفراد المجتمع القادرين على العمل، وبالطبع كلما كانت الدراسات دقيقة، والقرارات في محلها كان التنفيذ أسهل وأسرع، وبالتالي تحقيق النجاح على كل المستويات.

إن المسؤولية ملقاة على الفئات الثلاث بالتساوي، فكلما قصر أفراد فئة في أداء عملهم كلما كانت النهضة أبطأ، ففئة صناع القرار مطالبة بدراسة كل التقارير التي ترد إليها من أصحاب العقول عن إمكانيات الأمة المادية والبشرية والمشاريع المقترحة لاستغلال هذه الإمكانيات الاستغلال الأمثل،
وكذا دراسة
الحلول المقدمة للمشاكل التي تعيشها الأمة، كما أن هذه الفئة مطالبة أيضًا بطلب كل البيانات اللازمة لأداء عملها، وطلب الدعم العلمي والتقني والفني في كل القطاعات التي تمس النهضة، ومسؤولية فئة أصحاب العقول أكبر بالنظر إلى الدور المنوط بها، فلابد لأفرادها من التزام المصداقية والأمانة العلمية والأصالة في البحث، وكذلك الإخلاص للأمة والعمل على الإبداع المتواصل، وبالنسبة للتنفيذيين فهم محرك النهضة من خلال تنفيذهم للمشاريع والبرامج المسطرة، فلابد أن يكونوا أهلًا لذلك من خلال التفاني في العمل والإخلاص، والتشغيل الكامل لقدراتهم.

وفي الأخير، يمكننا القول إن نجاح النهضة في الأمة يعتمد على العلاقة بين الفئات الثلاث، فكلما كانت العلاقة تكاملية وتبادلية كلما تحققت النهضة والعكس صحيح، لذا لابد من تفعيل دور هذه الفئات واختيار أفرادها اختيارًا يخضع لأسس علمية محضة، ومحاسبة المتقاعسين منهم، لأنهم يمثلون حجر عثرة في طريق الوصول إلى الهدف، وبالتالي فهم عكس إرادة الأمة، فلا سبيل لهم إلا الرجوع إلى الطريق الصحيح أو انتظار العقاب اللازم.

من فنون إدارة الخلاف في الصف الإسلامي:

آثارا واحتواء!

د. محمد سعيد باه
أستاذ جامعي - السنغال

قد يكون واردًا أن يصنف هذا الموضوع (الخلاف في الصفوف المنظمة)على أنه من النوع الذي لاكته الألسن وأميت بحثًا، لكنه مع ذلك يبقى حيًا حاضرًا، ومتجددة تعقيداته ومتكاثرة تأثيراته، ومن ثم يظل درسه ومتابعته، ورصد مظاهره، وتجلية تضاعيفه مطلبًا قارًا، فلن نكف عنه إلا وباغتنا على حين غرة، وبعبارة أقرب فهو جدول لن يطوى في يوم إلا وفتح في الذي يليه.

كثيرًا ما يتم الخلط ما بين المفاهيم عندنا إيثارًا للراحة بدل استفراغ الوسع في الاستقصاء والجمع والطرح من أجل انبلاج وجه الحق لنتبعه، رغم إلحاحنا جميعًا على الدعاء المأثور (اللهم أرنا الحق حقًّا..)، فحين يرد الحديث عن الخلاف داخل دوائرنا نحسب أن مجرد الوعظ الملهب للمشاعر كفيل بحسم المعضلات، وحل العقد النفسية والفكرية المتعاضدة مع عوامل ومسببات أخرى لا تقل تأثيرًا، هي التي تكمن وراء الظاهرة.

أقل ما يقال عن هذا التصور، في هذا الموقع بالذات، هو أن هذا تبسيط شديد للمعقد من الأمور إلى حد السذاجة، فمسائل الخلاف في الصفوف تنتمي إلى جملة الظواهر الاعتيادية اللازمة لأي تجمع بشري، بغض النظر عن طبيعته وبنية العلائق الرابطة بين أفرادها، مثل الضعف والنجاح والفشل والاتساع والانكماش، كلها أعراض تعتري الجموع كما تدرك الأفراد سواء بسواء.

التعويل على سند الطهر

ومن الأخطاء الرائجة اليوم في صفوف العاملين لاستعادة مجد الإسلام في كثير من المواقع، الاتكال على سند الطهر الذي يكاد يضاهي العصمة في حكمنا على الناس، وهو ما يضخم السقطات عند وقوعها، وهي آتية لا محالة، وبهذا فالمسألة هنا تكتسي طابعًا تربويًا جليًا وتنظيميًا، بمعنى أننا نرتكب الخطأ من بداية الطريق حين لا نعد للأمر أهبته فنهيئ أنفسنا لكل الاحتمالات، حتى إذا وقع الخلاف كان الجو ملائمًا للتعامل معه بواقعية ولباقة وبأعصاب غير متشنجة.

العمل الإسلامي مفهومًا وإطارًا

«العمل الإسلامي»، هذا مصطلح ذاع، وقد استحدثه من اصطلى بنار الواقع المرير الذي ران على ديار الأمة ردحًا من الزمن، من أجل التعبير عن حالة ناشئة فيها، وهي حالة الانبعاث إثر تلك الرقدة التي طالت، كادت توردنا مورد الاندحار لولا أن تداركنا الله بلطف منه وفضل، وهي الحالة التي تصنف على أنها «صحوة إسلامية»، واختار الشيخ عبدالسلام ياسين (رحمه الله) التعبير عنها بمصطلح نحته على هذا النحو: «القومة الإسلامية»، وفي الحالتين فهم ناهضون غير ناعسين.

وفي البدء انحصر توظيف هذا اللفظ المركب، اصطلاحيًا على الأقل، داخل الأطر الإصلاحية التي نشأت من جمعيات وتنظيمات وحركات واتحادات وما شاكل ذلك، لكن بعد تلك التقلبات العاصفة التي اجتاحت الساحات الإسلامية مشرقًا ومغربًا، لم يعد من الإنصاف، ولا من المصلحة الراجحة حصر مصطلح «العمل الإسلامي» على ذلك النوع من الأطر وحدها طاردين من الساحة كل مزاحم ولو كان فاعلا للخير لسنا أقوى منه نسبًا ولا أمتن صهرًا إلى دين الله القويم.

بل، علينا اليوم أن نوسع دائرته ليشمل كل نشاط هادف، سواء أقام به فرد أم جماعة أم مؤسسات أم دول، يتوخى العودة بالأمة إلى ينابيع الخير الصافية، وذلك بغض النظر عن الرؤى الفكرية أو الخيارات المنهجية وما يتبع ذلك من الفوارق والشارات والعناوين التي يمكن أن تتجاور دونما خصومات مستفزة ثم تدفعنا إلى التعارك والتطاحن أقوالاً وأفعالاً.

الاختلاف مفهومًا ومضمونًا

الخلاف مصطلح رائج لكن توظيفه يظل في كثير من الأحوال، داخل الأطر الدعوية الشبابية، غير منضبط، وللانتقال من هذه الوضعية المربكة، علينا أن نلحظ ذلك الفرق الهائل القائم بين «الخلاف المزري» الذي يدفع الصف المتماسك إلى حالة التضعضع، وبين «التنوع المثري» في الرأي والخيارات والمناهج والرؤى، وفي هذه الحالة تكون الثمرة اليانعة أن تستثمر الطاقات المهدورة والجهود المبذرة، في التشييد وتوجه القدرات الخلاقة المعطلة نحو البناء لا للتهديم.

لنجلي الفكرة التي نريد تسويقها هنا حول المصطلح الذي يمثل نقطة الارتكاز في هذه الأسطر، وهي فكرة نظن بأنها تستحق أن تسخر في سبيلها كل فنون الدعاية والدلالة، فلنستعن بما قاله ابن منظور بلسان عربي مبين في لسان العرب:

«والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة».(١)

ونلحظ في باقة الآيات التي تخيرها صاحبنا بدقة وعناية، في هذا الباب، من أجل تدعيم ما ذهب إليه من تدقيقات وترجيحات، وجود نوعين يتعاكسان من معاني الاختلاف:

- ذلك الممقوت الهادم الذي شنعه القرآن، ووبخ من يمارسه:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم:٣٧).

- ذلك الدال على عظمة الخالق، وجمال صنيعه، وروعة وتناسق ما خلق وبرأ، والذي يحسن الاهتداء به إليه، والاقتباس منه في فهم سديد ونهج قويم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم:٢٢).

والآيتان، بهذا الفهم المنضبط، دليلان شاخصان على تلك النظرية السديدة التي هدي إليها ابن منظور في تشخيصه الرائع حيث يقول:

«لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين».

كم كان سينصلح الحال، لو نشرنا في ربوعنا فقهًا للتنوع بهذا القدر من الخصوبة واليقظة، بحيث نتحرك في عرصات العمل الإسلامي بذلك الشعور الذي نخطو به في فجاج الأرض مشرقين أو مغربين في اتجاهات تتعامد وتتعاكس ثم لا نقول:

﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِّنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء:٩٤).

ومن اللطيف أن نلاحظ أن هذا التوجيه التربوي العالي، إنما ورد في سياق الحديث عن واقع غير سوي، عن ظروف الحرب وملابساته والمسايفة وضغوطها، كما هو واضح في مستهل الآية: ﴿إِذَا ضَرَبْتُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقد علق الإمام الطبري على المقطع الذي نعنى به في الآية:

«ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرًا لكم أنه من أهل ملتكم ودَعوتكم».(٢)

تشخيص قرآني آخر لطيف.

وظف القرآن الكريم تعبيرًا مرادفًا وموحيًا للحديث عن آثار الاختلاف:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦).

ففي هذه الآيات المباركات حشد من الحقائق المجلية والمشخصة لكثير من العلل التي تفتك اليوم بصفوف الشباب المنضوية تحت ألوية الأطر الإصلاحية، يجدر أن نسجلها ولو في عجالة لعلنا نهتدي على ضوء نورها إلى بعض العلاج لتلك الالتواءات:

- تشخيص صارم لأهم أسباب الفشل ونتائجه المدمرة على الصف، ويتعاضد هذا مع التشخيصات الواردات في نصوص متضافرة ومعاني متكررة تتناثر عبر القرآن الكريم.

- الصبر بمفهومه الأصيل، وليس بذلك المعنى المحرف الدخيل المخدر لعزائم العاملين، والمثبط لهمم الشباب الوثابة كي تجعلها تستكين وتتطامن، لكنه بمعنى (العطاء الثر، الثبات والتحمل، النفس الطويل)، هو طوق النجاة.

- وراء هذه الانحرافات التي تتجمع لتعبر عن نفسها من خلال مظهر متكرر، وهو التنازع المفضي إلى التطاحن، تكمن علل نفسية فتاكة متنوعة، منها العمل، تحت لافتة ابتغاء رضوان الله، للأضواء أو السعي إلى مآرب فئوية، حزبية، فردية ضيّقة، وهي العلل التي أجملتها آية سورة النساء ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

- هذا السلوك غير السوي يفضي في أبسط نتائجه إلى تحول العنصر المنتسب من عامل دافع إلى عقبة معرقلة لسير الصف واتساع دوائره، وتنصرف الجهود عن تنميته هو واستثمار طاقاته وتوظيف إمكاناته إلى إسعافه وعلاجه (ليبرأ من علله)، وربما وصل الأمر إلى محاولات مستميتة، إذا لم يكن مستوى الوعي قد بلغ المعدل الصحيح، من أجل بتره تخلصًا، أو سلقه انتقامًا، وفي الحالين فالخاسر هو المشروع المشترك.

رصد.. والانعكاسات

على ضوء قراءة متأنية للآيتين الكريمتين السابقتين، نستطيع رصد جملة من الآثار، والانعكاسات السلبية للاختلاف داخل الأطر الإسلامية الشبابية:

١- الانصراف عن المشروع الإسلامي الجامع إلى السفاسف من الأمور والتوافه من القضايا، أو على قراءة أكثر عمقًا وأشد تدقيقًا، أن تفقدوا «ما كنتم فيه من الإقبال»(٣) كما فهم ابن كثير من الآية التي مرت حين فسر: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، على هذا النحو الذي يلامس الواقع المغبر الذي نسبح في فضاءاته الملغومة بالإحن التي لا تولد إلا المحن، نتيجة الشحونات المضغوطة التي أصبحت تشكل اليوم أبرز عنصر على موائد التغذية الفكرية التي تقدم للشباب المسلم في أغلفة غاية في التضليل الممنهج، الذي ينطلي حتى على بعض ذوي الرشد ممن عركهم الدهر وعصروا شطريه.

٢- استهلاك الشباب وشغلهم بصورة سلبية، بل وإغراقهم في بحار الجزئيات ومحيطات الشكليات، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا بفعل لبس كثيف داخل المسامع، واستوطن المفاهيم، ثم كان الغبش الذي يفقد الرؤية السديدة والسير القويم على نور من ربهم.

٣- استبدال الأقوال بالأعمال ناسين القاعدة الذهبية: «الأفعال أعلى صوتًا من الأقوال»، فالشواهد كاثرة في أن المتاجرة بالأقوال لا تتطلب رأس مال كبير، وقد لا يتطلبه البتة، وقد يفسر هذا كثرة من ينافسون القس على منصبه اليوم في التشدق فوق المنابر،

وهو الداء العضال الذي سماه أحد حكماء الدعوة بفيروس الميكروفونات.

٤- تحول الأطر والقوالب من وسائل واجتهادات آنية إلى غايات يستمات ويغالى في الحفاظ عليها لذاتها، وعلى حساب الجامعة الكبرى والانتماء الأصيل، إذا كنا نصف بالغباوة من يساوي بين مقعده في الطائرة وبين طوافه بالبيت العتيق، بعد أن أوصلته اليعملة الجوية، فحري أن نشكك في سلامة عقل من يقدس الوسيلة مهما كانت فاعليتها، وإن ضحى بالغاية، أو نرتاب في استقامة قصده أصلًا.

٥- تمكين الخصوم من الامتداد في ذلك الفراغ الهائل الذي سيوجده التقوقع والانكفاء هروبًا من مناطحة الخصوم الحقيقيين في ساحات الوغى الحقيقية، أثبتت التجارب بأنه لا تثور الخلافات وتكثر المنازعات إلا والهدنة مبرمة مع الخصوم الحقيقيين، وإلا بم نفسر تعليق البعض انتصار الإسلام على دحر خصم يزاحمه الصف الأول في البردين بينما الملل والنحل تنفث سمومها في عقر داره.

إعطاء صورة في منتهى السلبية عن المشروع الإسلامي بأنه ليس إلا مجرد معاركة داخلية لا تهادن صديقًا ولا تستحسن فعلا، وقد يصل الأمر من الفداحة إلى ارتكاب جريمة «الصد» بدل الجلب والجذب، وقد يقترب الوضع من جنون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾، وربما انعكس ذلك كله على المشروع الإسلامي نفسه، وهي جناية قد لا تغتفر.

رواج أطروحات مضللة نتيجة غياب المرجعيات المؤهلة التي تغيب، أو تغيب حين يبلغ الاحتقان درجة الاختناق، لاعتبارات حزبية أو فئوية أو..

عن الإمام مالك بن أنس: «بكى ربيعة يومًا بكاء شديدًا فقيل له: مصيبة نزلت بك؟ فقال: لا! ولكن استفتي من لا علم عنده!».(٤)

عدم التأهل للنصر (لأن الصف المعوج ليس أهلًا للتأييد من السماء)، وهنا نصاب بالمقتل، حين نكد ونجد ونجري خيلنا في باطل، لأن الخلاف نزع منا حق التأهل لأن نغاث.

نقاط في دائرة المعالجة

والقراءة الثانية محاولة لالتقاط تلك النقاط الكامنة التي يمكن توظيفها في إطار المعالجة (الاحتواء):

١- التربية العلمية العملية المتكافئة، والتي تحمي من الجنوح والانزلاق، ومن أمثلة ذلك أسلوب الإرهاق الذي اتبعه النبي ﷺ يوم شجر الخلاف بين الصحابة، فارتحل بهم ساعات حتى هدهم الإعياء، ومالوا نعاسًا فوق الرواحل، ولما نزلوا سارعوا إلى الارتماء في أحضان النوم ينشدون الاستجمام، وحين استيقظوا كان شبح الخلف قد طار من رؤوسهم (٥).

التربية الروحية المتوازنة التي تخلص من حظوظ النفس، وتجرد من أدواء خطيرة من النوع الحالق: الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى، بخس الآخرين حقوقهم، التطلع لما فوق المقام، واستشراف الحظوظ، والمسارعة إلى الوقوف في الدائرة المضيئة دونما استحقاق...

٢- ضبط الخلاف والحسم المبكر إعمالًا للقاعدة الأصولية الذهبية «تحرير مناط الخلاف».

٣- الترجمة الصحيحة والواقعية لقيم الأخوة الإيمانية.

٤- الالتزام بالشورى الداخلية منهجًا للتعاطي مع المسائل.

٥- امتلاك معايير دقيقة لوزن القضايا وفرز المسائل.

٦- الإيجابية في الحكم على الآخرين (حسن الظن وجمال التأويل).

(ماذا نقدم وماذا نؤخر؟ متى نقدم ومتى نحجم؟ وما الجرعات المناسبة للعلاج عند تحتمه...؟)

٧- الاهتمام بالتأهيل الفكري للعناصر العاملة (القدرة على قراءة الواقع بصورة دقيقة).

٨- وعي أهمية نشر ثقافة الحوار، وقبول الرأي الآخر بصدر رحب في الأوساط الشبابية.

٩- الاهتمام برصد تلك المفاهيم والمصطلحات التي تروج في أوساط العمل الإسلامي، وتكون غالبًا مصدرًا لميلاد بؤر التوتر غير المجدي.

الوصية الأخيرة: وقد يجمل بنا أن نختتم هذه الملاحظات العابرة، تلك الوصية الجامعة التي أهداها النبي ﷺ إلى أحد المقربين إليه من الصحابة: «ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى! قال: صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرب بينهم إذا تباعدوا» (٦).

وفي هذا النوع من التجارة، لا مجال لصفقات مشبوهة، ولا يقبل التحول إلى وكالة أنباء داخلية ولا مقص حاد سريع البتر، وإنما إبر وجسور، خيوط وقنوات تنمي الخير؛ مفاتيح توصد أبواب الفتن وتتفتح أبواب الوصال لانتشار أفضل الخصال.

الهوامش

١- ابن منظور، لسان العرب.

٢-انظر تفسير الإمام أبوجعفر الطبري، من إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣- الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٤- أورده الإمام الشاطبي في باب التاسع من كتاب الاعتصام.

٥- انظر تفاصيل القصة في الرحيق المختوم، حيث يروي تفاصيلها في سياق أحداث غزوة.

٦- رواه البزار عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فذكره.

الأخلاق التنموية.. مفتاح سري للأزمة

أحمد مصطفى علي
باحث دراسات إسلامية

يصيبني العجب الذي يصاحب مفكري الغرب، في نظرتهم لحال وطننا العربي، من المحيط إلى الخليج، رغم الكم الهائل من الثروات البشرية والطبيعية المتنوعة فوق الأرض وتحتها وحولها من بحار ومحيطات، وشمس ورياح، فضلا عما يطلق عليه الانتماء والأصالة وجينات العبقرية المؤكدة وفق حقائق التاريخ الحضاري الممتد عبر العصور، لرسل وعظماء وعلماء وضعوا أهم الخطوات وأصعبها في الحياة لنهضتها وقت ظلام الكون، عبر مبادئ وأخلاق، وضعت أول إقرار في البشرية لحقوق الإنسان والحكم الرشيد، وأقدم إسهامات يعتد بها في العلوم الإنسانية والعلمية، كالطب والصيدلة والفلك والرياضة والفلسفة والاجتماع.

ورغم ذلك، فإننا مازلنا وطنا عربيا مشرذما، ما بين جريح وذبيح ومستباح ومستنزف أو مستغرق في النوم والشرود والسبات العميق.. فنحن ما بين مستهلك للتقدم، أو سائر في ركاب الآخرين، أو غائب كليا عن ذلك وذاك، مهدرين الأمانة الإلهية في الاستخلاف في الأرض، والحفاظ على ثرواتها وتنميتها، وإعداد الأمة ونهضتها، وكأننا غير عابئين بتلك المهمة المقدسة التي شرفنا بها الخالق.

فهنا نحن نبيع كل شيء، التاريخ والطبيعة والزمن والشعوب، فمواطنونا تفنى حياتهم ما بين البطالة أو الفقر، أو الضعف أو السفر والترحال، أو نتركهم لينعم بهم غيرنا كمهاجرين، وها هي الثروات الطبيعية نمنحها بأبخس الأثمان كمواد خام ونشتريها صاغرين كمنتجات باهظة التكلفة، وثروات أخرى نتركها تضيع مع الخواء، وهذا كله من قوت ودم شعوب حاضرة، ومستقبل أجيال أخرى لم تر النور بعد.. أو كأننا- فيما يبدو- وطن غير عابئ بالتاريخ والجغرافيا.

هذا بالرغم مما جاء به الدستور الإلهي لمهمة الاستخلاف ونهضة الأرض، وبنائها بالخير والنماء، عبر رسالات الأديان السماوية الثلاث، والتي جاءت جميعا في رحابنا الطاهرة، لنأثم بذلك أكثر وأكثر.

لقد أهدرنا المحيط الحيوي الذي طولبنا

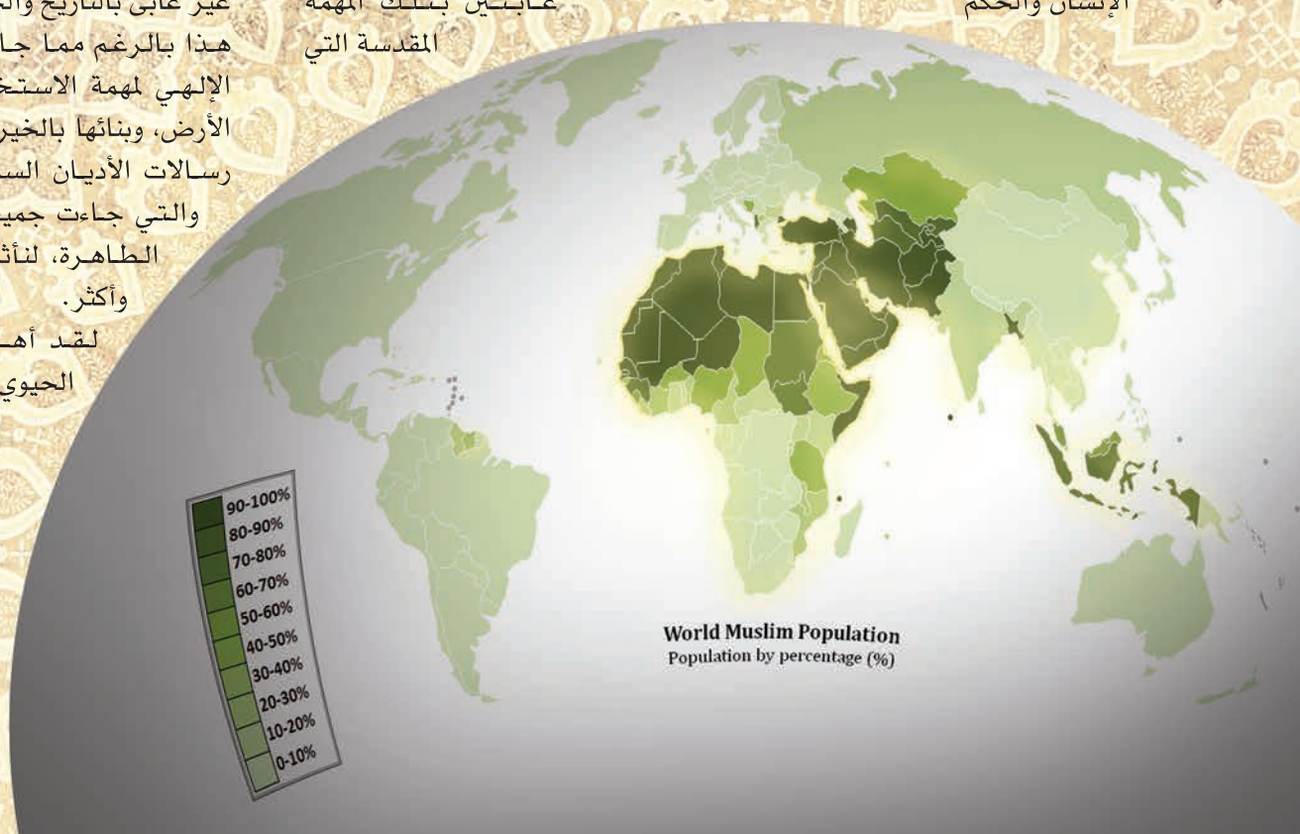

بحمايته في القرآن والسنة، وضيعنا الحكم الرشيد وحقوق الإنسان التي أخبرتنا بها شريعتنا الإسلامية السمحة، وتناسينا التفكر والتدبر والتعقل، والذي جاءنا القرآن الكريم بتأكيدات لها عبر ١٦ موضعا لذكر التفكير ومشتقاته، و٥٩ مرة للتعقل ومشتقاته.

وكحقيقة واقعية، فإن هذا التعقل والتفكر ربطه الإسلام بالخير والنماء، أي بالأخلاق، والتي جعلت محورا لتحقيق التنمية المستدامة بمفهومها الشامل في شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، وذلك باستنباط الخلق المزكي لقيمة العمل الجماعي والمحبة، والخلق الحافظ للروابط الاجتماعية، والخلق المحقق للحكم الرشيد واستقامته، والخلق الملزم بالتعليم الإبداعي والثقافي المرتبط بالقيم، والخلق المحقق لحقوق الإنسان.. للمسلم والكافر والذمي، بل وكافة الموجودات الحسية، بل والجمادات.

لعلنا مازلنا نستعيد مقولة العالم الفقيه الراحل محمد عبده، في أواخر القرن التاسع عشر، حينما وصف التقدم في أوروبا قائلا: «لقد وجدت عندهم الإسلام بلا مسلمين، ووجدت عندنا (العالم العربي) المسلمين بلا إسلام»، وهي المقولة التي فشل أئمة الإصلاح في تغييرها، برغم كمّ الجهود الرائعة المبذولة عبر العصور، فمازالت لدينا قيم السلبية والإهمال وعدم الإبداع والإتقان، وانعدام العدالة الاجتماعية والوظيفية والسياسية.. بل والقانونية القضائية أحيانًا، في حين يطبق الغرب قيمنا الإسلامية في الحكم والإدارة والسياسة، والعلم والعمل والاجتماع، ولا ينقصهم سوى قيمنا الأسرية، والتي لو طبقوها لاكتملت الصورة النهضوية لهم، فيما تعانيه هذه المجتمعات من علاقات جنسية مشوهة، وتفكك أسري، وهي الوصمة الوحيدة لديهم.

فأوروبا وأميركا صنعت تقدمها بقيمة الإخلاص والشفافية والعدالة في الحكم، والعمل، والإدارة، وبقيم الرحمة للفقير عبر التكافل الاجتماعي، وهذا الكم من المجتمع المدني والبالغ في دولة مثل بريطانيا حوالي ٢ مليون جمعية أهلية و٢٢ مليون متطوع يقدمون أعمالا تقدر قيمتها بما يزيد على ٤٠ مليار جنيه استرليني سنويا، فيما يعرف بتوظيف قدرات المتطوع وشراكته للتنمية الحكومية، وهو على النقيض من أوضاعنا العربية، فدولة مثل مصر يصل تعداد جمعياتها الأهلية ٢٥ ألف جمعية، يبلغ ٨٠٪ منها الشكل الأسري الذي لا يحقق أي فائدة للمجتمع، بينما يشكل إجمالي أعداد المتطوعين ٦,٤٪ فقط بقيم أعمال لا تتجاوز مليون جنيه مصري سنويا، وهو ما يعكس الفشل وانعدام الضمير في توزيع قدراتهم تجاه التنمية، برغم الكم الهائل من آيات القرآن والأحاديث الشريفة التي تحث على الخير والعطاء للمجتمع.

ولذلك، فإنني أرى أن جل مشاكلنا دينية الطبع، أي أخلاقية، فالدين في تعريفه الشامل هو الخلق، وللأسف الشديد فقد أبينا أن نحقق المفهوم الحقيقي للدين، والذي وضع الإسلام له من مبادئ العمل والعلم والإدارة الأخلاقية ما جاء تأكيد عبقريته عبر العلوم الحديثة، كأساس وسبيل لإحداث التنمية.

والتساؤل الذي يفرض نفسه: هل صنعت الأمم تقدمها بغير الجدية والإخلاص والضمير والعدالة والتكافل والرحمة؟

وبما أن السؤال السابق إجابته ضمنية ومعروفة، فيجدر بنا أن نتعرف على واقع الأزمة العربية عبر بعض الحقائق والأرقام الموثقة بالهيئات الدولية والأكاديميات العلمية الغربية، لأننا من خلالها لن نجد تعليلا لوجود أكثر من نصف احتياطي الثروات البترولية والتعدينية لكوكب الأرض لدينا كعرب، ومع ذلك تختفي كافة سبل النهضة الحضارية من عندنا، بل ونجهل جميع الصناعات الكبرى المرتبطة بهذه الثروات، ويزداد بذلك وضعنا ضعفًا سياسيًا ونهضويًا، ولتخيم علينا هواجس المستقبل المخيف والمرعب تجاه أجيالنا القادمة، بعد أن تنضب ثرواتنا التي نعتال عليها..

والأكثر استفزازًا أن ما يتبقى من مدخرات مالية من هذه الثروات، والتي تتجاوز ٨٠٠ مليار دولار، وضعت في بنوك أميركا وأوروبا لتدعم اقتصادها بتدويرها في مشروعات كبرى بدلًا من أن تدعم اقتصاد وطننا العربي في مشروعات تنموية وصناعية كبرى نحن في أمس الحاجة إليها.

أما الثروات الطبيعية غير المستغلة، فتلك قضية خطيرة لا تقل أهمية عن الثروات الطبيعية المهدرة، ومنها ما يمتلكه العرب من سحر الجغرافيا، عبر ١٤,٢٧٠ مليون كيلومتر مربع، أي عشر مساحة يابس الكرة الأرضية، وعبر ٢٢ دولة تمتلك كافة مقومات الطبيعة

الخلابة من جبال وهضاب وبحار ومحيطات وجزر وأنهار وصحاري، فضلًا عن قرابة نصف آثار العالم، أي أن العرب يتمتعون بكافة مقومات السياحة بأنواعها التاريخية والأثرية والرياضية والمؤتمرات، بالإضافة للسياحة العلاجية والطبيعية، والبيئة المتمثلة في أصالة العادات والتراث والتقاليد، ولكن مجمل تعداد السياحة لمجمل دول الوطن العربي لا يتجاوز ٦٠ مليون سائح، في حين أن أوروبا يزورها أكثر من ٤٥٠ مليون سائح، بل دولة واحدة كفرنسا تنعم بعدد ٧٧ مليون سائح سنويا، أي أكثر من تعداد السياحة لجميع الدول العربية مجتمعة، لدرجة أنه لا توجد أي دولة عربية في ترتيب أول ١٠ دول الأكثر جذبا للسائحين.

أما إذا تحدثنا عن وجود أكثر من ٢١ ألف كيلومتر من السواحل المائية و٥٠ نهرًا في وطننا العربي، سيصيبك جزع جنوني من كوننا نستورد الأسماك بدلًا من تصديرها، بل وتكاد تختفي لدينا كافة أنشطة البحار السياحية والرياضية.. إلخ، في الوقت الذي تصدر فيه دولة كالصين نسبة ٥٥٪ من الإنتاج العالمي للأسماك، رغم أن طول سواحلها المائية لا يتجاوز ١٨ ألف كيلومتر، ولعل الحديث عن الثروات الطبيعية غير المستغلة يحتاج إلى مجلدات، فهناك طاقة الشمس والرياح، وتحلية المياه، وما إلى غير ذلك.

أما أكثر الطاقات المثيرة للاستفزاز والحسرة فهي الثروة البشرية، والتي أصبحت لدينا معوقا للتنمية، بدلا من كونها داعمًا رئيسيًا لها لدى معظم الدول، وذلك في الوقت الذي نجد فيه دولة فقيرة مثل الهند استطاعت تغيير أوضاعها الاقتصادية، وتحقيق دخل سنوي يزيد عن ١٢ بليون دولار سنويا عبر استغلالها للطاقة البشرية، في مجال الحاسوب والبرمجيات فقط، وهي الآن تجتذب علماءها وشبابها المبتكرين المهاجرين للعودة إليها، وذلك بعد أن استطاعت بنجاح باهر نشر استخدام وصناعة برامج الحاسوب لدى النساء والأطفال في المنازل، وإجبار أميركا على تعويضها عن علمائها المهاجرين إليها.

وفي المقابل نجد لدينا من القوى البشرية ما يلائم حاجتنا للتقدم، حيث يبلغ قوامها ٣٣٩ مليون نسمة، ولكن للأسف معظمها إما معطل أو مهدر أو ممنوح للغير، وذلك لأسباب متعددة كالفقر أو الصحة أو ضعف التعليم والتدريب.

ويرتبط بتلك القضية موضوع أكثر خطورة، وهو هجرة عقل هذه القوى، أي جوهرها الثمين القادر على تغيير موازين القوى، ونعني بذلك نخبتنا العلمية والفكرية الخلاقة والمبدعة، حيث منينا نحن العرب بهجرة العقول العربية، فقرابة النصف مليون خبير وتقني وعالم عربي هاجروا لأوروبا وأميركا، وصاروا مساهمين بشكل فعال في نهضتها، وحسب إحصاءات جامعة الدول العربية ومنظمة العمل الدولية فهناك ١٠٠ ألف عالم وطبيب ومهندس يهجرون بلدانهم العربية سنويًا، و٧٠٪ منهم لا يعودون إليها ثانية، كما أن هناك ٥٤٪ من طلبة العرب في الخارج لا يعودون لبلدانهم بعد استكمال دراستهم، ولا يمكن تقدير كمّ الخسائر الحالية والمستقبلية من هجرة هذه العقول العربية، ويمكننا توضيح ذلك ببعض نتائج الدراسات العلمية، والتي توضح أن ٣٤٪ من الأطباء الأكفاء في بريطانيا من أصول عربية، وفي دراسة دقيقة للمعهد القومي للتخطيط بمصر أوضحت أن خسارة الوطن العربي من المهاجرين تقدر في أدنى حد لها بحوالي ٢٠٠ مليار دولار سنويا.

وعلى الرغم من كل المواجع الموجودة فينا، فإن الأمل موجود، بإعادة تأصيل أخلاقنا الكريمة، ودحض ما جنته علينا سياسات الفساد، من سلبية وظلم وغدر وأنانية وإهمال، وأول الطريق لذلك هو ضمير القائد، وإحساسه بمسؤوليته عن رعيته، فعن طريقه يمكن اختيار الصفوة الخلاقة والمبدعة القادرة على معاونته، فمعاونو الحاكم هم سر نجاحه وفشله في آن، ولو بدأنا بذلك، فسنجد طريقنا لسياسات إصلاح التعليم والتعلم وربطهما بالتدريب التقني والمهاري والثقافة المعرفية، حتى لا نترك كل هذه الثروات العربية بلا استغلال ورعاية، رغم الإمكانات التي تؤهلنا لذلك، فلو اختير الأكفأ في كل موقع، حسبما طالبنا الشرع، لما وجدنا هذا الكم من الضعف الحضاري في السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا والصحة وغيرها، من نتاج جرائم الفساد والإهمال والإهدار المقصود وغير المقصود.

ولو عرفنا قيمة المبادئ الأخلاقية في الإسلام، لقدَّسنا العلم والتعلم، ولما كان لدينا هذا الضعف في مستوى الخريجين غير المبتكرين، وهي أمور ترتبط بضمير غائب أيضا لدى معلمين وأكاديميين عليهم مسؤولية صناعة جيل يبعث النهضة التي تحتاجها الأرض في

الخير وليس الشر، ولكن أين لهؤلاء بضميرهم، وهم مغيبون بفعل ضعف الإدارة والاستراتيجية الواضحة لسياسات تنموية عقيمة.

فمقومات تحقيق نجاح الإدارة هي سبيل واضح للتقدم، وفي ذلك تشديد إسلامي على عدم تولية إلا الأصلح في كل موقع، ويتضح ذلك في الآيات القرآنية، وعبر عدة أحاديث نبوية شريفة، منها قوله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله»، ومنه حديثه في تسلسل القيادة واتباعها، قوله ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمرواعليهم أحدهم» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

واكتملت معالم توضيح خطورة اختيار القائد شرعًا بوقوع مسؤوليته على جميع المسلمين، وأن نحيطه بأهل الحل والعقد بصفتهم النخبة العلمية والفكرية المساندة لنجاحه، وهي الفكرة التي اعتمدت عليها حديثا الدول العظمى كمقوم لريادتها، فرؤساء أميركا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا يحيطون أنفسهم بمستشارين من النخب العلمية والفكرية والسياسية، ومنهم المعارضون للحاكم ذاته، إيمانًا بخطورة دور هؤلاء في دعم الرقي وصناعة النهضة.

إنها أمانة خطيرة، تلك المتعلقة بتولية أصلح الناس وأقواهم على تحمل عبء المسؤولية في جميع المواقع، وفي ذلك يقول ﷺ: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» (أخرجه مسلم في صحيحه)، وقوله ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: يا رسول الله ما إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (أخرجه البخاري).

وهذه شروط أوضحها الفقهاء، وقالوا بأنها واجب في كل ولاية كبيرة أو صغيرة، ومنها الإسلام، والعقل، والذكورة، والعدالة، والعلم، وهي بذلك شروط موجزة للكثير من القيم، فالعدالة تعني في جملتها: الأخلاق الفاضلة، والإسلام يستلزم اتباع مبادئه في مكارم الأخلاق.

ويضع الإسلام قيم ومبادئ الإدارة الأخرى المحققة لمفهوم الرضا الوظيفي للموظف المجتهد، ليس فقط بمنحه الأجر قبل أن يجف عرقه، كما أخبرنا الرسول الكريم ﷺ، بل علمنا تكريم المخلصين والمجتهدين، والعمل على توفير الراحة والترويح لهم، ولو على حساب صاحب العمل.. وهي المفاهيم التي أكدتها علوم الإدارة في رفع إنتاجية العمال والموظفين حيال تحقيق الرضا لديهم، وعدم إنهاك قواهم، كسبيل لقوة الأداء ورفع الإنتاج.

لقد جاء الرسول ﷺ لسعادة البشرية، وعلمنا كيفية الاستفادة من العلوم والابتكارات لخدمة ورفاهية الإنسان.. يقول في ذلك المفكر الغربي Joe Simpson: ليس في القرآن ما يتعارض مع العلم الحديث، بل أيضا به ما يمكن أن يلهم العلماء ويضيف مفاهيم جديدة للعلوم التقليدية، مضيفا أن القرآن الكريم فضلا عن كونه كتاب عقيدة وهداية ومنهاج حياة، فإنه كنز للعلوم يهدي العلماء كل حسب تخصصه إلى أبحاث جديدة، ويحقق- في حال توظيف إشارته العلمية بصورة صحيحة- خدمة المعرفة والتقدم العلمي وصولا لخير البشرية وسعادتها.

ثم تأتي حكمة الإسلام البالغة، في الوحدة وعدم التشرذم، وهو ما استطاعت أوروبا تحقيقه بنجاح باهر، عبر أوروبا الموحدة، منذ ما يربو على عقدين من الزمان، فالوحدة توفر مقومات التقدم، فما لدولة من طبيعة ساحرة، وأخرى من قوى بشرية متميزة، وثالثة لها ثروات تعدينية رائعة، ورابعة عبر أراضي زراعية شاسعة تستطيع توفير الغذاء للوطن بأكمله، ولو اكتملت الصورة، لاستطاعت الدولة صاحبة الثروة التعدينية أن تكملها بالتكنولوجيا والاختراعات الحديثة، ولتملكت الدولة الزراعية آليات الاستزراع والإنتاج الغذائي، وذلك بالتكامل فيما بين الدول، وإلغاء الحدود المشتركة التي صنعها الاستعمار، والمكرسة بشكل أوضح عبر اتفاقيتها الشهيرة «سايكس بيكو» في أوائل القرن العشرين الماضي.

إننا لا نحتاج لدولة إسلامية الشكل والمنظر، بغية تحقيق وجودنا، بقدر ما نحتاج لقيم ومبادئ إسلامية حقيقية، نصنع بها نهضتنا بين الأمم، على أساس من الأصالة والانتماء، والتقاليد والقيم العابرة للأزمان والعصور، والقابلة لهضم كل جديد، وإذابته، من أجل رقي البشرية، وإنجاح مهمة الاستخلاف في الأرض.

تأملات في الإدارة الناجحة

د. سلطان السهو
دكتوراه في المحاسبة

علينا أن ندرك جميعًا بأن الإدارة والموظف «العامل» كلهم في مركب واحد، لذا يجب التركيز الكبير على اختيار المديرين والموظفين قبل التفكير في الاستراتيجية.

فالحكمة تقتضي أن يلتقي الطرفان في منتصف الطريق لتحقيق المصلحة المشتركة.

والإداري الناجح هو الذي ينظر إلى جوانب القوة في مرؤوسيه، ويعمل على اكتشافها وتنميتها والاستفادة منها. وقبل ذلك إعطاء كثيراً من جهدنا ووقتنا لعملية اختيار موظف جديد وعمليات الترقي واختيار المديرين.

ولا بدّ من أن تنظر إلى مَنْ تبحث عنه، فإن من المهم البحث عن أفراد متميزين لديهم حماس وانضباط، ولديهم الحب للعمل والرغبة في تحقيق النجاح.

كما يعمل المدير الناجح على معالجة جوانب الضعف في مرؤوسيه، من خلال:

١. توجيههم.

٢. أو تدريبهم.

٣. ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ولا بدّ أن يتركز في الأذهان بأن النجاح يحتاج إلى الصبر والمثابرة، فإذا أردت أن تكون مدير ناجحاً؛ احترم موظفك، وعامله على أنه ضيف عندك.

قال تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

وقال أيضًا في الآية (٢٦٣): ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (رواه أحمد).

ويتوقع الموظف من مديره حماية مصلحته وليس معاداته، إذ إن ثقافة العقاب والتهديد لا تصلح للشركات الكبرى الراقية، إذ الأولى بها أن تتبنى ثقافة الحرية مع الانضباط.

وإذا كنت تريد ولاء موظفيك، فيجب عليك أن تقدر وقتهم وقدارتهم، وتتجنب ثقافة المدير الفذ الذي يعتقد أنه يستطيع وحده معرفه الصواب من الخطأ في دقائق الأمور كلها.

وهذه النظرة لا تصلح للشركات العظيمة الناجحة.

وإذا استطعت حقيقة أن تقوي قدرتك حتى تضع نفسك مكان الآخرين وأن تفكر بما يجول في تفكيرهم؛ فإنك تكون قد قطعت شوطاً طويلاً لتكون مديرًا ناجحًا.

الأدب!

هنادي الشيخ نجيب - كاتبة لبنانية

يقولون: «ابدأ بالمهمات الصعبة، وستنقضي المهمات السهلة وحدها!».. لذلك اخترت أن أحدثكم اليوم عن السهل الممتنع.. وهو السهل الذي قصرنا فيه كلنا، وبسبب هذا التقصير امتنع النجاح عنا، وتعقَّدت كثير من أمورنا، ولم نعد نستطيع إنجاز الأمور الصعبة ولا حتى الأمور السهلة!

ولعلنا هنا نطرح تساؤلا يعيد إلى أذهاننا بعض التوازن:

ترى، إذا لم نقدر على إنجاز أعمال عظيمة، أفلا نستطيع أن نمارس أعمالا صغيرة، ولكن بشكل متقن وعظيم؟!

وقبل أن نجيب عن هذا الطرح، أود أن أذكِّر بالقاعدة التي تقول: «اعمل بذكاء، أفضل من أن تعمل بجهد فقط!».

هو رجل يخرج من بيته كل صباح، ليشتري صحيفته المفضلة من الكشك الصغير على زاوية الشارع مقابل بيته.. يلقي التحية على البائع، ثم يأخذ الجريدة ويدفع ثمنها ويخرج، دون أن يحظى- إطلاقا- بردّ من البائع! واظب الرجل على عادته وقتا طويلا، برغم عدم اكتراث صاحب الكشك به.

راقب أحد الجيران الرجل عدة مرات وهو يتودد إلى البائع دون جدوى.. استفزه الحال، وأراد أن يعلق عليه، فاستوقف الرجل ذات يوم وسأله مستغربا: «لماذا تسلم على صاحب المحل يوميا، مع أنني لاحظت أنه لم يرد عليك ولا مرة واحدة؟!»، استفهمه الرجل: «وما الغريب في ذلك؟»، قال الجار: «الغريب هو إصرارك على إلقاء التحية والهش والبش في وجهه رغم جفائه وقلة اهتمامه»، فاستفسر الرجل: «وما هو السبب برأيك في أنه لا يرد؟!»، أجاب الجار بتلقائية: «أرى أنه- وبلا أدنى شك- رجل غير مؤدب، وهو لا يستحق منك أن تسلم عليه أو أن تهتم به!».

فما كان من الرجل إلا أن استأنف مبتسما: «وأنا أريد أن أعلمه الأدب!».

قراءنا الكرام: لقد تمثل الرجل في هذه القصة القاعدة النفسية الآتية: «من الصعب جدا أن تهزم إنسانا لا يستسلم بسهولة!». فكيف وهو يتمسك بمكارم الخلق وقد حاز بها قصب السبق؟!

وإذا أردنا أن ننزل على أرض الواقع، لنصف حالنا مع بعضنا، فأعتقد جازمة، وقد سمعتها مرارا وتكرارا؛ أن التوصيف المطابق لوضعنا هو أننا نعاني من نقص في الأخلاق!

وإلا فلماذا ذهبت صولتنا وجولتنا؟!

الجواب تجدونه في قول أحمد شوقي- رحمه الله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإذا هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا!

نعم، إن المشكلة أن الكل يريد تغيير كل شيء حوله، بينما لا أحد يريد تغيير نفسه! وننسى في خضم هذه المعضلة أن واجب كل واحد فينا أن يكون هو التغيير الذي يحلم أن يراه في الآخرين.

أيليق بنا- والحال كذلك- أن نتغافل عن أحاديث نبينا ﷺ في الخلق الحسن؟!

ألم تعد تهزنا؟ تحركنا؟ تحفزنا؟

وإذا كنا نحسبها بالورقة والقلم، وبالحسنة والسيئة، ونفكر بالميزان، في كل أوان، فلم لا نجعل حديث رسولنا ﷺ الفيصل في الموضوع؟ ألم يقل عليه أفضل الصلاة والسلام: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»؟!

وللذين يرددون المثل الشائع: «الضحك بلا سبب... أدب». أريد أن ألفت عنايتهم إلى قول القائل: «الابتسامة بلا سبب، قمة الأدب»، وشتان بين القلة والقمة، مع سهولة الوصول إلى الأولى وصعوبة الارتقاء إلى الثانية!

إننا نريد أن نغير واقعنا لنصل إلى «قمة الأدب»، فلنستعن بالله ولا نعجز، فإنه السهل الممتنع، ولا حرج علينا أن نبدأ بالحد الأدنى من المعاملة الحسنة:

فإن لم ننفع، فلا نضر.

وإن لم نفرح، فلا نحزن.

وإن لم نمدح، فلا نذم.

فتعالوا- قراءنا الأكارم- نبدأ رحلة التغيير بالابتسامة بلا سبب، حتى ولو كانت أسباب «العبوس» تملأ جنبات الأرض، ثم نتمسك بالخلق الحسن، ونُصر على تعليمه للناس؛ فقمة الأدب، محال أن تكتسب، إلا بالثبات والدأب.

رحبة «مالك بن طوق» في الطب والفقه والتقنيات

زبير سلطان - كاتب سوري

رحبة «مالك بن طوق» التي تتوسد على الضفة الغربية لنهر الفرات، وتبعد عن مدينة دير الزور (٤٥) كيلو مترًا شرقًا، ولم يبق اليوم منها إلا أطلال قلعتها، التي تهدم جزء من سورها، كانت منذ القرن الثالث الهجري إحدى أهم مدن الجزيرة الفراتية الشامية، تخرج من مدارسها الفقهية والعلمية علماء كبار في الفقه والطب والفلك والعلوم التطبيقية، لاتزال مكتبات في العالم تحتفظ بمخطوطاتهم، ومنهم العالم الكبير صاعد بن الحسن، الذي سبق عصره بمئات السنين حين اخترع رجلًا آليًا، وقلم حبر، ورافعة حجارة ثقيلة، وكتب في الطب والفلسفة، عرفته مدارس ألمانيا قبل مدارس العرب والمسلمين.

كما قدمت رحبة مالك بن طوق للحواضر الإسلامية آنذاك في القاهرة ودمشق عددًا من كبار أطباء العيون، أغنوا بعلومهم مدارسها، وعالجوا المرضى في مستشفياتها، وتخرج على أيديهم عدد من الأطباء، ولاتزال مخطوطاتهم محفوظة في مكتبات شهيرة في العالم، وفي هذه المقالة نقدم للقارئ الكريم بإيجاز شديد سيرة بعض من هؤلاء العلماء، ونذكر منهم:

صاعد بن الحسن الرحبي

صاعد بن الحسن صاعد الرحبي، من أهم علماء العرب المسلمين في القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن

الحادي عشر الميلادي، ذكره عدد من المؤرخين من بينهم ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، وذكره العالم الألماني «بروكلمان» من بين الفلكيين العرب المسلمين.

كان صاعد عالمًا في الطب والفلك والصناعات الميكانيكية والهندسية، كما كان أديبًا وشاعرًا. ولد هذا العالم الجليل في الرحبة، ولم تعرف سنة ولادته ولا سنة وفاته، وذكر أنه يعيش في دمشق في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، تلقى تعليمه في الرحبة، حيث درس فيها العلوم الدينية والمدنية والعلمية، وخلال وجوده في الرحبة أقام مع الأمير شرف الدين مسلم ابن قريش بن بدران العقيلي أبي المكارم وصاحب الموصل وديار ربيعة من أرض الجزيرة علاقات شخصية، وصداقة حميمة، حيث الرحبة من ديار ربيعة، لذلك كانت تابعة له.

وخلال وجوده في الرحبة ظهر نبوغه العلمي والأدبي، فألف كتابًا في الفلك أسماه «مقالة في التشويق التعليمي في علم الهيئة» عام ١٠٦٣ ميلادي، كما ألف كتابًا في الطب أسماه «في التشويق الطبي» عام (٤٦٤ هجري- ١٠٧٢ ميلادي)، وقد أهدى الكتاب الأخير لصديقه أمير الموصل شرف الدين بن مسلم، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية عام ١٩٦٨م.

انتقل صاعد من الرحبة إلى دمشق، وسكن في زقاق العجم قرب باب جيرون شرقي الجامع الأموي، وفي دمشق ظهرت براعته العلمية والفكرية، فحقق إنجازات علمية متقدمة على عصره، حيث اخترع عددًا من المخترعات، التي تعتبر في ذلك العصر إنجازًا مهمًا، نذكر منها:

١- اخترع قلم حبر في داخله كمية من المداد، تكفي لمدة شهر كامل من دون أن تنشف، وقد صنع القلم من الحديد، وجعل له سنًا مشقوقة مقطومة، تساعد الكاتب على التدوين بسهولة، فاختصر به الزمن الطويل، الذي يقضيه الكاتب في تدوين المخطوط أو الرسالة بالريشة، وهذا القلم الذي اخترعه صاعد يحمل نفس المواصفات الموجودة حاليًا في قلم الحبر «الأستيلو»، الذي ظهر في القرن العشرين، وبذلك سبق صاعد بن الحسن الأوروبيين في اختراع قلم الحبر بألف عام.

علمًا أن بعض المصادر التاريخية تذكر أن عباس بن فرناس قد سبق صاعد في اختراع أول قلم للحبر في القرن الثالث الهجري، لهذا يعد قلم الحبر الذي اخترعه صاعد، هو الثاني الذي اخترعه العرب المسلمون، كما أن بعض المصادر التاريخية تذكر أن القاضي النعمان ذكر في كتابه المجالس والمسايرات، بأن المعز لدين الله الفاطمي أمر عام ٣٦٥ هجري أعوانه بصناعة قلم حبر(١).

٢- كما اخترع صاعد بن الحسن آلة لحمل الأحجار الثقيلة اسمها «الميجان»، كما يذكر ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، وفي هذا الاختراع يكون صاعد بن الحسن من أوائل المخترعين في العالم، ممن اخترعوا رافعة للحجارة الثقيلة في العالم.

٣- ويعد صاعد أول عالم في العالم يخترع رجلًا آليًا، حيث اخترع تمثالًا من الحديد على صورة رجل، جعله يقوم بنفخ النار، ويعمل لعدة ساعات.

٤- اخترع صاعد بن الحسن مجسمًا فلكيًا فضائيًا، ووضع نجومًا وأفلاكًا، وأهداه لأمير الموصل(٢).

آثاره العلمية

١- مقالة التشويق التعليمي في علم الهيئة:

وقد صنفها أصحابه عام (٤٥٥ هجرية- ١٠٥٣ ميلادي) وقيل في بعض المصادر عام (٤٥٩ هجري- ١٠٥٧ ميلادي)، وذكر أن لها نسخ في الأماكن التالية:

- اسطنبول- طوب قابي سراي برقم (٣- ٧٥٣) كما يذكر الزركلي في أعلامه.
- اسطنبول- سراي أحمد- برقم (١- ٣٣٤١).
- اسطنبول- فيض الله برقم (١٣٣٢)، موجودة فيها من عام ١٠٧٧ الهجري كما يذكر الدكتور ششن في نوادر المخطوطات.

٢- كتاب التشويق الطبي، وتذكر المصادر التاريخية بأنه فرغ من كتابته في الرحبة عام ٤٦٤ هجري-١٠٧٢ ميلادي، وقد ترجم إلى اللغة الألمانية، وطبع جوتة صورة لمخطوطة الكتاب، وقد تم نشر الكتاب مع تحليل له في بون عام ١٩٦٨م.

وتوجد نسخ خطية لهذا الكتاب في الأماكن التالية:

- حلب- المكتبة المارونية برقم (٥٧٠).
- حلب- نسخة مصورة بمعهد التراث برقم (١٣٥٠).
- بيروت- مكتبة د.سامي حداد برقم (٣١) من القرن الحادي عشر الميلادي.
- بيروت- المكتبة الشرقية برقم (٤٨١).

يوسف الرحبي

الشيخ الحكيم والإمام وطبيب العيون المعروف بالكحال يوسف بن حيدرة ابن الحسن الرحبي، ولد عام ٥٣٤

هجري- ١١٣٩ ميلادي في جزيرة ابن عمر الواقعة على نهر دجلة في الزاوية الشمالية الشرقية للقطر السوري، كان والده يلقب بالكاحل، لأنه يعمل في صناعة الكحل، وطبيبًا للعيون، قدم إلى جزيرة ابن عمر من الرحبة، وتعلم من والده علم طب العيون، وصناعة الكحل، انتقل مع والده إلى نصيبين، وأقام فيها سنوات عدة، وانتقلا بعدها إلى الرحبة، ثم رحلا إلى بغداد، ومنها إلى القاهرة، فالتقى يوسف في القاهرة بالشيخ الموفق المعروف بابن جميع المصري، وأخذ منه بعض العلوم الفقهية والعلمية، كما عمل في البيمارستان الناصري أو الصلاحي في قعلة القاهرة، وفيها عالج المرضى.

عاد يوسف وأبوه من القاهرة إلى دمشق عام ٥٥٥ هجري- ١١٥٨ ميلادي، وكانت تحت حكم السلطان العادل نور الدين بن محمود بن الزنكي فاستقر فيها، ولقب فيها بالإمام رضي الدين أبوالحجاج، تابع دراسة الطب في دمشق على يد الطبيب الشهير مذهب الدين ابن النقاش، ولازمه مدة طويلة، وتعلم منه، ومارس طب العيون، حتى غدا من كبار أطباء العيون في دمشق في تلك الحقبة الزمنية، كما شكل في دمشق حلقات علمية لطلاب من كل أنحاء العالم الإسلامي لتعليم الطب، وتخرج على يديه عدد كبير من الطلاب، نذكر من بينهم الطبيب المشهور عبدالرحيم بن علي مهذب الدين.

وفي دمشق التقى بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، وصاحبه فترة من الزمن، كما أجرى له صلاح الدين راتبًا شهريًا ثلاثين دينارًا، وعالج المرضى في القلعة والبيمارستان في دمشق، طلب منه صلاح الدين الخدمة في السفر، فرفض، وطلب البقاء في دمشق، وبعد وفاة السلطان صلاح الدين في ٢٧ صفر ٥٨٩ هجري الموافق ١٢٣٢ ميلادي، دعاه الملك العادل أبوبكر بن أيوب - بعد أن سيطر على البلاد- أن يكون ضمن حاشيته وصحبته في إقامته وترحاله، فاعتذر رضي الدين، وطلب من الملك العادل أن يبقى في دمشق. عمّر رضي الدين طويلًا، وذكرت المصادر التاريخية بأنه تجاوز المائة عام من العمر، توفي في دمشق عام ٦٣٠ هجري- ١٢٣٢ميلادي، ودفن في مقبرة على سفوح جبل قاسيون.

وصفه ابن أبي صبيعة: «من الأكابر في صناعة الطب، والمتعينين في أهلها، وله القدم، والاشتهار والذكر الشائع عند الخواص والعوام، ولم يزل مبجلًا عند الملوك وغيرهم كثير الاحترام به، وكان كبير النفس، وعالي الهمة، وكثير التحقيق، وحسن السيرة، محبًا للخير وأهله، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى، رؤوفًا بالخلق، طاهر اللسان، ما عرف منه في سائر عمره أنه آذى أحدًا، ولا تكلم في عرض غيره بسوء».

أهم الآثار العلمية

١- كتاب اختصار المسائل لحنين بن إسحق- وتوفي قبل أن يتمه.

٢- كتاب تهذيب شرح الطبيب لفصول أبوقراط(٣).

عبدالعزيز الرحبي

هو العالم الفلكي الرياضي عبدالعزيز ابن محمد الرحبي البغدادي لم تعرف سنة ولادته، ذكرت سنة وفاته عام ١٢٠٠هجري- ١٧٨٦ميلادي، له العديد من المخطوطات في علم الفلك والرياضيات.

أهم مخطوطاته العلمية هي:

- كتاب مخطوط «كشف الغبن عن انطباق المنطقتين في الهيئة»، موجود في خزانة العزاوي النجف.

-الرسالة المسماة بالبراهين اليقينية المقررة في الهندسة- موجودة في خزانة العزاوي- النجف.

- مخطوط البرهان المحرر لمعرفة الحوض المربع والمدور(٤).

الإمام شرف الدين بن يوسف الرحبي

أبوالحسن الرحبي علامة عصره، ولد في دمشق عام ٥٨٣ هجرية الموافق ١١٨٧ ميلادية، كان طبيبًا مشهورًا في دمشق، تعلم الطب من والده يوسف الرحبي، كما تعلم ودرس وقرأ علوم الدين والفقه على يد الشيخ موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي، مارس مهنة الطب في البيمارستان الكبير في دمشق، كما قام بتدريس الطب للطلاب في مدرسة الطب بدمشق. قال عنه ابن العبري: «كان بارعًا بالجزء النظري من الطب، وله معرفة تامة به، واطلاع على أصوله، وأخذ عنه جماعة من الطلبة»، وقال ابن أبي أصيبعة عن كتابه «خلق الإنسان وهيئة أعضائه ومنفعتها» لم يسبق له مثيل، توفي في دمشق، ودفن فيها عام ٦٦٧ هجرية الموافق ١٢٦٨ميلادية.

من آثاره كتبه الثلاثة في الطب

١- خلق الإنسان وهيئة أعضائه ومنفعتها.

٢- حواشي على كتاب ابن سينا.

٣- حواشي على شرح ابن أبي صدق الصائل صنين(٥)

جمال الدين بن يوسف الرحبي

شقيق شرف الدين، كان طبيبًا ماهرًا معالجا، عالج المرضى في بيمارستان النووي الكبير في دمشق، واهتم

بالجانب العملي من الطب والعلاج، كان حسن الخلق، أحبه الناس، واحترموه، قال عنه ابن العبري: «كان حسن الأخلاق تقارب فضائله ونفوذه في المعالجة».

القاضي الحسن بن نصر

أبوعبدالله السحن بن نصر قاضي الرحبة، ولد في الموصل عام ٤٦٦ هجرية، درس علم الحديث في الموصل، ثم رحل إلى بغداد وتعلم فيها العلوم الفقهية والدينية على يد القاضي أبي بكر الشامي، وعلى يد الفقيه أبي الفوارس بن طراز الزينبي والعديد من فقهاء بغداد، وكان صاحبًا لأبي حامد الغزالي، وكان من كبار فقهاء المذهب الشافعي، ولي القضاء في رحبة مالك بن طوق مدة طويلة، ثم عاد إلى بلدته الموصل وتوفى فيها عام ٥٥٢ هجرية(٦).

أبوالحسن علي بن محمد بن سلامة الروحاني المقري الرحبي

هو قارئ شهير ينتسب إلى قرية روحا التابعة لرحبة مالك بن طوق، عرف عنه أنه كان موصوفًا بجودة القراءة والمعرفة بوجوهها، وكان يحضر حلقات الصوفية، وصاحبهم في الرحبة، رحل عنها، لتعلم علم الحديث في عدد من المدن الإسلامية، ثم استقر في مصر يتعلم ويعلم فيها، وقد اشتهر في مصر بفقهه وعلمه، توفى فيها(٧).

أبوعبدالله بن المتقنة الرحبي

عالم فقيه عاش في الرحبة، درس على يديه العديد من طلاب تعلم قراءة القرآن والفقه، وتخرج علي يديه العديد من العلماء والفقهاء(٨).

سالم بن منصور بن عبدالحميد أبوالغنائم

من العلماء والفقهاء المتأخرين، ولد في عربان وهي بلدة على نهر الخابور، درس الفقه وتعلم القرآن في الرحبة على يد عبدالله بن المتقنة، ثم غادرها إلى بغداد عام ٥٠٥هجرية، وتعلم الحديث من أبي الفتح محمد ابن عبدالباقي النبطي، ومن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ومن عدد من العلماء، ثم أقام في المدرسة النظامية سنوات طويلة يدرس فيها، وآخر أيامه اعتكف في بيته، وانقطع عن الناس بسبب كبر سنه وعجزه، توفي في بغداد في شهر جمادى الآخرة عام ٦٠٤هجري (٩).

أبوعلي الحسن بن قيس الرحبي

من رواة الحديث، وقد روى الحديث عن عكرمة وعطاء، كما روى عنه سليمان التميمي.

أبوعبدالله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرحبي

من علماء وفقهاء المذهب الشافعي، وكان يطلق عليه ابن «المتفننة»، عاش في الرحبة، وله مجلس فيها، يدرس فيه العلوم والفقه الشافعي، وقد صنف كتبًا، ولم نعثر على مكان وجودها بعد، وكان الطلاب يأتون إليه ليتلقوا منه العلم والفقه، ومن الطلاب الذين تفقهوا على يديه العالم الفقيه المعروف أبوالمنصور علي بن الرزاز البغدادي، مات في الرحبة في عام ٥٧٧ هجرية، بعد أن بلغ الثمانين من العمر(١٠).

الخاتمة: هؤلاء بعض من العلماء العرب المسلمين، قدم البعض منهم مخترعات علمية وصناعية، وساهم البعض الآخر في علم الطب، وخاصة في طب العيون، ودونوا في مخطوطاتهم طرق العلاج للعديد من الأمراض، وشرحوا نظرياتهم بالمصورات التشريحية لجسم الإنسان، هؤلاء العلماء الأوائل في صناعة الحضارة الإنسانية، وكذلك لتعريف العالم عما قدم هؤلاء العلماء من إسهامات كبيرة في خدمة البشرية وتقدمها.

الهوامش

١- ياقوت الحموي- معجم البلدان- بيروت- دار صادر ١٩٦٧- ج ٥- ص. ٣٢١.
٢- القاضي النعمان محمد- كتاب المجالس والمسايرات- حقق في تونس عام ١٩٨٧- ص. ٣١٩-٣٢٠.
٣- مصادر ترجمة صاعد:
- ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الأنباء. ص. ٣٤٠.
- شيخو- المخطوطات العربية ص. ١٣٠.
- الزركلي- الأعلام الجزء الثالث. ص. ٢٧١-٢٧٢.
- كحالة- معجم المؤلفين- ج٤- ص. ٣١٨ والعلوم العلمية- طب ص. ٤٩.
- البغدادي- إيضاح المكنون ج١- ص. ٢٩٢.
- محمد دهمان- مقدمة كتاب علم الساعات والعمل بها لرضوان الساعاتي ص. ٨٠.
- د.حداد وفيلد- فهرس مكتبة سامي حداد بيروت ص. ٩٢-٩٣.
- بروكلمان- الملحق ١م ٨٦٢- ٨٧٠.
- بروكلمان الفلكيين العراقيين- الملحق الأول ص. ٨٦٢.
- د.ششن- نوادر المخطوطات ج٢- ٦٥٠.
٤- مصادر ترجمة الإمام رضي الدين:
- كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة- ص. ٧٦٢- ٧٦٥.
- كتاب العلوم العلمية- الطب لكحالة- ص. ٦٩.
- معجم المؤلفين
- تاريخ البيمارستانات- دز عيس- ص. ٧٩-٨٠.
٥- مصادر ترجمة عبدالعزيز الرحبي:
- تاريخ علم الفلك في العراق- العزاوي- ص. ٢٦٢- ٢٦٤.
- الزركلي الأعلام ج٤ - ص. ٢٧(٥).
٦- ياقوت الحموي- معجم البلدان- المصدر السابق- ج٢ -ص. ١٤٤.
٧- ياقوت الحموي- معجم البلدان- المصدر السابق- ج٣ -ص. ٧٦.
٨- ياقوت الحموي- معجم البلدان- المصدر السابق- ج ٣- ص. ٩٦.
٩- ياقوت الحموي- معجم البلدان- المصدر السابق- ج٣-ص. ٩٦.
١٠- ياقوت الحموي- معجم البلدان- المصدر السابق- ج٧-ص. ٣٦.

«القرآن والتغيير النفسي»

توفيق محمد سبع - كاتب صحفي

إن التغيير النفسي هو تحول عميق في أغوار النفس الإنسانية تؤازره إرادة قوية في التخلص من واقع سيئ مهين إلى مستقبل عزيز كريم، تنتقل فيه النفوس من الشر إلى الخير، ومن الرجس إلى الطهر، ومن الباطل والضلال إلى الحق والواجب، ومن المهانة والمذلة إلى العزة والكرامة.

وتلك معان كريمة قد نذهل عنها ونحن نخوض معركة الحياة، ونحصل مطالب العيش، ونمضي مع أهدافنا القريبة غير ملتفتين إلى ما وراءها من تسام وجلال.

إن هذا التغيير- يعني بتعبير- أدق نقلة معنوية في عالم النفس تصعد بضمير المؤمن ووجدانه إلى الملأ الأعلى، ليعيش مع ذلك المستوى الأسنى حياة النقاء والسمو والطهر، بعيدًا عن الشهوات والآثام، لينطلق بذلك إلى حياة إسلامية رائدة ترفض الواقع المزري، وتنشد المستوى الكريم.. ومتى تولدت في النفس تلك القوة التي تسيطر على وساوسها وتهيمن على مسالكها واتجاهاتها فمحال أن يخضع صاحبها لمذلة أو هوان.. وذاك هو ما تنشده التربية الإيمانية وتقوم عليه.. وبهذا تكون تلك النفس في ثورة دائمة على الهبوط والإسفاف، جانحة إلى التسامي والعلاء لتحقق العالم النظيف الذي يتلاءم مع فطرتها التي فطرها الله عليها.

ولا يمكن لهذا التغيير أن يحدث آثاره الهائلة في الحياة إلا إذا كان نابعًا من أغوار النفس ومن باطنها، فأما التغيير الظاهري الذي لا ينبع من الأعماق فهو تغيير سطحي لا يحدث أثرًا، ولا يغير واقعًا، ولا تعتمد عليه في منهج الإصلاح!!

ومن ثم كان تغيير الأشباح والأشخاص والوجوه لا يعني شيئًا في هذا التحول الكبير!! وكثيرًا ما تخدع به شعوب ودول فتعتقد أن مجرد تغيير فرد بفرد، أو وزارة بوزارة كفيل أن يحل المشكلة ويزيل المعوقات.. ويقود إلى الصلاح والخير.. ولكن هيهات هيهات!! فما لم تنبع الرغبة في الإصلاح من أعماق

النفس، فإن هذا الإصلاح يصبح صيحة في واد أو نفخة في رماد، لا تحصل منه الأمة إلا على قبض الريح أو حصاد الهشيم!! وهذا ما نراه بأعيننا اليوم على ساحة الحياة.

مجالات التغيير النفسي

عندما تشعر الأمم بأن مكانتها قد ضعفت، وأن منزلتها قد هبطت، وأن ريحها قد ذهبت، وأنها قد غدت هينة تافهة.. لا يقام لها وزن ولا يعمل لها حساب.. كما يقول الشاعر العربي:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهم شهود

حينئذ يجب على هذه الأمة إذا كانت جادة أن تبحث في أسباب هذا الهوان الطارئ، ثم تعمد على الفور إلى إحداث عملية تغيير نفسي.. يعيد إليها مجدها، ويرد عليها عزها لتأخذ مكانها بين الأمم، وتقول كلمتها في سياسة الحياة..

كذلك عندما تفرق الأمم في المعاصي، وترتع في جو الخطيئة فتتحول حياتها إلى فسوق وعصيان وبعد عن الله عزوجل، في هذه الحالة ينبغي أن ترجع هذه الأمم سريعًا إلى ربها بالتزام منهج الطهر، والابتعاد عن حياة الخطيئة ولا يكون ذلك إلا بالإصرار النفسي على التغيير!

وعندما تترهل عزيمة الأمم بالترف، وتسرف في الملذات والشهوات وتقعد عن حياة الجهاد والعمل، وتخلد إلى الراحة والاستكانة، فإنها تفتح على نفسها أبوابًا من الفساد.. الذي يدمر حياتها، ويأتي على بنيانها من القواعد، وقديمًا أهلك الترف أممًا وقضى على ممالك وأسقط حضارات.

عندما تصل الأمم إلى هذا الوضع الفاسد فإنها تطالب بعملية تغيير نفسي يقودها إلى حياة الكفاح والجد، لتصقل عزيمتها في جو العمل والجهاد.. وعندما تصاب الأمم بتمزق الصف، واختلاف الكلمة، وتناقص الأهداف، بحيث يصبح بأسها بينها، فيكيد بعضها لبعض، ويحارب بعضها بعضًا، وتتفنن في اختلاق الأزمات، وتلفيق التهم، ذاهلة عن عدوها الأصيل، تاركة إياه يعربد في أرضها، ويقتل أبناءها، ويعبث بمقدراتها ومقدساتها.. عندما تصل الأمة إلى هذا المستوى المهين.. فإنها مطالبة بعملية تغيير نفسي تصلح به الفاسد، وتنقذ الضائع، وتعيد التماسك إلى صفوفها، والوحدة إلى شعوبها.

عندما تتردد الأمم في التبعية الذليلة، فترتمي في أحضان الدول الكافرة، وتفضي إليها بأسرارها، وتتخذ منها البطانة، فإنها مطالبة سريعًا بأن تستمع إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (الممتحنة: ١).

وحينئذ تعمد إلى عملية تطهير نفسي يعيد إليها شخصيتها المستقلة، وإرادتها المتحررة، فتمضي على درب الإيمان.. مع الله ورسوله.

وكم من مجالات لا يحصيها العد تحتاج إلى تغيير نفسي يعصمها من الزلل، ويحميها من الضياع، ويحفظ عليها كرامتها وعزها!

من سنن الله الكونية

يوشك التغيير النفسي الذي أشرنا إليه أن يكون سنة مطردة من سنن الله في الكون، يخضع لقوانين عامة شاملة، لا تختلف فيها أمة عن أمة، ولا يتمايز فيها جيل عن جيل، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

من أجل ذلك كان التقصير فيه عندما تتجمع أسبابه معجلاً بفناء الأمم، مؤذنًا بغروب شمسها.. وللأمم آجال كما أن للأفراد أعمارًا.. وأعمار الأمم طويلة بالنسبة إلى أعمار الأفراد: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤).

وإنما تغرب شمس الأمم عندما تتنكر للدين الحق، وتعبث بفضائله، وتتجاهل صوت النبوات، وترفع في جو الآثام والشهوات: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

ولله عز وجل سنن يجريها، وقوانين يمضيها على الخليقة جمعاء لا يحابي شعبًا، ولا يستثني أمة وهذه القوانين تكفل للأمم مجدًا عريقًا، وعزًا سابغًا، وتمكينًا في أرض الله مادامت قائمة على أمر الله، منفذة لتعاليمه، سالكة سبيل الرسالات السماوية: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج: ٤٠-٤١).

وليس المقصود بالنظر في الآية الكريمة النصر على العدو فحسب، بل

هو نصر مطلق شامل!! نصر في شتى الميادين على التخلف والجهل- وعلى عوامل الضعف وعلى شهوات النفس وعلى كل معوقات الحياة!! إن هذا النصر إنما يتم بهذا المنهج المتماسك الذي رسمته الآية الكريمة.. وذاك هو التغيير الشامل الذي تنصر به الأمم على كل المعوقات والأزمات!! وبذا يتم لها التمكين في أرض الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)... وهذا هو طريق الحياة الكريمة يقوم على دعامتين: رعاية حقوق الله، والوفاء بمطالب الحياة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

فالتمكين في أرض الله إنما يتم بصلاح الأنفس، وهو صلاح مادي ومعنوي.. فالعباد الصالحون بهذا التصور هم وراث الأرض- وصناع الحضارة- ورواد الخير إلى يوم الدين إنهم يملكون منهجًا أخلاقيًا وبرنامجًا حضاريًا.. وكلا الأمرين صلاح.. كلاهما عبادة لله.. وعندما تأخذ الأمة بقوانين العلم المادي- وهو ركن من أركان العقيدة- فتبني وتعمر وتزرع وتحصد، وتنشئ وتخترع، وتستخدم وسائل العلم التجريبي.. منطلقة في بناء الحضارة.. لتعيش في صميم العصر وفي جوهر الحياة تحرسها عقيدتها وتدفعها مواهبها.. فإنها بذلك تحيا حياة مباركة، وتمضي في مضمار السبق بخطىً حثيثة.. لا تنحرف ولا تنزلق، ولا تزل لها قدم بعد ثبوتها، وهكذا تمضي العقيدة متعانقة مع العلم على درب قاصد سديد، وتأبى الحضارة الحقة إلا أن تكون كما

صورت مزيجًا متناسقًا من الماديات والروحيات!

وهذا هو الإسلام في جوهره الأصيل. إن هذا الدين يأبى أن يكون نظرية تحتبس في المصحف، أو مشاعر تختبئ في الضمير، أو شعائر تقتصر على التعبد..ولكن يجب أن تشع فضائله في المجتمع المسلم.. وأن تتجسد في سلوك، وأن يتحول إلى نبض حي يسري في الحياة، فيتعامل به الناس، ويجدون فيه علاج مشكلاتهم، ودواء أمراضهم، وأسباب سعادتهم ونصرهم كما أن هذا الدين الواقعي يأبى أن يسلم أبناءه إلى التخاذل واختلاف الكلمة، إنه يؤلف بين قلوبهم، ويجمع بين صفوفهم، ويخلق منهم صفًا متماسكًا كالبنيان المرصوص، فلا يتخاذلون في المواقف، ولا يتنابذون بالألقاب، ولا يتقاذفون الشتائم، وعندما تعيش المجتمعات على هذا النحو فإنها تملك قوة ذاتية تزلزل الجبال الرواسي، وتفرض كلمتها وإرادتها على أعداء الله.

وعندما تتعرى السياسة عن الدين.. فتمضي فاجرة رعناء.. فإنها تشتت الشمل، وتفرق الصف، وتحدث الوهن، وتجرد الأمة من درع المهابة والوقار.. فيطمع فيها العدو، ويذيقها سوء العذاب!! إذ أن قوانين النصر والهزيمة ليست خاصة بالأمم السابقة دون اللاحقة، لأن التاريخ البشري كله وحدة متماسكة، وسلسلة محكمة السرد لا وهن فيها ولا انقطاع، وسننه المطردة لا تختلف من قديم إلى جديد.

التغيير النفسي وكرامة الإنسان

لنقرأ في هذا المقام قول ربنا سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، فسوف نجد أن الآيتين تقرران قاعدة عامة من قواعد الاجتماع البشري كما أسلفنا، وهي أن الله لن يسلب النعمة إلا أن تتغير النفوس، وتفسد الطبائع، وينحط السلوك، عند ذلك يغير الله نعمة أولئك الأقوام، التي لم يرعوها حق رعايتها، ولم يؤدوا شكرها، إلى

جديد جريدة المحجة

نقمة ونكال، يشقى بها أولئك الأقوام، وينحدرون إلى درك المهانة والتخلف، وعندما نتأمل الآيتين السابقتين ستتضح لنا حقيقة رائعة.. وهي الارتفاع بالإنسان إلى أقصى درجات التكريم.. فإن قدر الله لا ينفذ فيه إلا من خلال نيته، وحركة عمله، وطبيعة سلوكه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ٥-١٠).

إن تصرف القدر في حياة البشر مبني على التغيير الواقعي في قلوبهم، ونفوسهم وضمائرهم، وجميع أوضاعهم التي يؤثرونها بإرادتهم الحرة في إطار المشيئة الإلهية.

أما المذاهب المنحرفة فإنها تلغي إرادة هذا الإنسان الكريم على ربه، وتجعله أسيرًا لشهواته، عبدًا للآلة والمادة، صريعًا للنظم والتقاليد.. فهو كائن سلبي أمام حتمية التاريخ، وحتمية الاقتصاد لأنها الآلهة التي تصنع له مصيره!! فأين هذا الوضع المهين من كرامة هذا المخلوق في ظل النظام الإسلامي؟!

وانظر بعد ذلك كيف يتمكن الإنسان من خلال التغيير النفسي إلى الأفضل من صنع مصيره، وصياغة مستقبله، بل كيف تبرز إرادته الحرة طليقة من كل قيد يكبلها، أو قهر يعنتها، أو استبداد يحول بينها وبين تحقيق ذاتها؟! وإنها لنعمة جليلة من نعم الله علينا.. نذكرها دائمًا في مجال السماحة التي أسبغها رب العباد على ذلك الإنسان الضعيف!! وجاء بها الإسلام ليصنع عالم الأحرار في أرض الله!!

شهادة التاريخ

عندما نتأمل أحداث التاريخ.. ونتدبر وقائعه نرى أن الأمم عندما تتخلى عن الأخذ بأسباب الفلاح، فإن مشيئة الله تتخلى عنها فتتخطفها الطير، أو تهوي بها الريح في مكان سحيق، وعندما تأخذ بأسباب الصلاح فإن مشيئة الله تؤازرها، وترفعها إلى حيث ينبغي أن ترتفع!! سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فعندما انطلق العرب عمومًا بخصائص دينهم الجديد يفتحون البلاد ويدكون الحصون ويقهرون الظلم، ويواجهون أعتى الدول وينازلونها في ميادين الجهاد انتصروا على أعدائهم.. وأقاموا الدولة الكبرى التي كانت أمل العالم في ذلك الوقت.. تلك الدولة التي أنصفت المظلوم، وأغاثت الملهوف، وأعانت على نوائب الحق.

- العلم هو القوة فما نصيب أجيالنا منه؟!
- البنوك الإسلامية واجب شرعي ومطلب واقعي
- صندوق المقاصة، وظائف ومسارات إصلاح
- جامع القرويين في عيون الدكتور عبدالسلام الهراس
- أثر المسجد والتعلق به في إصلاح الفرد والمجتمع

ذلك لأن المسلمين آنذاك كانوا كما قال المرحوم مصطفى صادق الرافعي: «ينبعثون من حدود دينهم- لا من حدود أنفسهم، وشهواتها، لأنهم ارتفعوا فوق هذه الأنفس فما يحملون السيف إلا بقانون، وما يضعونه إلا بقانون».

ولقد فتح العرب الأندلس بأخلاقهم، وحكموه بدينهم، وضبطوه بفضائلهم، ونشروا علوم القرآن وآدابه في مدنه وعواصمه، فعاشوا سادة كرامًا في ظل هذا الصلاح زهاء ثمانية قرون، صنعوا خلالها مجدًا، وكتبوا تاريخًا، وأنشأوا حضارة.

وعندما استكانوا للدعة، وتشبعت بطونهم، وخويت أفئدتهم وقلوبهم، واستباحوا المآثم والشهوات ولفّهم الترف في ثياب الأبهة، فأمعنوا في الأثاث والرياش، وتسرب إليهم داء الأمم القديمة من التفرق والحسد، فانقسموا على أنفسهم، واستعانوا بعدوهم.

وهكذا تأخذ الأمم بأسباب الحياة فتحيا، وتنحرف عن سنة الحياة فتنتحر، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(الأعراف: ٣٤)

ولنأخذ مثل آخر من التاريخ: عندما كان بنو إسرائيل على خطّ من تقوى الله، مكن الله لهم في الأرض، وأنزل عليهم المن والسلوى، وقال مذكرًا لهم حتى لا ينحرفوا عن هذا النهج: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٢)، وعندما انحرفوا عن الجادة، وتوزعتهم المآثم والشهوات، فعبدوا العجل، وأكلوا السحت، وقتلوا أنبياء الله، وتعاملوا بالربا، وغرقوا في الحياة المادية إلى الأذقان سقط اللواء من أيديهم.. لقد صاروا بهذا التغير أخبث أهل الأرض ونزل فيهم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة: ٧٨).

إنها سنة الله التي لا تحابي، ومن ثم تحول القوم إلى شذاذ أفّاكين!!

ولن أطيل بذكر فارس والروم وغيرهما من ممالك الأرض القديمة والحديثة لأن ذلك معلوم يعرفه كل مثقف ولا يختلف فيه أحد.

عبرة الساعة من هذا المقال

الحقيقة أن واقع المسلمين الراهن واقع سيء، والانهيار المستمر في حياتهم يهدد وجودهم نفسه، وعلى الرغم من أننا لا نبالغ في تجسيم الأخطاء، فإنه لا ينبغي أن نتجاهل ما نحن فيه من ترد وهبوط، لأن ذلك يفصلنا عن الواقع، فيجعلنا نستمرئ الأخطاء، ونتعود الحياة الواهنة الذليلة بكل أبعادها المادية والمعنوية، يجب ألا نهول وألا نهون، فكلا الأمرين خطر لا تحمد مغبته، بل ينبغي أن تكون النظرة متزنة، حتى نبدأ من واقعنا السيء الذي انحدرنا إليه، فنعمل على الفور على إحداث عملية تغيير نفسي يشمل الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، وكل قطر إسلامي أعرف بأدوائه.. وهو مطالب سريعًا بأن يرتفع من واقعه المؤسف إلى وضع أفضل يمكنه من أداء رسالته الخالدة في الحياة!!

والسؤال الذي يطرح نفسه على الموقف تلقائيًا هو: أين يمكن إيقاف ذلك الانهيار في حياة هذه الأمة؟

والجواب الحاسم: هو أن هذا التحول ينبغي أن يبدأ في أنفسنا، قبل أن يبدأ في أوطاننا فإن النفس إذا صلحت من الداخل أمكن أن تنقل صلاحها إلى المجتمع الواسع العريض فتستقيم مسيرته، وتتضح وجهة.. أما إذا ظلت الأنفس على ما بها من دَخَل وغش وفساد فمحال أن تستقيم مسيرتنا مهما خطبنا وصحنا وألقينا الشعارات.. لأن مثل ذلك لا يكون تغييرًا من داخل النفس.. بل من خارجها.. فهو تغيير صوري لا يلبث أن يذهب مع الريح وتبقى نقائض المجتمع على ما هي عليه!!

إن على المسلمين إذا أرادوا النهوض من هذه الكبوة.. أن ينتزعوا أنفسهم من حياة الشهوات والنقائض إلى حياة إسلامية نظيفة، فإذا تحولنا إلى مسلمين حقيقيين كما يريد الإسلام، تحول بنا مجتمعنا، وتحول بنا المسلمون في كل مكان، وتحول العالم كله بنا، وحدث التغيير الكبير في هذه الآفاق، وبذلك نكون أداة كريمة لهذا التغيير الرائد والعميق في الدنيا بأسرها.. كما أراد لنا رب العزة والجلال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

تلك هي وظيفتنا وهذه رسالتنا.. أن نحرس معاقل الوحي حتى لا يتطاول عليها السفهاء، وأن نوقظ رقابة الضمير حتى لا يطغى اللصوص، وأن نكافح الرذائل كيلا تطفح الشهوات، ولا يمكن بغير هذا أن يتم التحول الكبير في حياة هذه الأمة.. مهما تكلمنا وعقدنا المؤتمرات!!

بل إن جهودنا تتحول إلى ضروب من الخداع والعبث، لأن التحولات الكبيرة في حياة الشعوب والأمم لا تحدث بالأقوال دون الأفعال.

الاتصال الجمعي في الإعلام الإسلامي

د. عبدالعزيز شرف
أكاديمي متخصص في الإعلام●

قال: ﷺ «صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة» (متفق عليه)، وقال ﷺ: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» (رواه أبوداود بإسناد حسن).

أما صلاة الجمعة فقد قال الله عز وجل بشأنها ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ﴾ (الجمعة: ٩).

وقال رسول الله ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا طبع الله على قلبه»، كما قال «إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه، وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيدًا لهم، فهم أولى الناس به سابقًا، وأهل الكتاب لهم تبع» (متفق عليه) وقد أجمع المسلمون كافة على وجوب صلاة الجمعة التي ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة.

ومن مظاهر الاتصال الجمعي في صلاة الجمعة الخطبة، وهي الرباط الروحي للمصلين والمخبر الإعلامي للمسلمين، ومن خلالها يمكن توجيه الناس وإرشادهم وإعلامهم والأخذ بأيديهم إلى خير السبل وأسلمها.

الخطب النبوية والاتصال الجمعي

يقول ابن القيم الجوزي عن خطب النبي ﷺ «إنها كانت تقريرًا لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبه إيمانًا وتوحيدًا ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي تفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانًا بالله ولا توحيدًا له، ولا معرفة خاصة، ولا تذكيرًا بأيامه ولا بعثًا للنفوس على صحبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلي التراب أجسامهم، فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا، وأي توحيد وعلم نافع يحصل به؟ ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره، ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسومًا تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننًا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها».

أما النووي فيقول: «يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقعير، وألا تكون ألفاظًا مبتذلة ملفقة، لأنها لا تقع في النفوس موقعًا كاملًا، ولا تكون وحشية لأنها لا يحصل مقصودها، بل يختار ألفاظًا جزلة مفهمة».

أما الخطابة النبوية الشريفة فيتمثل فيها الاتصال الجمعي في أسمى معانيه، فقد كانت أداة الدعوة، واللسان والناطق بالرسالة الإسلامية، وأداة الاتصال والتعبير في مجالات العقيدة والشريعة والأخلاق، فإذا كانت الكتابة غير شائعة في هذا العصر، فإن الخطابة كانت تمثل الوسيلة الأساسية للاتصال الجمعي، ولذلك اعتمد عليها النبي ﷺ في دعوته عشيرتَه والأقربين، وفي اتصاله بأحياء العرب وبالأسواق العامة ومواسم الحج، وكان ﷺ يخطب

● هذا المقال أرسل منذ سنوات ولم ينشر، لذا وجب التنويه.

ويقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، ثم انتقل إلى يثرب يدعو إلى الله على بصيرة، ويقوم في مجتمعات جديدة يشرح لهم ببيانه وفصاحته رسالة الإسلام، وهي فصاحةٌ فطر عليها وقواها تلمذته للقرآن الكريم، وفي الخطابة النبوية الشريفة تتجلى قيمة الحرية في الاتصال الجمعي، فكان ﷺ يقول بعد الثناء والتشهد: «أما بعد»، وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه، ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي.

فالاتصال الجمعي -كان يتضح من دراسة الخطابة النبوية الشريفة- لا يتم من جانب واحد، وإنما كان يتاح فيه للمتلقي توجيه الأسئلة والتفاعل الذي يتيحه رجع الصدى من المستقبل إلى الرسول ﷺ، وهي الميزة التي يفقدها الاتصال الجماهيري المعاصر، ذلك أن الرسول ﷺ كان يقطع خطبته للحاجة تعرض والسؤال لأحد من أصحابه فيجيبه، ثم يعود إلى خطبته فيتمها، وكان ﷺ يأمر بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة، وحضهم عليها، ولم يكن يأخذ بيده سيفًا أو خلافه، وإنما كان يعتمد على عصا أو قوس قبل أن يتخذ المنبر، وكان يخطب للنساء على حدة في العيدين ويحرضهن على الصدقة.

ولقد كانت الخطابة من أهم وسائل الرسول ﷺ في الاتصال الجمعي في الإعلام الإسلامي بعد الجهر بالدعوة مباشرة، حين صعد على الصفا حاملاً عبء الجهاد من حين نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر:٩٤)، ويذكر ابن كثير أن أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله بعد النبي ﷺ هو أبوبكر رضي الله عنه.

ومن خطبة الوداع نستخلص دستورًا للإعلام الإسلامي ينص على الدعوة إلى التوحيد الخالص، والإيمان بالله، كما ينص على الدعوة إلى وجوب احترام حقوق الإنسان، بخاصة في النفس والمال والعرض، وإلغاء التعامل بالربا، وتأكيد حقوق المرأة ووجوب رعايتها ورعاية العلاقة الزوجية والأسرية، وصيانة الروابط الدينية والأخوية والاتصالية بين المؤمنين، كما تنص هذه الخطبة على إعلان المساواة التامة بين بني الإنسان في الحقوق والواجبات مساواة تامة، بغض النظر عن اللون والجنس، وهذا النص يمثل عمادًا من أعمدة الإعلام الإسلامي الذي أكدت عليه خطبة الوداع، وهي الخطبة التي أرست كذلك من مبادئ الإعلام الإسلامي، التحذير من فتن الشيطان، والتنبيه إلى وجوب التزام اليقظة، والحذر من وسائل إفساده للأخوة، وكذلك الدعوة إلى وجوب التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، لأنها الهدى الذي لا يضل من تمسك به.

وقد نصت خطبة الوداع صراحة على أن الإعلام الإسلامي إنما يقوم على أساس من تبليغ الرسالة للناس كافة، وهذا الأساس يمثل جوهر الإعلام الإسلامي.

صلاة العيدين والاتصال الجمعي

وصلاة العيدين شعيرة تمثل الاتصال الجمعي في أروع مظاهره، فالأعياد بطبيعتها مواسم إعلامية، والعيدان الكبيران في الاسم هما عيد الأضحى وعيد الفطر، وأكبرهما هو الذي يأتي بعد مشقة الحج والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وثانيهما هو الذي يأتي بعد شهر الصيام، ويحتفل به الصائم، وقد راض نفسه على مغالبة الجوع والظمأ، ومخالفة العادات التي جرى عليها في سائر الشهور.

وصلاة العيدين سنة مؤكدة وشعيرة من شعائر الدين، وفيها نسمع التكبير ثلاثًا نسقًا، وفي هذا التكبير تلخيص لرسالة الإعلام الإسلامي حيث يتم التواصل بين المسلمين ودينهم على أتم ما يكون التواصل، وتصبح الأعياد الإسلامية تجديدًا للمودة والألفة والتعارف بين المسلمين.

فالعيد إذن رسالة أساسية من رسائل الاتصال الجمعي في الإعلام

الإسلامي، وقد تكون كلمة العيد باللغة العربية أصدق الكلمات دلالة على ما تعنيه، فالعيد يعود كل سنة في موعد محدود ومعروف، كما أنه يستوجب مجتمعًا مستقرًا له دينه ونظامه الاجتماعي القائم على أسس راسخة.

وهذه الدورية للعيد أي عودته سنويًا في الموعد المحدد، صفة من أهم صفات الإعلام بوجه عام.

والعيدان الإسلاميان -وهما عيد الفطر وعيد الأضحى- كان لهما أصل قديم قبل الإسلام، فكان العرب يصومون من أسبوع إلى أسبوعين في موعد الانقلاب الصيفي الذي يوافق شهر القيظ، أو شهر رمضان، وكانوا يحجون إلى الكعبة ويقدمون القرابين إلى أربابهم عند منصرفهم من الطواف، وكانوا يؤدون شعائر الحج عراة إلا من الكساء الذي يخصصه السدنة للحج في جوار مكة، فلما جاء الإسلام هذب هذين العيدين وأزال عنهما بقايا الصبغة المادية وحولها إلى العبادة الإلهية، وساعد على زوال الأثر المادي منهما، إن الإسلام حرم النسء، وهو زيادة شهور على السنة كل بضعة أعوام، لإعادة التاريخ القمري إلى الحساب الشمسي الذي تنتظم عليه مواسم الزراعة والتجارة.

الحج والاتصال الإعلامي

ويمثل الاتصال الإعلامي شكلاً من أشكال الاتصال في الدعوة الإسلامية، إذ يعني الاتصال على مستوى الأمة، الأمر الذي يتفق مع جوهر الإسلام كرسالة للناس كافة وليس لقبيلة أو شعب معين، وهو الأمر الذي لاحظه الأستاذ مونتجمري وات عميد قسم الدراسات العربية الأسبق بجامعة «أدنبرة» في كتابه «الإسلام والجماعة

صلاة الجمعة هي الرابط الروحي والمخبر الإعلامي للمسلمين

المتحدة» حين ذهب إلى أن فكرة «الأمة» كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إليها، ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعًا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين إلى «الوحدة» في «أمة» واحدة، تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة.

وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحد لينشق عليها ويقطع الصلة بينه وبينها، بل كان المنشقون عنها يعتقدون أنهم أقرب ممن يخالفونهم إلى تعزيز وحدتها ولمّ شملها ونفي الغرباء عنها.

ويذهب العقاد، إلى أن مونتجمري قد أصاب في التنويه بهذا المعنى «الأمة في العقيدة الإسلامية، واعتباره أنه معنى فريد خلفته العقيدة الإسلامية ولم يكن له مرادف في لغة من اللغات قبل ولا بعد الإسلام».

فكلمة Nation التي تقابل هذه الكلمة باللغات الأوروبية، مأخوذة في أصلها من معنى الولادة، ومفادها أن الولادة في مكان واحد هي الرابطة التي تكسب أبناء الوطن حقوق هذه الوحدة الاجتماعية، وكلمة People تقابل عندهم كلمة الشعب أحيانا باللغة العربية، وترجع في أصلها إلى السكن والإقامة، وكلا المعنيين -معنى الولادة ومعنى السكن- قاصر عن الدلالة على الأمة كما جاء بها القرآن الكريم في معارض كثيرة والتي تفيد معنى الجماعة الكبرى، التي تحيط بشعوب كثيرة، ويلزم من دلالتها وحدة الوجهة الإسلامية في نهاية الأمر.

وإذا كان الاتصال الإعلامي بالمعنى الحديث، وبشكله التكنولوجي، يتجاوز اللقاء المباشر والتفاعل المواجهي، فإن الحج يمثل قمة الاتصال بين المسلمين الذين يلتقون فيه من كل فج عميق، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، وتتحقق فيه الدلالة الإسلامية لمعنى «الأمة» على أفضل نحو، حيث جعل الله البيت العتيق مثابة للناس وأمنًا، وجعل الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام، وكمال الدين فيه، على حد تعبير الإمام الغزالي، رحمه الله، وقد أنزل الله عز وجل قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وقال الله عز وجل ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧).

الاتصال الحضاري في الإعلام الإسلامي

والاتصال الحضاري من أهم أشكال الإعلام الإسلامي، لأنه يقوم على أسس إسلامية مستقلة من القرآن والسنة، ويرتكز على التوحيد والإيمان والتسليم والطاعة لله رب العالمين، ويتغيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإذا كان مقياس المدنية الغربية

هو التفوق المادي، فإن الحضارة الإسلامية تقوم على حرية الفكر، ودعم حرية الإنسان وكرامته، وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظل إخاء شامل، وعدل تام وروحانية صافية، واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية، ذلك أن الحضارة الإسلامية قد استمدت مقوماتها من الإسلام ذاته، الذي أتم صقل الأمة العربية والإسلامية وتهذيبها، وأودع في شعوبها طاقات جديدة، وصفى طاقاتها الموروثة، فاستأصل منها الغريب والشاذ وما لا يتلاءم مع طبيعة المجتمع المثالي الذي يريده الإسلام.

فالاتصال الحضاري في الإسلام لم ينسخ النظرة الواقعية، بل اهتم بتطويرها ودعا الناس إلى الاهتمام بدنياهم إلى جانب الاهتمام بدينهم، كذلك وجه عنايته إلى رفاهية المسلمين، وتكامل سعادتهم بسعادة الروح والجسد، فسعادتهما مكفولتان في الإسلام، ولا يطغى حق واحد منهما على الآخر، وهذه التعادلية في الاتصال الحضاري الإسلامي بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة، بين العقل والقلب، مسايرة لطبيعة الإنسان وخلقه، فهو مادة وروح، جسد وقلب، ولقد كان المجتمع العربي قبل الإسلام يحيا على واحدة منهما ويهمل الأخرى، فكانت النتيجة الانغماس في الفوضى وعدم الاستقرار والإخفاق في الوصول إلى هدف منشود، وتكفل التعادلية بين القوتين في الاتصال الحضاري البقاء للإنسانية والسير قدمًا، فالقوانين المادية الوضعية وحدها لا تفي برفاهية الخلق، ولا تنهض وحدها بحل مشكلات الإنسان.. والمجتمع المتحضر هو المجتمع الأخلاقي، أو «المدينة الفاضلة» بتعبير الفارابي، وهنا يغدو الاتصال الحضاري وسيلة

لجعل أمور الحياة خاضعة لقانون الأخلاق النابع من جوهر الإسلام، كدين إنساني عام يخاطب الأمم جميعًا، فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس واللون أو اللغة، فكل إنسان في جوانب الأرض أهل لأن يأوي إلى هذه الأخوة الإنسانية، حيث شاء وحين يشاء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨).

هكذا أعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ ألف وأربعمائة سنة، وهكذا أعلنها النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وتابعوهم الأبرار في صدر الإسلام، ولم يمض قرن من التاريخ الهجري حتى قامت بينات الواقع على حقيقة الاتصال الإنساني في الدعوة الإسلامية، فدان بالدين الجديد أناس من جميع الأقوام والسلالات، ولم تنقض على الهجرة ثلاثة قرون حتى كان في عداد المسلمين ساميون وآريون وحاميون وطورانيون، عرب وفرس وترك وهنديون وصينيون وإفريقيون من الإثيوبيين، وهكذا يتأكد لنا أن الاتصال الحضاري في الإعلام الإسلامي يتسم بالشمولية في مخاطبة الناس جميعًا بلا تفرقة.

فالاتصال الحضاري في الإسلام إذن اتصال موجه إلى الإنسانية جمعاء، على توالي العصور واختلاف الأزمان، وهو ملتزم بما أنزله الله للإنسانية، وهو سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، وبعباده رؤوف رحيم، وهو يهدي الناس إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

ولقد اشتمل التشريع القرآني على معالم هذا الاتصال الحضاري من مبادئ وقيم تصلح للإنسانية جمعاء، فالأخوة الإسلامية أصبحت هي الأساس في الاتصال الحضاري بدلًا من العصبية، والاتحاد أصبح هو العماد الذي يقوم عليه هذا الاتصال، وتتمثل هذه الأسس في الآيات الكريمة:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

جديد الاقتصاد الإسلامي

- الإمارات مركزاً لفعاليات الاقتصاد الإسلامي
- صندوق لمواجهة الفقر في العالم الإسلامي
- مسؤولية السياسة النقدية عن تقنين وتأكيد نظام الفائدة

المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

وإن كان التشريع القرآني قد رسم على هذا النحو الأسس التي يقوم عليها الاتصال الحضاري القويم، فقد أكد أن تتكب هذا الطريق واختيار السير في طريق الفساد إنما ينتهي بهدم البناء الاجتماعي والحضاري وتقويض أسسه، ويتمثل هذا الإنذار للحضارات المنحرفة في الآيات الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٦-١١٧).

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦).

والتشريع القرآني يبين الأسس القويمة للاتصال الحضاري السوي، كما يبين عوامل هدم الحضارات المنحرفة، ويذكر المؤمنين على الدوام بنعمة قيام الأمة المتحدة المؤتلفة بعد تنازل، ويحذر من الجاهلية التي تعيد الفرقة بعد الوحدة، ويتضح ذلك في الآيات الكريمة:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران:١٠٢-١٠٣).

العدد (٥٧٨) شوال ١٤٣٤ هـ / أغسطس - سبتمبر ٢٠١٣ م

الخيول العربية في الإسلام

جميل حسين الأحمد - باحث سوري

الخيول العربية من أجود أنواع الخيول في العالم وأكثرها أصالة وعراقة وتميزًا عن غيرها بقوتها وشدة بأسها وجمالها وألوانها المتعددة وتسمياتها المختلفة التي اقترنت مع مواصفاتها الجمالية وتكوينها الفيزيولوجي.

لقد اقترن موضوع الخيل بالجهاد، والجهاد بالاعتقاد، والاعتقاد بالإيمان، والإيمان باليقين، ولقد عزز الإسلام حب الخيل عند العرب وشجع المسلمين على الاعتناء بها ورعايتها، وهذا التعزيز يأتي من أهميتها الكبيرة للمسلمين، فهي الوسيلة التي حملتهم لنشر رسالة السماء العادلة ورافقتهم في فتوحاتهم التي امتدت لخارج حدود الوطن العربي، فقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم الخيول العربية في أكثر من مكان وعلى رأسها وصف سرعة الخيل خلال إغارتها على الأعداء في الصباح وتلاحق أنفاسها وزفراتها أثناء الجري، ووصف ارتطام سنابكها بالحجارة والحصى والغبار المتناثر خلفها (عجاج الخيول) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ (العاديات: ١-٥)، وجاء في آية أخرى من سورة الأنفال ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٥٩).

وواضح في هذا البيان الإلهي أن الاستعداد لا يكون كاملًا بإعداد المسلمين فقط وإنما ستكمل قوتهم بإعداد أنفسهم مع خيولهم وحبسها بوقف أي نشاط إلا استعدادها لخوض المعارك والحروب بسورة آل عمران قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ..﴾ (آل عمران: ١٤). يضاف إلى ما ورد ذكره عن الخيل في كتاب الله ما ورد من اهتمام النبي ﷺ بالخيل وتكريمها، ومما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث توصي بذلك قوله ﷺ: «أكرموا الخيل وجللوها» وقوله ﷺ: «لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها» ويؤكد رسولنا الكريم ﷺ أن الخير في الخيل دائم ومستمر مادامت الخليقة، ويبين ذلك في الحديث الشريف عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»، كما ورد من الأحاديث النبوية الأخرى على لسان الرسول ﷺ مثل قوله: «عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها عز وبطونها كنز»، ومعنى هذا أن ظهورها عز وأبهة ومجد وشرف في المكانة ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «كل لهو ابن آدم باطل إلا تأديبه فرسه وملاعبة أهله ورميه عن قوسه»، وهذا الإمام ابن حذيفة يقول إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان في غزواته يعطي الفارس سهمين والراجل سهمًا واحدًا وإنه فعل ذلك مع المقداد بن عمرو في بدر ومع الزبير بن العوام في يوم بني قريظة، ومع جميع الفرسان في وقعة بني المصطلق، وفي غزوة الحديبية، وحصل هذا مع المهاجرين والأنصار فهو بمنزلة الإجماع، وقد ملك الرسول ﷺ العديد من رؤوس الخيل العربية الأصيلة المشهورة الأرسان وعرف من أسمائها (اللزاز- لحيف- والسكب- واليعسوب)، بقي هذا الاعتزاز والاهتمام متوارثًا عند المسلمين حيث استمروا بالحفاظ على أصالة خيولهم وإكرامها والاعتزاز بأرسانها، وللحفاظ على هذه الخيول وأصالتها وضعوا أفضل نظام عالمي لتثبيت ذلك هو نظام الأرسان، حيث يجب على العربي أن يسلسل نسب خيله حتى يعيدها إلى رسنها الأصلي.

ويقال إن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول ما تولى الخلافة شك في أصالة بعض خيول الفرسان سيما وأنها ابتعدت عن مرابطها خلال الفتوحات الإسلامية البعيدة وطال بها البعد عن هذه المرابط، فدعا خبيرًا بعناق الخيل يدعى سلمان بن ربيعة الباهلي وطرح عليه شكه، فقام هذا الأخير بجمع الخيل وجاء بدلو فيه ماء ووضعه على الأرض وأطلق الجياد لتشرب بعد عطش شديد فما شرب منها ورفع رأسه دون أن يثني ذلك اعتبره أصيلًا، وأما ما شرب وسنبك في شربه اعتبره غير أصيل، وبذلك تم إبعادها عن

الخيول حفاظًا على أصالتها.

الأنبياء وحبهم للخيل

كان نبي الله داود عليه السلام يحب الخيل كثيرًا حيث لم يسمع بفرس إلا اقتناها ويقال: إنه جمع ألف فرس لم يكن على وجه الأرض غيرها، ويروي ابن الكلبي النسابة المعروف أن أول من ركب الخيل هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإنما كانت وحشا لا تطاق، لكن الله سبحانه وتعالى سخرها له، وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون من حكمة الله أن تبعته أحصنتهم فأغرقوا، لأن الحصان رأى الحجر وتبعها، قيل إن الله تعالى أمر نبيه موسى عليه السلام أن يعبر البحر وعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرونها بقعًا والخيل تراه ماءً فلولا دخول جبريل عليه السلام بفرسه لما دخلت خيلهم.

والخيل أصناف، منها: الصافنات وهي التي إذا ربطت في مكان وقفت على إحدى رجليها وقلبت بعض الأخرى في الوقوف وقيل غير ذلك، وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يومًا ففاتته الصلاة، وقيل إنها صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها بالريح فكانت فرسه.

وقيل إنه عقرها على القربى كالهدي، وقيل إن الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الماء الكدر فرحًا به فإنه يرى خياله بالماء الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر، ألم تسمع أبا الطيب المتنبي وهو يقول:

أعز مكان في الدنا سرجُ سابح
وخيرُ جليس في الأنام كتابُ

نعم إنه خير مكان سرج سابح وهو سابح فوق الأرض لكن ممتطيه وراكبه يشعر أنه يطير بالفضاء، وعن هذا المخلوق تخيل الإنسان بساط الريح وجنح خيال الإنسان أن يصورها بجناحين بيد أن الأجنحة للطيور ولكنها كنايات عن سرعة عدوه وكأنه سابق الريح.

ومن الأيام التي يتباشر بها العرب حيث يقيمون لها الأفراح والمآدب ثلاثة إذا ولد لهم ولد (ذكر) وإذا نبغ فيهم شاعر وإذا ولدت لهم مهر أنثى، كما أن أشراف العرب لا يخدمون إلا ثلاثة منهم يخدمون الضيف والولد والخيل، وتنصر العرب على ظهور الخيل لثلاثة للمرأة كما حدث في قصة (وامعتصماه) وغيرها، وللضيف، وللنخوة فيلبون النداء ليوم الوقيعة والنزال.

يقول أبوعثمان الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجبًا بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان فقالوا فرس عربي، ولم يقولوا فرس هندي أو فرس رومي، كان الجواد جزءًا من حياة العربي وشغله الشاغل ومحور معاناته اليومية يجاع من أجله العيال.

إنه لم يرو التاريخ عن أمة أعطت اهتمامًا لهذا الأمر كما هو عند الأمة العربية بجاهليتها وبعد دخولها الإسلام، ورغم تطور الآلة الحديثة، ورغم أن العامة من شعبنا نسوا الكثير من تراث هذه الأمة العريقة وفي مقدمة هذا التراث الأصيل الاهتمام بالحصان العربي الذي رافق أجدادنا في فتوحاتهم التي خلدها التاريخ، نقول رغم ذلك لا يزال الكثير من أبناء امتنا يسعون للمحافظة على الحصان العربي وتنميته ورفده بأسس التطور التي تتنامى بهذا العالم يومًا بعد يوم.

المراجع

١- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام لابن الكلبي تحقيق المرحوم أحمد زكي- طبعة دار الكتب ١٩٤٦م.
٢- الحصان العربي وخيول العالم- ترجمة وإعداد محمد غسان سبانو- دار الكتاب العربي- دمشق- القاهرة.
٣- عيون الأخبار - ابن قتيبة الدينوري «الخيل».
٤- رياض الصالحين- أبو زكريا بن شرف الدين النووي.

وظيفة الشعر في التراث النبوي

هاني إسماعيل - باحث دراسات لغوية

امتزج النقد الأدبي عند العرب بتراثهم الشعري، إذ لم يحظ فن من فنون الإبداع القولي عند العرب بمثل ما حظي الشعر رواية ودراية، وهذا ما يفسر انفراد الشعر دون غيره من الفنون والآداب بالذكر في القرآن الكريم؛ فالشعر هو الوسيلة التعبيرية الأولى التي ينافح الشاعر بها عن القبيلة، ويخلد مآثرها ويبث مفاخرها.. يقول ابن خلدون:

«اعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفًا عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم، وشاهد ثوابهم وخطئهم، أصلًا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر، لتمييز حوله حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم، وبيت إبراهيم» (١)، وكانوا يتخذون فن الشعر وسيلة للتقرب إلى الله في موسم الحج، فيلبون بأشعار معينة، وهم يطوفون حول الكعبة (٢).

ولما كانت قريش تحتل الزعامة الدينية والتجارية للعرب كان من الطبيعي أن تكون هي أيضًا العاصمة الثقافية لهم، مستفيدة من المواسم الدينية والمحافل التجارية، «وينقل عن حماد الراوية قوله: إن العرب كانت تعرض شعرها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولًا، وما ردوه منها كان مردودًا، فقدم عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟

فقالوا: هذه سمط الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم:

طحا بك قلب في الحسان طروب

بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سمطا الدهر» (٣).

وربما يفسر لنا هذا لماذا كانت تعلق قصائد دون أخرى على الكعبة، وكأن ما كانت تجيزه قريش وترتضيه يوضع على الكعبة، بينما ما لم تقبله وترده لا تمنحه هذه المكانة الرفيعة.

فلا غرو أن ينشأ في رحاب هذه الزعامة الثقافية وأحضان هذه البيئة الأدبية التي تعشق الكلمة المعبرة، والعبارة النابضة، والتي تطرب بالقافية الرشيقة، والقصيدة الرقيقة من يحب سماع الشعر، فسماع الشعر- إن لم يكن قرضه- جبلة جبل الله تعالى عليها العرب، وسليقة يقدح بها زند أفكارهم، فيجري على ألسنتهم بيسر وسهولة، يدركون جمالياته وآلياته.

«ومن هنا كان تأثر النبي ﷺ بالشعر، وعنايته به، واستماعه له، شأنه في ذلك شأن أي عربي آخر، إذ لا تناقض بين رسالة الوحي وبشرية الرسول ﷺ من حيث استجابته للشعر ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾. وقد كان قبل النبوة يحضر مع والدته سوق عكاظ ليسمع الشعر، فقد روي أنه سمع الشاعر عمرو بن كلثوم وهو بعكاظ ينشد معلقته المشهورة، وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام» (٤).

ومما يؤكد حب النبي ﷺ لسماع الشعر ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأحمد وغيرهم عن عمرو بن الشريد قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ثم قال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ فقلت: نعم، فقال: هيه- يعني هات- فأنشدته بيتًا فقال: هيه، فأنشدته وهو يقول هيه حتى أنشدته مائة بيت».

في ذات الوقت يسأل عن الشعر وماهيته، يقول لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه ما الشعر؟ فيقول ابن رواحة رضي الله عنه: «شيء يختلج في صدر الرجل

فيخرجه على لسانه شعرًا» (٥)، وفي رواية أخرى يسأل عن التجربة الشعرية وكيفيتها عند الشاعر، فيقول لابن رواحة: كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول؟! ولذلك كان ﷺ أدق فهمًا، وأكثر إدراكًا لمقاصد الشعراء، بصيرًا بالمعنى، خبيرًا بالمبنى، يقدر الأسلوب الفني ويعرف خطره وقوة تأثيره في النفوس، كيف لا؟! وهو القائل ﷺ: «إني أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الكلام اختصارًا» (٦)، والقائل أيضًا: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش» (٧).

أظن أنه من نافلة القول الإشارة إلى موقف النبي ﷺ من الشعر، ففي حديثه ﷺ مندوحة عن كل اجتهاد أو تأويل، حيث يقول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني: «الشعر بمنزلة الكلام، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام».

بل إن الله تعالى يرفع من شأن الشعر والشعراء في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، حيث أخرج الديلمي عن ابن مسعود مرفوعًا: «الشعراء الذين يموتون في الإسلام يأمرهم الله أن يقولوا شعرًا تتغنى به الحور العين لأزواجهن في الجنة، والذين ماتوا في الشرك يدعون بالويل والثبور في النار» (٨).

فالأحاديث المتواترة تؤكد تقديره ﷺ للشعر وتشجيعه للشعراء على إبداعه ونظمه، وما ورد في القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة من ذم للشعراء أو بعض أنواع الشعر فهو في سياق الدفاع عن القرآن الكريم، ونفي كونه شعرًا كما يزعمون، ومن ثم نفي كون الرسول ﷺ شاعرًا كما يدعون، وهذا ليس فيه ما ينال من قيمة الشعر، أو

أدرك النبي ﷺ قيمة الشعر عند العرب وأثره في النفوس

يدعو إلى الانصراف عنه، وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري حين قال: «واستثناء الله عز وجل في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر إنما هو العدول من جهة الصواب إلى الخطأ، والمصروف من وجهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم، ولو كان الذم لازمًا لكونه شعرًا ما جاز أن يزول على حال من الأحوال» (٩).

وعند مطالعة كتب التفسير تجد التأييد السماوي لشعراء الإسلام الذين اتخذوا من اللغة الصادقة، والكلمة الصاعقة؛ سبيلًا للانتصار للإسلام ودعوته، قرآنًا ورسولًا، أمثال عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك- رضي الله عنهم جميعا-، فاستثناهم الله تعالى من الذم حين قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)؛ بعد أن ذم شعراء الكلمة الفاحشة، والعبارة القادحة، التي اتخذت من الصد عن سبيل الله والافتئات على الدعوة الربانية دينًا وديدنًا، أمثال عبدالله بن الزبعري قبل إسلامه وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحي، وأمية بن أبي الصلت فوصفهم بالغواية والكذب، فقال عز من قائل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء).

«وربما يحسن أن نذكر هنا أن موقف الإسلام من الشعراء جاء ردّ فعل من الإسلام، بصرف النظر مؤقتًا عن الفن الشعري في ذاته، ذلك أن الشعراء كانوا وسيلة تعبير ذائعة، ووسيلة تأثير مؤكدة، وقد عارضوا في مكة الدعوة وهي لا تزال في مهدها، وانتشار شعرهم في النيل منها يعني إغلاق الأسماع دونها، وتنفير الآخرين من التعرف عليها» (١٠).

هنا يتبادر للذهن سؤال: ما هي وظيفة الإبداع (الشعر) في الإسلام؟ هل الغاية من الإبداع (الشعر) المتعة والتسلية فقط؟ أم الغاية منه رسالة تعليمية أخلاقية؟ أم لا هذا ولا ذاك؟

أدرك النبي ﷺ قيمة الشعر عند العرب وأثره في النفوس والعقول، كما أدرك خطورته باعتباره جهازًا إعلاميا واسع الانتشار والتأثير في الجزيرة العربية، تلك القيمة التي كان يدركها كل عربي ينطق الضاد آنذاك، حتى إنهم كانوا يهنئون أنفسهم عندما ينبغ فيهم شاعر يذود عن حوضهم، ويذب عن عرضهم. يقول ابن رشيق في العمدة: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن حسابهم، وتخليد مآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج» (١١).

فالمهمة الحقيقية للشاعر والوظيفة الرئيسية للشعر- قبل المتعة والتسامر

واللهو- هي التفاعل مع قضايا القبيلة/ المجتمع، والتعبير عنها بصدق فني، وهو ما نسميه في الدراسات النقدية الحديثة بمذهب الالتزام، «ولعل خير ما يلخص حقيقة الأمر أن يقال: إن الالتزام هو الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع، وهي ليست علاقة أخذ أو عطاء، ولا علاقة انصهار أو ذوبان، وإنما هي علاقة تطابق» (١٢).

وتبدو قضية الالتزام جلية في دعوة النبي ﷺ لشعرائه حينما دعاهم للتصدي لشعراء قريش. عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشًا فإنه أشد عليها من رشق بالنبل». فأرسل إلى ابن رواحة فقال «اهجهم» فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل، وائت أبا بكر، فهو أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا، حتى يخلص لك نسبي». فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد أخلص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله». وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «هجاهم حسان فشفى واستشفى»(صحيح مسلم).

وفي قوليه ﷺ: (اهجوا) و(ما نافحت عن رسول الله) دلالة صريحة وإشارة بينة لتوظيف الشعر في قضايا المجتمع وهموم الوطن، وتتضح أكثر هذه الوظيفة القومية في رواية أخرى للحديث جاء فيها أنه «قال للأنصار ما يمنع القوم الذين قد نصروا رسول الله بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم» (١٣)؛ ولكن الملاحظة المهمة والتي تجدر الإشارة إليها في عبارتي «فهجاهم فلم يرض» و«هجاهم حسان فشفى واستشفى» فيا ترى لماذا لم يرض ابن رواحة؟ «بينما شفى واستشفى حسان»؟

تتجلى الإجابة في قول حسان «والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم»، فحسان يعرف أن الخطاب الشعري له أسس ومعايير فنية تختلف عن معايير ومقاييس الخطاب المتداول، وأن هناك بونًا شاسعًا بينهما، ولإدراك النبي ﷺ للمعايير الفنية للقصيدة الشعرية وقتئذ، يطلب من حسان أن يتجه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليعلم نسب قريش، وأيامهم، وما لهم وما عليهم، «فكان يمضي إلى أبي بكر ليقفه على أنسابهم فكان يقول كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة فجعل يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا هذا الشعر ما غاب عنه ابن قحافة» (١٤).

وفي سؤال النبي ﷺ لشاعره عبدالله ابن رواحة دليل دامغ على إدراك النبي ﷺ لطبيعة الشعر المغايرة لسائر فنون اللسان العربي الأخرى كالحكمة، والخطابة، والمثل.. إلخ، وخصائصه المتمايزة عنها؛ حيث سأل عليه أفضل الصلاة والسلام عن التجربة الشعرية، وكيف تعتمل في نفس الشاعر، وكيف يمكن الشاعر أن يصوغها في قالب شعري وفني لا قالب نظمي، لذا يسأل عبدالله بن رواحة: «ما الشعر؟ قال: شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعرًا، قال: فهل تستطيع أن تقول شيئًا الآن؟ قال: فنظر في وجه رسول الله ﷺ، فقال: نعم.

إني توسمت فيك الخير نافلةً
والله يعلم أني ثابت البصر
ثبت الله ما أتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصروا
يا آل هاشم إن الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير (١٥)»

وإن كان في دعوة النبي ﷺ إلى توظيف الشعر في خدمة قضايا الأمة الوليدة، دعوة إلى الالتزام، فإنه التزام بالمبادئ التي يؤمن بها الشاعر نفسه، والقيم النابعة من وجدانه ذاته، ذاك الشاعر المهموم والذي يرى في نفسه أنه صاحب رسالة جمالية وفكرية في آن، فيحقق المتعة الفنية والقيم الإنسانية معًا.

من هذا المنطلق لم يعارض النبي ﷺ من جهة أخرى دور الشعر في تحقيق المتعة الفنية والتسلية الراقية

والتسامي بالنفس البشرية، والإشباع الروحي باعتباره صورة من صور الوظيفة الشعرية، فعن جابر بن سمرة قال: «جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم»(رواه الترمذي).

انظر لقول جابر رضي الله عنه «يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية» وما يحمله من دلالات وإشارات؛ لما في هذا الشعر من جاهلية، قد تختلف مع ثقافة المجتمع الإسلامي الجديد، بيد أن فيها ما يشبع النفس من لذة فنية، «كان في مسير له فقال لابن الأكوع: ألا تنزل فتقول من هناتك؟ فنزل سلمة يرتجز ويقول:

لم يغذها مد ولا نصيف
ولا تمـيرات ولا رغيف
لكن غذاها اللبن الخريف
والمحض والقارص والصريف» (١٦).

وهذا الموقف المتوازن بين المتعة والمسؤولية هو ما تدعو له المدارس النقدية الحديثة، يقول الشاعر والناقد الأدبي الأميركي، والحاصل على جائزة نوبل في الآداب ت. س. إليوت: «أظن أن أول مهمة من مهمات الشعر هي على وجه اليقين: إثارة المتعة، ولكن للشعر دائمًا هدفًا أبعد من الهدف الخاص أو المعين، وهو أن الشعر يحاول دائمًا إيصال تجربة جديدة ما، أو إلقاء ضوء جديد على شيء مألوف، أو التعبير عن شيء بيدنا ولم نستطع أن نصفه في كلمات، مما من شأنه أن يغني وعينا، ويرهف حساسياتنا.. وليس بشعر على الإطلاق ما لا يثير في الإنسان هذين الأمرين» (١٧).

الهوامش

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: لابن خلدون، تحقيق خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٨م ١٤٠٨ هـ، ٨٠٣/١.

(٢) انظر: الإسلام والشعر: د. سامي مكي العاني، عالم المعرفة، الكويت، ع٦٦، أغسطس ١٩٩٦م، ص ١٢.

(٣) مقدمة في النقد الأدبي: د.محمد حسن عبدالله، دار البحوث العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٧٥، ص٢٦١.

(٤) الإسلام والشعر: ص ٤١.

(٥) الدر المنثور للسيوطي: طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ٣٣٧/٦.

(٦) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي، دار الفكر، بيروت، ط أولى، ٢٠٠١م، ص ١٣.

(٧) كشف الخفاء: العجلوني، ٢٠٠/١، وذكر أن صاحب اللآلئ قال: معناه صحيح ولكن لا أصل له. كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ.

(٨) الدر المنثور: ٤٢١/٧.

(٩) الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ، ص ١٣٨.

(١٠) مقدمة في النقد الأدبي: ص ٢٧٥.

(١١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق: تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط الخامسة، ١٩٨١م، ٦٥/١.

(١٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر: إحسان عباس، عالم المعرفة، الكويت، ع مايو ١٩٧٨م، ص ٢٠٣.

(١٣) أسد الغابة: عز الدين بن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م، ٤٨٢/١.

(١٤) السابق: الصفحة نفسها.

(١٥) تاريخ دمشق لابن عساكر: دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ٩٣/٢٨.

(١٦) الفائق في غريب الحديث للزمخشري: دار المعرفة، لبنان، ط الثانية، ١١٤/٤.

(١٧) مقالات في النقد الأدبي: ت. س. إليوت، ترجمة لطيفة الزيات، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤٥.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٣)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

في رأس هذه الحلقة اللغوية، أؤكد أنه كلما عظمت القضية المبحوثة، عظمت حولها الأسئلة التي تظهر أننا نحن- عرب اليوم- لم نُؤتَ المعرفة اللازمة للتصدي لموجات التحريف والبلبلة والتشويه التي تبذل النكيثة لأجل فصل مستقبل العربية الفصحى عن ماضيها الناصع، ماضي البيان الأوفى، والثراء الأكمل، عندما كان وَكد وسدم الحذاق وجلتهم تشييد صرح الفصحى خلفا عن سَلف، وألمعيا عن مدره، يطردون من حظيرة الفصحى كل نبتة شيطانية يظهرها وينميها الازورار عن الصحة مهما قل تأثيرها، لكي لا يصبح الهين صعبًا، والقليل كثيرًا، والخطأ صوابًا مع توالي الملوان، يكدون في اكتلاء وتأمل غررها، واجتلاء جواهرها وأبكارها، وإظهار دفينها، وإشاعة فصيحها وأجودها، جاعلين القرآن الكريم في المقام الأول، لأنه الكلام الأصْوب الذي لا يذهب عنه إلى غيره؛ فهو مائدة المنِّ والسلوى التي جمعت العرب على أسمى الألفاظ، وأروع الأساليب، وأبهى العبارات التي تقوي عقولهم، وتزكي معارفهم، وتطوح من شجرة الفصحى اختلاف لهجاتهم، ثم يأتي الشعر العربي البليغ وكلام الأبيناء، ليكملا نظم عقد العربية الناصع. هذا هو ديدن الفصحاء حراس العربية، الذين لا يرضون بالدون من الكلام، إذا طمس لها منار مدوا الأسباب لإظهاره في أحسن منظر، وإذا أغطش لها جانب، كانوا له سراجا منيرا،

وإذا تحدثوا جلوا عن مرادهم، ثم إذا سمعوا الكلام القضيب الملهوج الذي لا يحيط بالمعنى المراد، ولا يصيب صميم الحقيقة، انبروا لإخراجه من الشرْكة على شاكلة تصحيح الخطيب المصقع المشهور خالد بن صفوان لقول امرأته: «إنك لجميل يا أبا صفوان» فقال لها: «وكيف تقولين هذا؟! وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه؟ فقيل له: ما عمود الجمال؟ فقال: الطول، ولست بطويل، ورداؤه البياض، ولست بأبيض، وبرنسه سواد الشعر، وأنا أشمط! ولكن قولي: إنك لمليح ظريف» (١). لذلك قال الجاحظ وهو أنف الفصاحة الذي تعطس عنه: «لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت»(٢). كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرن إحراز المروءة بتعلم العربية، ويرى أن تعلم الشعر العربي البليغ يجلب محاسن ترتجى، ويصرف مساوئ تتقى. قال هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

وإنّ مَقال المَرْءِ في غَيْرِ كُنْهِـهِ
لَكَالنبْلِ تهْوي ليْس فِيها نِصَالُهَـا

وقال آخر:

عوِّدْ لسانك قوْلَ الصحة تَحْظ بها
إنَّ اللسان لما عَوَّدْتَ مُعْتَـــاد

فهم عندما يحرصون على الفهم الثاقب لأهمية اللغة، باعتبارها نظاما من الأنظمة الإنسانية التي يشترك فيها الأفراد والجماعات، فيجعلونها وسيلتهم المثلى للتعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم ورؤاهم، فإنهم يدركون أن سلامتها واستقامة ما تقوله كلماتها تشييد وعمران، وأن إساءة استعمالها وانحرافها عن المقصود هلاك وخسران، لأن الصحة في اللغة مثل الماء للسمكة؛ لا تحتمل الخروج منه ولا البقاء فيه محتقنا من دون إمداده بالأمواه المتدفقة التي تجدد لها الحياة. لهذا لا ينبغي للغة العربية الفصحى أن تحصر وتضيق منافسها في معهود العرب، لا تبرح أصناف الكلمات والعبارات التي عفا عنها الزمن مثل: (القيصوم والشغموم والعبسور والعيسجور= صفات للناقة الشديدة، والأشق الأمق الخبق= صفات الفرس الطويلة، وعبارة: «شراب بأنقع» التي تضرب مثلا لمن يعاود الأمر مرة بعد مرة. وعبارة: «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب» التي تضرب مثلا للرجل يستشفى ويتداوى برأيه... وغيرها من الكلمات والعبارات طويلة الذيل قليلة النيل، التي تحمل أعباء الأزمان الغابرة، التي لم يعد لنا بها حاجة إلى بعثها في حياتنا المعاصرة، بل يجب أن تفتح لها شغاف القلوب ونوافذ العقول وتحرك بها الألسنة لتكثير نسلها، مع ضرورة غربلتها لتمييز قمحها من زؤانها، فتكون أهدى سبيلا إلى المعرفة، وأقوم طريقا إلى إصابة المراد.

لأجل هذه الغاية تأتي هذه المقالات اللغوية التي أرجو لهلالها أن يكتمل بدرا ليمحو ظلمات هذا الليل الذي عسعس على الفصحى، فيقيلها من هذا التلوث اللغوي المنتشر بوغاؤه في دنيا العروبة مشرقًا ومغربًا، من خلال التصدي لتصحيح الأساليب العامية، والعبارات الخداج، والكلمات الملهوجة التي تذيعها كثير من القنوات العربية الفضائية، من دون أن تدرك حجم زلاتها، وما تقترفه في حق الفصحى من فوضى ليس لها نظام على شاكلة هذه العبارة: «مبروك لفريقنا الوطني...» وهم يقصدون تهنئة فريقهم بالفوز بالمباراة. غير أن تدبر هذه الجملة، يظهر بجلاء أنها أضل سبيلًا، وأن كلماتها أخفقت في توصيل المراد، لأنها لم تدرك الفرق بين فعلي: «برك» و«بارك»، فلم تتمكن من التمييز بين الصيغ اللغوية المختلفة المستمدة من أصل واحد. كما أن خبرتهم ودرايتهم بأسرار الفصحى لم تمكنهم من الاهتداء إلى عجائبها، وفرائدها التي لا تنتهي، من خلال تقليب الجذر الواحد لتوليد العدد الهيضل من المعاني والدلالات المختلفة، يعرضونها على المجتمعات اللغوية العربية، فتكون عكازا يدل المواكب العربية على المراد من كل لفظة محصلة من عمليات التفجير اللغوي، لأجل تحصيل المعاني العديدة من الأصل الواحد. وقد عني الأوائل بهذا الباب فأولوه اهتمامهم لإدراكهم أن الألفاظ أزِمّة للمعاني مُحَصّلة لها، مؤكدين أن أي زيادة في المبنى ينتج عنه زيادة في المعنى. لذا فإن ما تدل عليه صيغة «فعل» بفتح الفاء والعين واللام، مخالف لما تدل عليه صيغة «فاعل» الدالة على المشاركة والموالاة. وأن لفظة «برك» لا تدل على سوى البروك والجثو على الركبتين والإناخة والإقامة والإدامة، أما «بارك» «الله الشيء وفيه وعليه: جعل فيه الخير والبركة»(٣) وقد أورد القرآن الكريم هذه اللفظة بهذه الصيغ: (بارك، باركنا، بورك، تبارك، بركات، بركاته، مبارك، مباركًا، مباركة) للدلالة على النماء والخير والبركة. قال تعالى من سورة الأنعام آية رقم ٩٢: ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مُبَارَكٌ مُّصَدقُ الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾، وقال من سورة ص آية رقم ٢٩: ﴿كتابٌ أنزلناهُ إليْكَ مُبَارَكٌ لّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَليَتذكَّرَ أوْلُو الألبَاب﴾

الهوامش

١- البيان والتبيين- أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ- تحقيق وشرح: حسن السندوبي- الجزء الأول- ص٣٥٥- ط ٤- ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م- دار الفكر- بيروت- لبنان.
٢- نفس المصدر- ج١- ص ١٤١.
٣- المعجم الوسيط- د.إبراهيم أنيس وآخرون- المجلد الأول- ص٥١- ط٢، ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م- دار إحياء التراث العربي.

قصة قصيرة

كسرة خبز

مياسة النخلاني - قاصة يمنية

«أمي! لماذا السماء واسعة؟!».

قالها وهو يحدق بنظرات بريئة في زرقة السماء الممتدة فوقه إلى ما لا نهاية.

«ربما هي كذلك لتسعنا جميعا عندما نموت وتصعد أرواحنا إلى هناك» ردت عليه بحروف شاردة وفكر تائه.

أفلتَ من يدها ووقف متجهما رافضا مواصلة المسير.

«ما بال حبيبي الصغير؟!»

جثت على ركبتيها وراحت تمسح على شعره وخديه بحنان.

«لا أحب هذا النوع من المزاح، لماذا تتعمدين إخافتي دائما!».

«آه».

خرجت من بين شفتيها دون إرادة منها، ضمته إلى صدرها وهي تقول متوسلة:

«آسفة يا حبيبي، تعرف أن أمك تحبك جدا، ولا ترغب بإخافتك، لكن...» صمتت قبل أن تكمل بصوت متحشرج:

«حقا آسفة!»

عندما أفلتته وحدق في عينيها الغارقتين بالدمع، شعر أنها تخفي أمرا لا ترغب بالبوح به، وإن كانت كلماتها تفعل أحيانا، لكنه لم يملك غير الصمت الصارخ يعبر به عن رفضه لتلك التلميحات.

واصلا المسير نحو مدرسته، تظللهما الأشجار المتوشحة رداء الخريف الموشى أطرافه بأوراق صفراء، لا تلبث أن تتهاوى على الرصيف، معلنة انتهاء دورة حياتها القصيرة.

أخبرته أن والده كان جنديا شجاعا، قدم حياته قربانا ليحيا هو بأمان، لكنه لم يعرف كيف يكون ذلك الشعور، وكيف له أن يفعل، وظل شبح مخيف يطغى سواده على بياض عيني والدته الواسعتين، يجبرها على ملازمة الفراش ليالي طويلة..

«أمي أنت ترهقين نفسك بالعمل».

«وماذا بيدي أن أفعل يا صغيري، لابد أن أتعب الآن لأجلك، وعندما يشتد عودك سأنسى تعبي حين تسندني بيديك القويتين».

تنهد بأسى وهو يحملق في جدران دار رعاية الأيتام بنظرات تائهة، فقد صار حبيس جدرانها الصدئة بعد أن شارك الرجال بحمل نعشها الخشبي المصقول، وأهال على جسدها المسجى ترابا معجونا بدموع قلبه الصغير.

انسل من فراشه بهدوء، ومن نافذة غرفته الصغيرة راحت عيناه تتفحصان السماء الممتدة بلا نهاية:

«لا تزال السماء واسعة!»

تمتم بها وهو يمسح دموعه بكم قميصه المتسخ، وعلى إثر نداء مشرفة دار رعاية الأيتام أسرع لغرفة الطعام لتناول إفطاره قبل أن يلتهم رفاقه كسرة الخبز التي لن يتذوق سواها حتى المساء.

اذكر صباك

د. علي منصور سالم الفرسطائي
أستاذ مشارك بكلية التربية- نالوت- جبل نفوسة- ليبيا

إلى الذين يتنكرون لأصدقائهم وأصحابهم عندما يحصلون على رتب أو مناصب أو زخرف من الحياة أقول:

كم صاحب أبقى على أصحابه ... لم ينس في يوم رفاق شبابه
لم تُغره الألقاب لم يفتن بها ... فالسيف لا يعنى بفقد قرابه
والسفل سفل كلما حليته ... وكسوته ثوبًا سوى أثوابه
يلتف كالثعبان حول رفيقه ... لسعًا بأنياب جزى أتعابه
كالكلب يلهث فارغًا ومحملا ... بل ثعلب يهوى الأذى لصحابه
إن الحياة عجيبة في أمرها ... مناعة للشيء عن أربابه
تعطي اللئيم مكانة مرموقة ... وتحط من قدر الذي أولى به
ذاك امتحان واضح لذوي النهى ... كي يعلموا لله فضل ثوابه
وليعلموا أن الأمور عواقب ... يحظى بها من خاف يوم حسابه
يا معجبًا بزخارف ومناصب ... اذكر صباك مقلبًا لكتابه
إنّ الوفاء سجية محمودة ... يعلو الوفيّ بها على أترابه
ويظل في درب الحياة منارة ... تهدي الذي لعب الهوى بصوابه

الأدب الإسلامي ليس ضد الإنسان

فوزي تاج الدين - ناقد أدبي

ليس هناك أدنى شك في أن الدين الإسلامي دين الإنسانية عامة، فهو يخاطب الإنسان الذي يعد محور الكون، ومن أجل هدايته أرسل الله عز وجل الرسل والأنبياء، وجاء ذكر الإنسان في أكثر من ٩٠ موضعًا من القرآن الكريم، هذا إلى جانب أن المولى عز وجل تكفل برزق الإنسان سواء كان مؤمنًا أو غير مؤمن، من هنا يتبين لنا أن الإسلام- خاتم الأديان- اهتم بالإنسان أيما اهتمام، وتؤكد أدبيات التاريخ أن الرسول ﷺ لم يقاطع الأدب وخاصة الشعر، وفي هذا إشارة إلى دور الأدب في تهذيب الإنسان، وليس أدل على ذلك من قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقوله: «إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر حكمة»، وتروي الأدبيات موقف الرسول ﷺ من الشاعر حسان بن ثابت المعروف بشاعر الرسول ﷺ، حينما قال له: «اهجهم- أو هاجهم- وجبريل معك»، وكذلك تذوق الرسول ﷺ للشعر وعدم معارضته له، وليس أدل على ذلك من استقباله «النابغة الجعدي» حينما جاء مع بعض قومه لإعلان إسلامهم بين يدي الرسول ﷺ، وأنشد بعض أبياته منها:

أتيت رسول الله إذ جاء الهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيّرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فسأل الرسول ﷺ فأين المظهر يا أبا ليلى؟ فأجابه: الجنة.
فتعجب الرسول ﷺ لهذا الرد، وقال: إن شاء الله. واسترسل الجعدي في شعره حتى اختتمه بقوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

فإذا برسولنا الكريم يقول له: لا يفضض الله فاك.
وفي هذه المواقف أدلة على حب الرسول ﷺ لسماع الشعر وتذوقه. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عرف عنه أنه كان يستحسن الكلمات الشعرية التي تتضمن حكمة أو ترشد إلى حسن الخلق، وكان دائمًا يدعو إلى الالتزام من جانب الشعراء بالأخلاق، وكان من المعجبين بالشاعر «زهير» لأنه كان لا يمدح أحدًا إلا بما فيه، وعندما استمع إلى بيت شعر أنشده عن بني الحسحاس:

عميرة ودع إن تجهزت غازيا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال له: لو أنك قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك. ولاشك أن هذا النقد في محله، فالذي ينهى الإنسان عن المفاسد إسلامه وليس شيبه. كما كان معروفا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا نصحه لابنه بحفظ الشعر ليحسن أدبه.

الأدب الإسلامي ليس ضد الإنسان

الأدب الإسلامي نثرًا وشعرًا ليس ضد أية مذاهب أدبية أخرى، كما أنه ليس ضد الإنسان، فهو في جوهره، لا يمنع من مراجعة القديم وتقويمه منهجيا، ولا ينحاز لطبقة دون أخرى من الطبقات، لا يهتم بالعقل على حساب العاطفة أو العكس، وإنما يمزج بينهما في إطار إنساني بديع، ويراعي التجانس والتكامل بين كل من الأشكال الأدبية ومضامينها، كما أن الأدب الإسلامي ضد إعلاء شأن الانفعالات الإنسانية غير المنضبطة، ولكنه يعلي من شأن العقل، ومن جانب آخر فالفكر الإسلامي يؤكد على الترابط بين الفرد والجماعة ارتباطا عضويا، فالذات الفردية ليست مقدسة وإنما هي في خدمة الجماعة التي هي في النهاية مجموعة أفراد.
إن ما يميز الأدب الإسلامي حقا أنه ليس مادة جافة لا روح بها، وإنما مادة تعبر عن تعدد احتياجات الإنسان، ومن ثم تلبيتها في إطار قيمي، تأكيدا على أن وظيفته إصلاح المجتمع، مع عدم إغفال أن الإغراق في المثالية والغلو في التجرد من الأمور غير المبررة، وهو ضد الحرية المطلقة أو الإباحية مما يهدد الحياة البشرية.
الأدب الإسلامي يهتم بألا يعبر الكاتب أو الأديب عن نفسه فقط، وإنما يكتب من أجل الآخرين ولهم، وأن بناء المجتمع بناء حقيقيا يعتمد على عدم إغفال السلبيات للخروج بدروس مستفادة، ومن ثم الوصول إلى عالم الإيجابيات المرجوة، ولأن الإنسان محور الكون فهو ضد كل ما من شأنه إبراز الجانب الغريزي والحيواني للإنسان وشهواته، من منطلق أن الله عز وجل كرم الإنسان، وأن الأديان جميعها إنما جاءت لإسعاد وهداية البشرية، من خلال الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، ونظام الأسرة، ومقاومة أي أفكار تدعو إلى هدم نظام التزاوج الطبيعي، وخصوصا أفكار الزواج المثلي والشذوذ التي أصبحت تمارس في ظل حماية التشريعات، وتناول الأدب الغربي لها وتقديمها على أنها النموذج الأمثل وتصديرها إلى الدول الشرقية الإسلامية.
مجمل القول: إن الأدب الإسلامي له جذور راسخة تميزه عن الثقافات والآداب الأخرى، ويؤمن بأن أديب عصر ما.. هو ابن لمن سبقه، كل أديب يحمل سمات عصره ويورثها لمن بعده، على أن الوارث يحمل صفات من القديم ويجيش صدره بطاقات من الجديد لأنه يعايشه، وفي هذا السياق يؤمن الأدب الإسلامي بأنه لا يجوز دراسة مشكلاتنا الفكرية من خلال فكر وأدب الآخرين، ولا يجوز أن يغفل مكان أمتنا وموقعها من التاريخ، ومن ثم انسجام الأفكار والعواطف وغيرها مع ما تفرضه المرحلة الراهنة، ومراعاة أن ابتداء حلول مشكلاتنا من الشرق أو الغرب هو تضييع للجهد ومضاعفة للداء، هذا إلى جانب التفريق بين ما هو فرعي وما هو أصيل، فالأصل ثابت لا يمكن التنازل عنه، والفرع يتمثل في المتغير، وفي ضوء ذلك يمكن الإفادة من المنجز الإنساني في جمال التحول والأدوات والأساليب، أما الأصول فهي تامة.

المراجع

١- وجهة العالم الإسلامي: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق.
٢- العقد الفريد: ابن عبدربه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.
٣- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: المؤسسة المصرية العامة، جزء ١، القاهرة، ١٩٦٣م.
٤- أخطاء المنهج الغربي الوافد: أنور الجندي.

نفس خضراء

محمد ثابت توفيق - قاص مصري

فيما كانت ضحكات السيدات تتوالى بصوت عال، بينما تنساب النكات على أفواههن، كانت شفتا «الشيخ خضر» تنهمران بالتمتمة لهن بالهداية والاستغفار لله تعالى عما يقلن:

- جاء باحثا عن «الجامع» هاهنا!

كلمة كن يتبادلن قولها باستغراب غير متناهٍ، فيما لم يزد الرجل الصالح على أن قال:

- وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، صدق رسول الله ﷺ برغمكن.

ورغم عدم الحياء البادي على محيا النسوة إلا أنهن غرقن في الصمت، بل طأطأت الكثيرات منهن رؤوسهن في خفر نسينه منذ زمن متفاوت، بحسب كل واحدة منهن، ففيهن من نسيته منذ عقود، ومنهن من نسيته منذ سنوات قليلة، وبعضهن ظنن في أنفسهن فوات أمد عودته إليهن.

أما ذات الوجه الصبوح التي سمينها وما يزلن بـ«الغرة»، فهي الوحيدة التي جاءت على عجل، من مجلسها البعيد عنهن، قائلة في لهفة وشدة بينهما حزم واضح:

- ماذا بكن؟ وأي مسجد هذا الذي جاء اسمه المبارك على هذه الشفاه؟

زاد صمتهن، بل شعرت غير واحدة منهن بالمهانة الشديدة، أما الشيخ

خضر فقد قال في ثقة وهو يتنفس الصعداء:

– المسجد يا ابنتي هو الذي ينساب الآن عنه عبق أصوات قراءة القرآن الكريم تمهيدًا للأذان ولصلاة الجمعة، أوَلستن من المقيمات في بلد الألف مئذنة (القاهرة)؟ أوَلستن من خلق الله تعالى؟

فوجئ الشيخ بجمع النسوة ينفض من حوله في عجلة لا يدارينها؛ كأنهن يعاقبن أنفسهن على ما بدا منهن حيال الرجل الطيب الذي أوقعه قدره– لحكمة يعلمها الله تعالى– في حارتهن الضيقة.

كان «الشيخ خضر» قد لبس الثياب البيضاء الخاصة بصلاة الجمعة وتطيب وسار للمسجد في دروب القاهرة، ولأنه عزم على نفسه أن يصلي كل جمعة، ما أمد الله في عمره، في مسجد مختلف منها، يتعرف على المزيد من إخوانه في الدين، داعيًا الله تعالى أن يجعل هداية كثير من العصاة على يديه، فقد راح ينقِّب في هذا الحي الذي لا يعرف له اسمًا، والبعيد عن مكان سكنه في القاهرة القديمة.. راح يبحث عن مسجد جديد عليه لم يره من قبل إلى أن قادته قدماه لأولئك النسوة.

أما «الغرة»، أو المرأة التي دخلت الحي على حين غفلة من نسائه، تلك التي لا يعلمن لها اسمًا، وتبدي الملل بل القرف الشديد من الحي ونسائه كل آن، ولا ترحم واحدة منهن إذا تطاولت الكلمات بينهن إلى السباب ثم التماسك بالأيدي.. أما الغرة التي كن يحتجن على الدوام لأن يجتمعن لإيقاف ضرباتها لإحداهن كلما قامت مشاجرة بينها وبين إحدى نزيلات الحارة الضيقة المظلمة، وكثيرًا ما كان يحدث وما كن يضربنها حتى إنهن طالما خفن عليها أن تموت بين أيديهن، أو توهمن ذلك حدث من كثرة ما ضربنها.. أما الغرة تلك التي إن لم يتشاجرن معها أخذت ناحية منهن وجلست تنظر لما حولها في عتب شديد، وكثيرًا ما لمحن قطرات أسفل عينيها حرن في تفسيرها أهي تنتمي لعالم الدموع أو العرق.. أما المرأة التي لا يعلمن لها اسمًا، وكانت كلما استقبلت زبونًا من طالبي المتعة المحرمة، ونادرًا ما كانت تفعل، تمزق على إثر رحيله من غرفتها ما تقاضته منه وترفع طرف ثوبها لتغطي وجهها، أما من أطلقن عليها «الغرة» فقد أخذت الرجل معها قائلة له:

– هل تهت يا عم الشيخ؟

– نعم يا ابنتي.

توقفت عن السير تمامًا وتهدج صوتها وغامت الرؤية أمامها قائلة في تعجب شديد:

– ابنتك؟!

أوَتظنني أصلح لهذه النسبة لرجل صالح مثلك؟!

– نعم ومهما كانت ذنوبك فإن ربي يقبلك لو عدت، صادقة، إليه فلم لا أسميك ابنتي؟

– أوَتظنني فاعلة؟!

وقف الرجل محدقًا في السماء قائلًا:

– اللهم إن في هذا اليوم الكريم المبارك ساعة إجابة؛ فإن كنت قد أنعمت علي بها فاجعلها لابنتي هذه، عافها من كل مكروه وسوء واشملها برحمتك، واجعل هدايتك تحل بقلبها يا عفو يا كريم..

عندها رأت من عادت على استحياء من النسوة قطرات الدمع تتلألأ على محيا من كن يعرفنها بـ«الغرة».

أضاف الشيخ:

– أأنا في حارة من تلك الحارات المرخصة؟!

زاد بكاء المرأة حتى تحول لنحيب، فقد كانت قدما الشيخ قد قادته لحارات من تلك الحارات التي كان الإنجليز إبان احتلالهم لمصر يخصصونها لنوع معروف من ظلم النفس..

أراد الشيخ المضي فأوقفت السيدة له عربة «حنطور» قائلة لـ«الحوذي»:

– خذه إلى المسجد الذي على يمين الطريق الصاعد.

ولما أن همت بدفع الأجرة أبى الشيخ في تصميم..

أما ما حدث عقب ارتفاع نداء الحق من يوم الجمعة نفسه، فقد شهدته النسوة في الحارة باستغراب وحسد في الوقت نفسه، إذ جاءت التي كانت تسمى «الغرة» بكل ما تملك، ثم سكبت عليه الكيروسين في قلب الحارة، حتى إذا تفحم متاعها تدثرت بثوبين وخمار وسارت في طريقها للمسجد أقصى اليمين في الطريق الصاعد لا تنظر خلفها، سرن وراءها حتى رأينها تدخل إليه، ولم تعد إليهن مرة أخرى.

وفي الجمعة التالية بكت أكثر من واحدة منهن لما جاءهن الشيخ قبل الصلاة، ليقول لهن كلمتين ثم يزجر «الحوذي» ليمضي به بحصانه بسرعة:

– لقد كانت تلك المرأة تحمل نفسًا خضراء تتوق للهدى؛ فما إن رأت من يشير لها عليه حتى تبعته.. فمن منكن تملك شجاعة ومخزون خير مثلها؟

«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»

«روجيه جارودي»

بهيج بهجت سكيك - كاتب فلسطيني

«روجيه جارودي» المفكر والفيلسوف والكاتب الفرنسي غني عن التعريف.

يكتب منذ أكثر من ٥٠ عامًا.. عرفه القارئ العربي بعد أن أعلن عن إسلامه، وإعجابه بالمبادئ التي يقوم عليها الإسلام.. وكتب عدة كتب منها: (عظمة الإسلام وانحطاطه) أدان فيه التزمت الإسلامي، كما يقول، وأعلن أن «التأسلم داء الإسلام»، ولسنا هنا بصدد مناقشة مفهوم التأسلم، أو التزمت الإسلامي.

زادت معرفة القارئ العربي له بعد صدور كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، وما أعقب ذلك من ضجة كبيرة صاحبت صدور هذا الكتاب، ثم مصادرته، وتعقب مؤلفه- وتقديمه للمحاكمة مع زميل له قس مسيحي- وفق قانون المطبوعات الفرنسي، والذي وضعه الشيوعي جايسو، وهو يظهر مدى سيطرة الصهيونية العالمية على وسائل الإعلام، ومنها الفرنسية، وهي السيطرة والنفوذ اللتان حذر منهما عظيم فرنسا- شارل ديجول- وأحس بطغيانهما على الحياة في فرنسا.

وانتهى ذلك بتقديم «جارودي» وزميله للمحاكمة، ومنع تداول الكتاب بتهمة «معاداة السامية».

لماذا هذا الكتاب؟

قام بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية محمد هشام، وقدم له الصحفي المعروف، ووزير الإعلام المصري الأسبق- محمد حسنين هيكل- وأصدرته دار الشرق بالقاهرة، وطبع مرتين خلال هذا العام (١٩٩٨م) ، حيث نفدت الطبعة الأولى خلال أشهر، ثم ظهرت طبعة ثانية.

يقع هذا الكتاب في حوالى ٣٤٤ صفحة من القطع المتوسط، ويخلو من الصور أو الأشكال أو الخرائط.. قام المترجم بشرح بعض المصطلحات، وتوضيحها في الحاشية.. أما الوثائق التي استعان بها المؤلف فقد جعلها في صلب المادة العلمية كشهادات لها تاريخ، ومصدر يمكن الرجوع إليه.

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في مقدمة الطبعة العربية: «كنت أفضل ألا تكون هناك مقدمة للكتاب من خارجه- لأن بعض النصوص يمكن أن تستغني عن التقديم، وحتى لا يصير التقديم عبئًا على النص، وحتى لا يحمل التقديم تأويلًا للنص يتجه به إلى منحى معين، وهذا صحيح إلى حد كبير، ويرى هيكل أن «جارودي» جعل من الوقائع نسيجًا للحقائق، ثم استعرض الأساطير التي تناولها الكاتب.

أما «جارودي» نفسه فكتب تحت عنوان: لماذا هذا الكتاب؟ إنه يحارب التزمت باعتباره منبعًا للعنف والحرب، وهو أحد الأمراض الفتاكة في عصرنا الراهن، ولذلك، فإن هذا الكتاب جزء من ثلاثية كرسها للتصدي لنزعات التزمت، أولها كتاب «عظمة الإسلام وانحطاطه»، وهناك كتابان آخران خصصهما لمناقشة التزمت في الكنيسة الكاثوليكية هما «هل نحن بحاجة إلى الله» و«نحو حرب دينية»، وهذا الكتاب: «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» هو الجزء الثالث من هذه الثلاثية، وقدم مجموعة حقائق مهمة منها:

١- إن دولة إسرائيل حلت محل «إله» إسرائيل.

٢- إسرائيل هذه حاملة طائرات نووية حصينة تابعة لسيدة العالم الولايات المتحدة.

٣- إن بلفور منح الصهاينة بلدًا لا يملكه.

٤- الهدف من ذلك: الاحتفاظ بنفط الشرق الأوسط.

٥- أميركا ومعها إسرائيل لا يحترمان القانون الدولي، لأنه «قصاصة ورق».

٦- هذه السياسة المشينة بعدم احترام القوانين والقرارات الدولية، ومنها إدانة ضم القدس تتخفى وراء حجب براقة، وكتابه هذا سيكشف تلك الحجب.

وفي مقدمة المؤلف يقول: إن هذا الكتاب يتصدى لبدعة وهي جعل الدين أداة للسياسة، وانتهى إلى تعريف الصهيونية بأنها: مذهب سياسي وقومي واستعماري، وقد استعان بمجموعة كبيرة من المصادر والمراجع والمجلات مثل، موسوعة الصهيونية وإسرائيل، يوميات كل من ثيودور هرتزل وبيجن، وقرارات

المؤتمرات الصهيونية وغيرها.

أسطورة الوعد

خرافة: الأرض الموعودة.. أم أرض مغتصبة؟

واقع الأمر أن جميع شعوب المنطقة من بلاد ما بين النهرين إلى مصر قد تلقوا وعودًا بأن الإله منحهم الأرض، وهي وعود شفوية غير مكتوبة كما تقول الحاشية، والوعد بالأرض يعني الوعد بالاستقرار، وقد ناقش المؤلف مضمون الوعد الأبوي- اليهوي- نسبة إلى يهوه في القرن التاسع قبل الميلاد، واستعان المؤلف بالعديد من النصوص والمراجع، منها: التوراة والبروتستانت وإسرائيل والتفسيرات اللاهوتية للصراع العربي الإسرائيلي، سفر ميخا، محاضرات الحاخام المر برجر، وصحيفة البايس الإسبانية وغيرها.

ثم أورد مقولة الجنرال موشي ديان إلى صحيفة جيروز اليم بوست ١٩٦٧/٨/١٠م عقب نصر إسرائيل السريع بأيام:

«إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة».

ويستنتج «جارودي» أن «إيجال عامير» قاتل اسحق رابين لم يكن شخصًا جانحًا أو مخبولًا، ولكنه نتاج خالص للتربية الصهيونية، فهو ابن حاخام، وكان طالبًا متفوقًا، وتربى على تعاليم التلمود، وهو يؤمن بأن يقتل كل شخص يتنازل للعرب عن الأرض الموعودة، وهذا جزء من النهج الخرافي الذي يتبناه الصهاينة، وهو لا يمثل حالة شاذة في المجتمع، فقد احتفل معه كل المستوطنين في أراضي الضفة الغربية. لقد كان إسحق رابين ومن قبله آلاف الفلسطينيين ضحية لأسطورة- خرافة- الأرض الموعودة التي تمثل إحدى الذرائع للاستعمار الدموي!

أسطورة شعب الله المختار

يمكن تقسيم سكان العالم إلى قسمين: «إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى.. فإسرائيل هي الشعب المختار، وهذه عقيدة أساسية» هذا ما كتبه كوهين الحاخام في كتابه التلمود صـ ١٠٤، بينما يؤكد جارودي أن اليهود القدماء لم يكونوا موحدين، فالإله العبراني يتفوق على الآلهة الأخرى (سفر الخروج)، ولم تترسخ عقيدة التوحيد إلا بعد نفيهم، والتيه في سيناء، ولم يكونوا وحدهم الموحدين، فالفراعنة في عهد أخناتون، والبابليون، وكذلك الهندوس في كتابهم الفيدا، وكل هذه الشعوب كانت ترى أنها مختارة من قبل الإله، وأنها ليست ملكًا أو حكرًا لتراث واحد دون غيره!

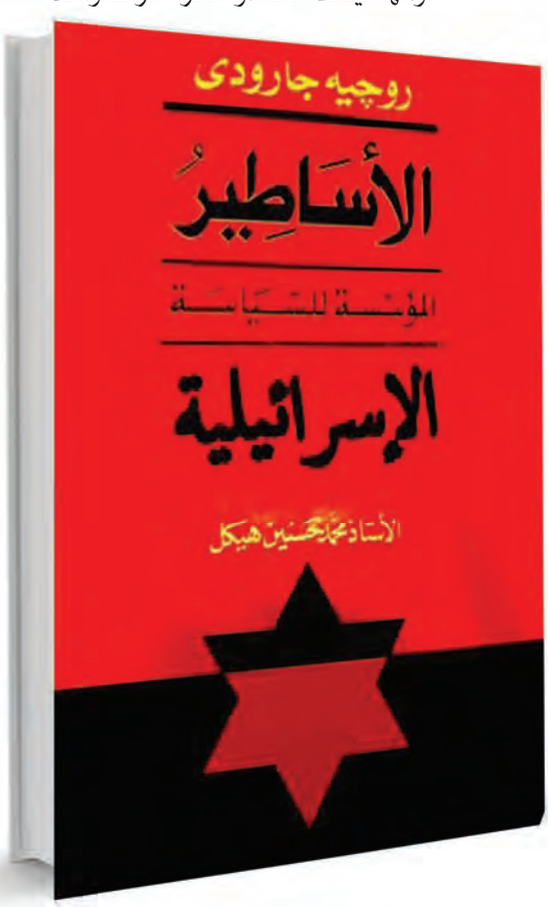

أسطورة خرافة التطهير العرقي

استعان «جارودي» بنصوص من التوراة (سفر يشوع ١٠/٣٩:٣٤) (سفر التثنية ٢٤:٧) (سفر الخروج ٣٤:١٥:١٦) (سفر نحميا ١٣:٣٠) والتي تحض اليهود على التطهير، وتحليل قتل ونهب واغتصاب غير اليهودي منذ أيام يشوع.

وتلك الرؤى والنبوءات العظمى لكل من عاموس وحزقيال وأشعيا وأيوب.

وهي التي استند عليها مناحيم بيجين في ١٩٤٨/٤/٩م، ومعه رجال منظمة أرجون في ذبح ٢٤٥ من الرجال والنساء والأطفال من أهالي قرية دير ياسين.

وهي النصوص التي اعتمد عليها موشي ديان حين قال في ١٩٦٧/٨/١٠م: إذا كنا نملك التوراة ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة، ألم يكن صوت يشوع ماثلًا في كلمات «يورام بن بورات» الذي صرح يوم ١٤/ ٧/ ١٩٧٢م لصحيفة يديعوت أحرونوت قائلًا: لن تكون هناك صهيونية، ولن يكون هناك وجود استيطاني للدولة اليهودية إلا بطرد العرب والاستيلاء على أراضيهم، وهي نفس الادعاءات التلمودية التي نفذها «رفائيل ايتان» في مذابح صبرا وشاتيلا، ونفس الأسلوب الذي اتبعه «إسحق رابين» في سحق عظام أطفال الانتفاضة؟ وهي نفس النصوص التي ينفذها «أرييل شارون» في تدمير البنى التحتية للشعب الفلسطيني.

وقام «جارودي» بعمل جيد حين أثبت عدم صحة هذه الروايات من الناحية التاريخية، فقد أثبتت بعثات الآثار والحفريات على أن أريحا كانت مدينة مهجورة قبل وصول الإسرائيليين إليها (١٥٥٠ق.م-١٤٥٠ق.م) وكذلك مدينة (عاي) غربي أريحا لم يكن لها

وجود ما بين (٢٤٠٠ق.م-١٢٠٠ ق.م)، وهي الفترة التي ذكر سفر يشوع تفاصيل استيلاء الإسرائيليين عليها!

ثم تناول خطورة الاعتماد على هذه الأساطير (الخرافات) وعواقب المحاكاة الحرفية لتمجيد سياسة الإبادة على هذا النحو (وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح ودمرها وقتل كل ملوكها، ولم يفلت منها ناج، بل قضى على كل حي كما أمر الرب إله إسرائيل) (سفر يشوع ١٠/٢٨-٤٠)، (يوصي الرب موسى بألا يتزوج بنو قومه من بنات الشعوب الأخرى التي تقطن هذا البلاد) (سفر صفتا ١:٨) أو التكلم بلغات غير العبرية، ومن مفارقات القدر المريرة أن الدعاوى البيلوحية والعرقية التي روجها النازيون (التفوق الجرماني) والتي ذبح بموجبها اليهود في أوروبا، هي نفسها التي تشكل أساس تعريف اليهودي داخل دولة إسرائيل «جوزيف بادي- القوانين الأساسية لدولة إسرائيل - نيويورك ١٩٦٠/ صـ١٥٦».

وأصبحت نزعة التطهير العرقي نهجًا ثابتًا لدولة إسرائيل الحالية.

وفي ١٠/١١/١٩٧٠م اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا يعتبر الصهيونية شكلًا من أشكال العنصرية والتفرقة العنصرية.

أساطير القرن العشرين

١- خرافة الصهيونية المعادية للفاشية والنازية:

أفرد «جارودي» حوالى ٣٥ صفحة من كتابه لدحض هذه الأسطورة الخرافة بل والأكذوبة الكبرى، وبين كيف التقت الصهيونية في أهم أهدافها، وهي جمع اليهود في فلسطين، والنازية الهتلرية التي تسعى إلى طرد اليهود من ألمانيا بل من أوروبا كلها، ومن هنا كان التعاون بشتى الوسائل. بل تميزت الصهيونة بالانتهازية لتحقيق أهدافها، فقد تحالفوا مع النازيين في ألمانيا لتأمين ترحيل اليهود إلى فلسطين، واتخذوا «موقفًا مغايرًا فتنبوا منذ عام ١٩٣٢م إلى عام ١٩٤١م سياسة التهاون بل التعاون مع هتلر».

٢- أسطورة/ خرافة: عدالة محاكمات نورمبرج:

محاكمات نورمبرج هي التي تمت فيها ملاحقة ومحاكمة كبار مجرمي الحرب من الدول الأوروبية التابعة للمحور، وذلك بإنشاء محكمة عسكرية دولية أمر بإنشائها قادة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وهدفها محاكمة الذين قاموا بجرائم ضد السلام «أي المسؤولين عن نشوب الحرب «جرائم الحرب» الذين انتهكوا قوانين الحروب و«الجرائم ضد الإنسانية» التي تمس السكان المدنيين، ويتساءل «جارودي» لماذا لم يحاكم ويلاحق سوى أتباع الدول المنهزمة؟ لماذا لم يحاكم «تشرشل» الذي أعلن في ١٦/٥/١٩٤٠م «سوف نقوم بتجويع ألمانيا، وسوف ندمر مدنها، ونحرق محاصيلها وغاباتها».

ولماذا لم يحاكم «فلاديمير جابوتنستكي» الذي صرح في يناير من نفس السنة: «إن مصالحنا اليهودية تقتضي إفناء ألمانيا تمامًا، فالشعب الألماني بأكمله يمثل خطرًا علينا، لماذا لم يحاكم القائد الإنجليزي الذي قصف مدينة «دريسدن» ما أدى إلى مصرع ٢٠٠ ألف من المدنيين الأبرياء؟

لماذا لم يحاكم «ترومان» المسؤول على إلقاء قنبلتين ذريتين على مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين، وأدت الى مقتل ٣٠٠ ألف من المدنيين فورًا؟

لماذا لم يحاكم «ستالين» لمسؤوليته عن مذبحة الضباط البولنديين في بلدة كاتين؟ والقائمة طويلة! بل إن المأخذ على هذه المحكمة يطال القواعد الفنية المتعلقة بإقامة الأدلة والإجراءات المتبعة في المحكمة!

ما علاقة محاكم نورمبرج بالأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل؟

إن محكمة نورمبرج هي التي صدقت على خرافة أسطورة إبادة ستة ملايين يهودي! وهي التي ابتدعتها، وهذه أصبحت عقيدة تبرز وتقدس كل ما تنطوي عليه كلمة الهولوكوست من معاني لكل صور الابتزاز التي تمارسها دولة إسرائيل في فلسطين، ولازالت هذه الأكاذيب الصارخة تلحق أكبر الأذى والضرر ليس في منطقة الشرق الأوسط فحسب، بل في العالم بأسره!

هذا الرقم لا يستند إلا إلى شهادتين هما «هوتل» الذي كان رئيسًا للمكتب بالقسم الرابع في مكتب الأمن المركزي للرايخ الرابع، وشهادة «ويز لسنكي».

خرافة إبادة الملايين الستة (الهولوكوست)

محاكم نورمبرج هي التي أعطت هذه الأرقام بعد أن جمعتها من شهود عيان في ذلك الوقت، ويكفي أن نعطي مثالًا واضحًا على التباين الصارخ في التقديرات المتعلقة بأعداد القتلى اليهود في معسكر واحد من المعسكرات، هو معسكر «ماجدانيك» وهو ما يولد مزيدًا من الشكوك.

١- مليون ونصف: الحرب على اليهود- لوسي دافيدوفيتش.

٢- ٣٠٠ ألف فقط: الوفيات في ظل الرايخ الثالث- كيا روش.

٣- ٥٠ ألفا فقط: المصدر: القضاء على يهود أوروبا- راؤول هيلبرج، كما إن تباينًا صارخًا في طرق القتل والإبادة التي استخدمت، كانت الصهيونية وراء التهويل في أعداد القتلى من اليهود من أجل ابتزاز ألمانيا، وتحقيق أهدافها في تلك المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية لترحيل اليهود إلى فلسطين، والصهيونية

اليوم وراء تخفيف هذه الأرقام من أجل إخفاء جرائمها على أرض فلسطين.

وأخيرًا ماذا عن ضحايا الحرب النازية من غير اليهود؟ ماذا عن ١٨ مليون سوفيتي قتلوا، وغيرهم من الفرنسيين والإنجليز والأوروبيين بل من الألمان أنفسهم؟

خرافة: أرض بلا شعب.. لشعب بلا أرض

أجرت سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين بتاريخ ١٩٢٢/١٢/٣١م تعدادًا للسكان فيها، بلغ عدد السكان فيه ٧٥٧ ألف نسمة، منهم ٦٦٣ ألف عربي، و٨٣ ألف يهودي من السكان العرب ٨٩٪.. هذه البلاد التي زعم اليهود أنها أرض مقفرة، أما في القرن التاسع عشر، وقبل مؤتمر «بال» فلم يزد عدد اليهود عن ٥٥٪ من سكان فلسطين، وفي تقرير (بيل) صدر عام ١٩٣٧م، أثار فيه وزير الدولة لشؤون المستعمرات البريطانية إلى النمو السريع في إنتاج مزارع البرتقال في فلسطين، حيث أنتجت فلسطين ١٥ مليون صندوق برتقال، تليها الولايات المتحدة بـ ٧ ملايين صندوق وإسبانيا ٥ مليون، وباقي دول العالم: مصر- الجزائر- قبرص ٣ ملايين صندوق، أي أن فلسطين أنتجت ٥٠٪ من إنتاج البرتقال العالمي، فهل فلسطين أرض بلا شعب؟ ولترسيخ هذه المقولة التي تدعي أن فلسطين مجرد أرض مقفرة، تم تدمير القرى العربية ببيوتها وأسوارها بل وقبورها، ففي عام ١٩٧٥م عرض «إسرائيل شاحاك» قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرتها الجرافات عن آخرها من بين ٤٧٥ قرية عربية كانت موجودة عام ١٩٤٨م، كما أصدرت إسرائيل بعد قيامها بشهور قليلة وبالتحديد في ١٩٤٨/١١/١٠م قانون أملاك الغائبين للاستيلاء على أراضي الفلسطينيين الذين تم تهجيرهم

الأرض الموعودة وشعب الله المختار أساطير صهيونية

وطردهم قسرًا من وطنهم.

«التوظيف السياسي للأسطورة»

بدا هذا الأمر واضحًا جدًا في الولايات المتحدة عن طريق تشكيل (جماعات ضغط) بالغة القوة وصار «الصوت اليهودي» يمثل عاملًا حاسمًا في الانتخابات الرئاسية ولشغل مقاعد مجلس الشيوخ الأميركية أيضًا، وزاد هذا النفوذ بعد (مؤتمر بلتيمور) ١٩٤٢م، وصار يحسب له ألف حساب.

لقد بلغت قوة الضغط اليهودية (اللوبي الصهيوني) إلى درجة أن أعلن «كارتر» (الرئيس المنتخب)، «إن الحفاظ على بقاء إسرائيل لا يدخل في نطاق السياسة.. إنه واجب أخلاقي».

أما في فرنسا فقد وصلت قوة الضغط هذه إلى درجة دفعت الجنرال ديجول إلى القول: في فرنسا جماعة قوية موالية لإسرائيل، وهي تمارس نفوذها في وسائل الإعلام على وجه الخصوص. إن «جارودي» نفسه والذي نشر أكثر من أربعين كتابًا في كبريات دور النشر في «جاليمار» إلى «سوي» و«بلون» و«جراسي» و«لافون» توصد جميع الأبواب في وجهه، وقد هدد أحد كبار الناشرين مجلس الإدارة: إذا نشرتم أي كتاب لجارودي فلن تحصلوا على حق ترجمة أي كتاب أميركي فيما بعد «وناشر آخر يقول للمسؤولة الأدبية في داره: «لا أريد جارودي في داري».

بل انتهى الأمر بمحاكمة جارودي وزميليه الأب «لولون» والقس «ماثيو» بتهمة معاداة السامية!! والتحريض على العنصرية.

وبعد:

- إن قوى الضغط الصهيونية هذه مكنت إسرائيل من الحصول على معونات خارجية كبيرة جدًا، ففي خلال الـ ١٨ سنة الأولى حصلت على سبعة مليارات دولار. أي ما يزيد عن إجمالي الدخل القومي للدول العربية المجاورة مجتمعة (مصر وسوريا ولبنان والأردن)، ومنذ عام ١٩٨٤م إلى ١٩٩٤م قدمت الولايات المتحدة الأميركية لإسرائيل مساعدات اقتصادية وعسكرية قيمتها ٢٨ مليار دولار (مجلة تامي/ يونيو ١٩٩٤م).
- قوى الضغط الصهيونية جعلت الولايات المتحدة تعترض ١٧ مرة في مجلس الأمن (فيتو) على قرارات تدين إسرائيل خلال عشر سنوات.
- إن الدعاية الصهيونية هذه هي التي تشوه مغزى الجريمة النازية في حق الإنسانية بأسرها، إذ تحولها من جريمة ضد البشر أجمعين إلى مذبحة لم يذهب ضحيتها سوى اليهود وحدهم.
- إن الصهيونية السياسية التي وضع أساسها (ثيودور هرتزل)، والتي أدانها في ذلك الحين جميع حاخامات العالم باعتبارها خيانة للإيمان اليهودي، لا تنبع من العقيدة الدينية اليهودية بل من النزعة القومية والاستعمارية الأوروبية في القرن «التاسع عشر».
- إن المنظمة الصهيونية العالمية هي التي أعلنت في مجلة (كيفونيم): «ينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة هو هدفنا السياسي على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينات».

كل هذا دفع العالم اليهودي «يشياهو ليبفيتز» أن يعلن في كتابه «إسرائيل واليهودية ١٩٨٧م» إسرائيل ليست مجرد دولة تمتلك جيشًا، ولكنها جيش يمتلك دولة».

العدد (٥٧٨) شوال ١٤٣٤هـ/ أغسطس - سبتمبر ٢٠١٣م

تقريب المأمول في ترتيب النزول

نظم الإمام العلامة : أبي إسحق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري (ت 732هـ)

تحقيق : صالح بن عبدالفتاح بن عبدالخالق
باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

هذه منظومة «تقريب المأمول في ترتيب النزول»، للإمام العلامة أبي إسحق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري (١) (ت ٧٣٢هـ)، نظم فيها ترتيب سور القرآن بحسب نزولها اعتمادا على رواية جابر بن زيد (٢)، وقد كان لهذه المنظومة أثرها في المصنفات بعدها، حيث تناولها المصنفون في علوم القرآن: إما بذكرها كاملة في موطن واحد، كما فعل السيوطي في «الإتقان» (٣)، أو بالاقتباس منها بحسب الحاجة كما صنع غير واحد منهم: المخللاتي في شرحه على ناظمة الزهر للشاطبي المسمى بـ «القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز» (٤)، وابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٥).

وقد اعتمدت في تحقيقها على نسختين خطيتين قديمتين: أما إحداهما فهي الرسالة الأولى ضمن مجموع محفوظ بالخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٦٥/تفسير تيمور)، وقد كتب المجموع كله بخط نسخي واضح، ووقع الفراغ منه سنة (٨٦١هـ)، وبأوله قيد تملك نصه: «من كتب برهان الدين المحدث الشافعي».

أما النسخة الثانية فهي ضمن مجموع محفوظ بمكتبة برلين تحت رقم (SP ١٢٣٦)، وهذه النسخة، وإن لم يذكر تاريخ نسخها، فإن نوع الخط يوحي بأنها من مخطوطات القرن التاسع هي الأخرى، وقد كتبت بخط نسخي جميل مشكول كله.

كما وقفت لها على طبعة حجرية قديمة سنة ١٣١٠هـ، ضمن مجموع أوله «التيسير في علوم التفسير» لعبدالعزيز الديريني، ضمن مطبعة حجر محمد أبي زيد، إلا أن المصحح (٦) لم يعتمد في تصحيحه لها على نسخ خطية، بل اعتمد على ما أورده السيوطي في الإتقان، لذا وقع فيما وقع فيه الإتقان (٧) من نقص ومخالفة، كما سيأتي التنبيه عليه في موطنه.. ونسأل الله تعالى النفع بها.

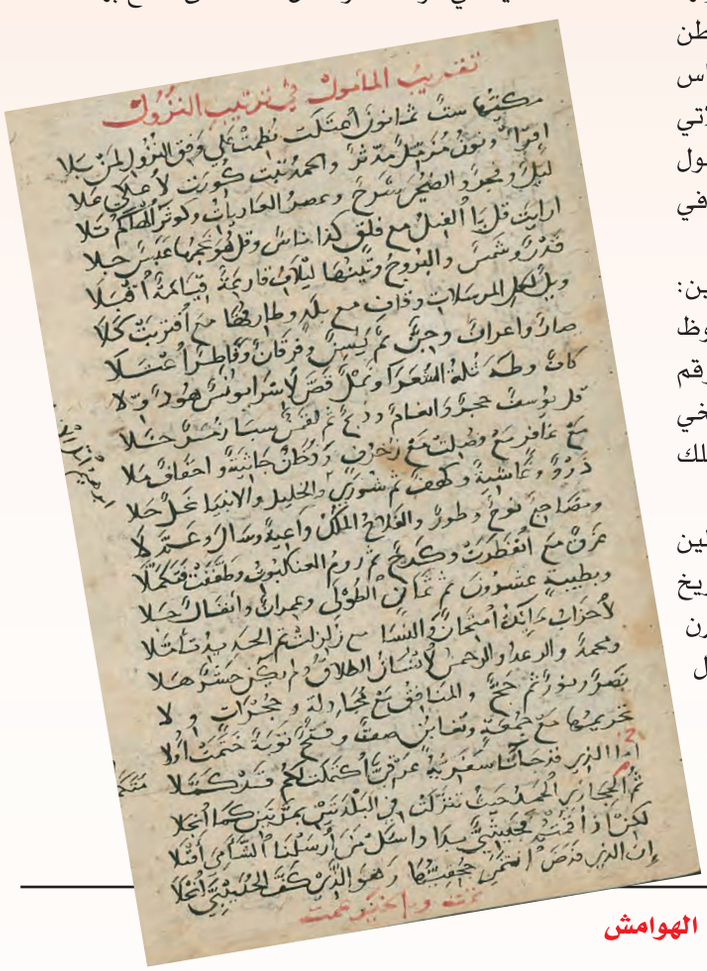
تقريب المأمول في ترتيب النزول

الهوامش

١- نسبة إلى «قلعة جَعْبَر» على الفرات بين بالس والرقة. انظر الأعلام للزركلي (٥٥/١).
٢- انظر: البيان في عد آي القرآن للداني، ط الكويت (ص ١٣٦- ١٣٧)، والتحرير والتنوير الطبعة التونسية (٩٠/١).
٣- طبعة المجمع (١٧٠/١- ١٧١)، وطبعة المكتبة التجارية (١/ ٢٦- ٢٧)، مع التنبه إلى أن كل طبعات الإتقان نقص منها بيت عما هو وارد في الأصول الخطية، كما خالفت الصواب في إثبات بعض مفرداتها، كما يأتي التنبيه عليه في موطنه إن شاء الله تعالى.
٤- انظر على سبيل المثال لا الحصر: (ص ١٦١، ٢١٤، ٢٣٧).
٥- انظر على سبيل المثال لا الحصر: (٩٠/١)، (١٣٣/٢٢، ٣٤٢)، (٨١/٢٣، ٢٠١)، (٢٤/٢٥، ٢٧٥)، طبعة الدار التونسية.
٦- وهو العلامة الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي، صاحب «القول الوجيز» الذي سبقت الإشارة إليه آنفًا حين الكلام عن أثر المنظومة في المصنفات التي بعدها.
٧- انظر (١٦٤) من الطبعة الحجرية المذكورة.

مَكِّيُّها ست ثمانون اعتَلَت ... نظمت على وفق النزول لمن تلا
اقرأ ونون مزمل مدثر ... والحمد تبت كورت لاعلى علا
ليل وفجر والضحى شرح وعصـ ... ـر العاديات وكوثر ألهاكم تلا
أرأيت (٨) قل يا (٩) الفيل (١٠) مع فلق كذا ... ناس وقل (١١) هو نجمها عبس جلا
قدر وشمس والبروج وتينها ... ليلاف (١٢) قارعة قيامة اقبَلا
ويل لكل (١٣) المرسلات وقاف مع ... بلد وطارقها مع اقتربت كلا
صاد وأعراف وجن ثم يـ ... ـس وفرقان وفاطرا اعتلا
كاف (١٤) وطه ثلة (١٥) الشعرا ونمـ ... ـل قص (١٦) لاسرا يونس هود ولا
قل يوسف حجر وأنعام وذبـ ... ـح (١٧) ثم لقمان سبا زمر خلا
مع غافر مع فصلت مع زخرف ... ودخان جاثية وأحقاف ملا
ذرو (١٨) وغاشية وكهف ثم شور ... ى والخليل والأنبيا (١٩) نحل حلا
ومضاجع نوح وطور والفلا ... ح (٢٠) الملك واعية (٢١) وسال (٢٢) وعم لا
غرق (٢٣) مع انفطرت وكدح (٢٤) ثم رو ... م العنكبوت وطففت (٢٥) فتكملا
وبطيبة عشرون ثم ثمان الطـ ... ـولى (٢٦) وعمران وأنفال جلا
لأحزاب مائد امتحان (٢٧) والنسا ... مع زلزلت ثم الحديد تأمّلا
ومحمد والرعد والرحمن لانـ ... ـسان الطلاق ولم يكن (٢٨) حشر هلا
نصر ونور (٢٩) ثم حج والمنا ... فق مع مجادلة وحجرات ولا
تحريمها (٣٠) مع جمعة وتغابن ... صف وفتح توبة ختمت أولا
ثم الحجازي الحمد حيث تنزلت ... في البلدتين بمرتين كما انجلا (٣١)
أما الذي قد جاءنا سفريُّه (٣٢) ... عرفي (٣٣) أكملت (٣٤) لكم متكملا (٣٥)
لكن إذا قمتم فجيشي (٣٦) بدا ... واسأل من أرسلنا الشآمي (٣٧) أقبلا
إن الذي فرض انتمى جحفيها (٣٨) ... وهو الذي كف الحديبي (٣٩) انحلا

٨- يعني سورة الماعون.
٩- يعني سورة الكافرون.
١٠- في مطبوعات الإتقان وكذا الطبعة الحجرية (قل بالفيل)، وهو مخالف لما هو الصواب في الأصول، والمعنى (قل يا) أي سورة الكافرون، (الفيل) أي ثم سورة الفيل.
١١- يعني سورة الإخلاص.
١٢- يعني سورة قريش.
١٣- يعني سورة الهمزة.
١٤- يعني سورة مريم.
١٥- يعني سورة الواقعة.
١٦- يعني سورة القصص.
١٧- يعني سورة الصافات.
١٨- يعني سورة الذاريات.
١٩- بهامش نسخة برلين: (ابراهيم اتل الأنبيا) والمراد سورة إبراهيم ثم الأنبياء.
٢٠- يعني سورة المؤمنون.
٢١- يعني سورة الحاقة.
٢٢- يعني سورة المعارج.
٢٣- يعني سورة النازعات.
٢٤- يعني سورة الانشقاق.
٢٥- يعني سورة المطففين.
٢٦- يعني سورة البقرة.
٢٧- يعني سورة الممتحنة.
٢٨- يعني سورة البينة.
٢٩- كذا في الأصل وهو الصواب، وفي المطبوع من الإتقان (ونوح)! وتبعته الطبعة الحجرية.
٣٠- يعني سورة التحريم.
٣١- هذا البيت بتمامه ساقط من مطبوعة الإتقان، وتبعتها الطبعة الحجرية.
٣٢- يعني أن الآيات التي سيذكرها نزلت على النبي ﷺ في سفره.
٣٣- يعني أن ما سيذكره من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)، نزل على النبي ﷺ بعرفة، كما ذكره عمر عند البخاري (٤٦٠٦).
٣٤- كذا في النسخة المصرية، وفي نسخة برلين (اكتملت لكم قد كمَلا)، وقد أشار بالحاشية على أنه في نسخة أخرى بدل (كمَلا)، (متكمِّلا) وهو الموافق لما في النسخة المصرية.
٣٥- في المطبوع من الإتقان (قد كملا).
٣٦- يعني أن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (المائدة: ٦)، نزلت بذات الجيش، انظر البيان في عد آي القرآن للداني (١٣٧).
٣٧- يعني أن قوله تعالى:﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ (الزخرف: ٤٥) نزل على النبي ﷺ بالشام ليلة أسري به، انظر (البيان في عد آي القرآن للداني) (١٣٧).
٣٨- يعني أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾(القصص: ٨٥)، نزل عليه بالجُحْفَة، انظر البيان في عد آي القرآن للداني (١٣٧).
٣٩- لعله يقصد أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ (الفتح: ٢٤) نزل على النبي ﷺ بالحديبية، أو يقصد سورة الفتح كلها، فعبر بالبعض عن الكل كما مر من قبل مرارًا.

الزواج ارتباط أسر لا أشخاص

بشرى شاكر/ باحثة مغربية

الزواج في منظومتنا العربية وحتى في بعض المجتمعات الغربية، لا يجمع فقط بين شخصين وإنما بين أسرتين، فهو قد يظهر في البداية على أنه اجتماع واتحاد بين فردين فقط، ولكنه بالعكس يوسع رقعة العائلة وامتداد الأسرة وفي بدايته غالبًا ما تخلله بعض المشاكل التي قد تتحول من الطفيفة إلى العميقة إذا لم يتم التعامل معها بشكل سليم...

حينما تقدم الفتاة على الزواج فهي تختار زوجها عن حب واقتناع، ولكن لا هي ولا هو يختاران عائلة الآخر، ولذلك فإنه عادة ما تكون علاقة الزوجة بأم زوجها متوترة وصعبة في بدايتها، فهي علاقة غير اختيارية، وإنما يرغم عليها كلا الطرفين، وعليهما أن يُعوِّدا نفسيهما عليها، وأن يتقبلا وضعيتهما الجديدة، لأنه إن كان الارتباط ثنائيًا بين الزوجين فالزواج هو أمر عائلي أكثر.

ولعل أكثر العلاقات توترًا بعد الزواج هي علاقة (الحمة والكنة) أي زوجة الابن، ولذلك ربما سمعنا ونسمع عنها الكثير من الأمثلة الشعبية مثل:

«لو أن الحماة أحبت الكنة لكان إبليس دخل الجنة».

«الحمى حمة وأم الجوز عقربة سمة»

«على ابنها حنونه وعلى كنتها مجنونة».

وغيرها من الأمثال التي قيلت وتقال..

هذه الأمثلة قد يكون لها نصيب من

الصحة، ولكن ليس لأن الحمة لا تحب زوجة الابن أو العكس الكنة تكره أم زوجها، فهي ليست علاقة كراهية بقدر ما هي علاقة تنافسية، فزوجة الابن امرأة جديدة تدخل حياة ابنها وتنافسها على حبه وتزاحمها على اهتمامه وتقاسمها الوقت الذي كان يمنحه لها، والزوجة أيضًا تكون قد رسمت أحلامًا وردية، وترى نفسها ملكة في بيتها، وتعتبر أنه سيكون إمبراطوريتها الخاصة، وتدخله على هذا الأساس فتشعر بالضيق والغضب لأن هناك أخرى ستقتحم مملكتها الخاصة وتملي عليها طريقة تدبيرها وتسييرها.

إن هذا النوع من الشعور بالخوف من الآخر الجديد، والذي يكون نوعًا ما دخيلا ويقتحم حياة هادئة اعتدنا عليها دائمًا يولد نفورًا وتباعدًا أو حتى عداوة، وهو أمر طبيعي علينا أن نعرف كيف نتجاوزه.

هناك أيضًا الصورة الإعلامية التي منحت لنا بفضل عقود مضت من المسلسلات، والتي تظهر الحمة على أنها المرأة الشرسة غير الرحيمة التي تريد السيطرة على ابنها، وتريد أيضا أن تكون هي التي تختار شريكة حياته، وبعدها جاءت مسلسلات أخرى تظهر الكنة تلك الفتاة الشريرة التي تخطف الابن من أمه في حين تكون هذه السيدة المغلوبة على أمرها، هناك أيضًا أمور حياتية نعيشها وقصص نسمعها من جيران وأصدقاء تجعل الطرفين يخافان من بعض أكثر ويستعدان للمواجهة.

كذلك بعض المقارنات التي يقوم بها الزوج أحيانًا بسبب ارتباطه الكبير بوالدته لسنين عديدة، فهو وإن كان يتزوج عن حب وبدافع تكوين أسرة مع إنسانة اختارها إلا أنه بعد الزواج يبحث عن الصورة المثالية لأمه التي رسمها في ذهنه في زوجته، من حيث حكمتها وحنانها وطيبتها ومجمل سلوكياتها وحتى طبخها، وعلى الزوجة أن تعي أن هذا أمر طبيعي عليها أن تتعايش معه وتحاول تدريجيًا أن تؤسس لمكانتها في بيتها دون أن تحاول تعويض أمه أو إلغاء دورها.

إن صعوبة تعايش (الحمة والكنة) يكمن أساسًا في كونهما يحبان نفس الرجل، بالنسبة للأولى هو ابنها وللثانية زوجها، فضلًا عن كون المرأتين ليستا من نفس الجيل، فبديهي أن تكون هناك صدامات تتعلق بتركيبة شخصيتهما المختلفتين وتقاليدهما المتباينة أيضًا، كما أن كلاهما تحس بالتقصير فيما يخص الوقت المخصص لها من قبل الرجل الابن والزوج.

وقد تنسى الأم مرارًا أنها أم لابنها ولكنها ليست زوجته، مما يجعل هذه الأخيرة أي زوجته تبقى على سياسة دفاعية، لأنها لا تقبل تدخل حماتها في حياتها الزوجية، ولكن يمكن تفهم سلوك الأم هنا أيضًا، فزواج ابنها يخلف لديها شعور بالفقدان، ويجعل بعض التصدعات النرجسية تطفو إلى السطح، فتشعر هذه الأم بالخوف من أن يتخلى عنها ابنها خاصة إذا كانت متعلقة به لدرجة تنصلها من شخصيتها هي لبنائه هو، ولا يمكننا أن ننسى كذلك أنه بالنسبة لهذه الأم، زواج ابنها يعني إعلانًا ضمنيًا لشيخوخة تطرق بابها.

كل هذا يجعلها تشعر بالخوف، وعلى الزوجة أن تتفهم ذلك أكثر...

هناك أيضًا الشعور بالغيرة بين الطرفين، فالأم تتساءل باستمرار: لماذا قلت زيارات ابنها لها؟! وما الذي لدى هذه المرأة- التي تكون زوجته- لتقدمه له ويجعله ينساها هي؟! وفي المقابل تشعر الزوجة بنفس الغيرة حينما يفضل الزوج قضاء وقت أطول في منزل والديه أو يرفع سماعة الهاتف ليتحدث مع أمه طويلا، خاصة إن كان يحكي لها أمور بيته أمامها...

هذه العلاقة التي تبدأ ثنائية بالمودة، وتنتهي عائلية بالزواج هي بالتأكيد علاقة جديدة على كل الأطراف، وأكثر العلاقات الأسرية توترًا كما أسلفنا هي العلاقة بين الحمة والكنة، ولكن يمكن تجاوز هذه العثرة بقليل من التدبير العقلاني.

فعلى الأم أن تتقبل إعلان الحداد عن فترة مضت كانت فيها المرأة الوحيدة في حياة ابنها وتتقبل الانفصال جزئيًا عنه، وعلى هذا الابن الذي أصبح رجلًا متزوجًا أن يتعلم كيف يكون أكثر استقلالية عن أمه، وأن يساعد زوجته على وضع حدود خاصة لعلاقتهما الشخصية، كما أنه لا يجب أن ينسى أنه الطرف الذي يجمع الاثنين، فبإمكانه إذن أن يؤسس لعلاقتهما ببعض بشكل صحيح، بحيث يسعى لتقريبهما من بعض بشتى الطرق الممكنة، أما الزوجة فعليها أن تفهم جيدًا أن زوجها سيبقى بحاجة لحنان أمه وحبها، وأن هذا الحب بينه وبين والدته هو حب سابق لحبها له ولا يحق لها أن تبتره، فحينما تمنحه فرصة التمتع بحب أمه وتمنح حماتها فرصة التقرب من ابنها تستطيع أن تربح قلب الاثنين وتدريجيًا تؤسس لمكانتها داخل عائلتها، وترسخ خصوصياتها بدون أن تؤجج عداوات مجانية.

السيجارة.. قنبلة زوجية

د. خالد سعد النجار - طبيب مصري

لاشك أن السيجارة جمعت من سوء السمعة وفساد السيرة ما لم يجمعه منتج آخر، فالسيجارة متهمة طبيا ومنبوذة دينيا وأخلاقيا وتعافها الفطرة السليمة، وهي من خوارم المروءة التي تحط من قدر صاحبها، لكن تبقى السيجارة من الويلات العظام كشيطان جاثم على صدر بيت الزوجية الذي تتضرر فيه صحة الأب أو الأم المدخنين، فضلا عن آثار التدخين السلبي الذي يعاني منه الطرف البريء غير المدخن وعلى رأسهم الأولاد الأبرياء، واهتزاز صورة الأب أو الأم كقدوة، وتسريب تلك العادة الخبيثة إلى الأبناء في بواكير فترة المراهقة، ليخرج في النهاية إلى المجتمع براعم أشبه بالمسخ يعانون من شخصيات مشوهة وأجسام عليلة، وتلك هي الكارثة العظمى والمصيبة الكبرى التي تهون دونها المصائب.

بات ضرر وخطر التدخين أشبه بالمسلمات التي لا يجحدها أحد، ويكفي أن كل القوانين عالميا قد ألزمت شركات التبغ أن تكتب على منتجاتها تلك العبارة الشهيرة «التدخين ضار جدا بالصحة، ويسبب الوفاة»، لكن على صعيد الحياة الزوجية صار التدخين أحد أهم المطبّات الزوجية التي قد تعوق الارتباط ابتداء أو قد تؤدي للطلاق انتهاء، والإحصاءات والمؤشرات المحلية العربية تدق ناقوس الخطر في هذا المجال، فبحسب تقرير نشرته جريدة «عكاظ» السعودية فإن المحكمة العامة في المدينة المنورة سجلت أكثر من ١٠٠ دعوى «طلب طلاق» من قبل نساء رفضن الاستمرار مع «الزوج المدخن»، كما تضمن التقرير الإشارة إلى دراسة أكدت رفض الكثير من الفتيات في المدينة المنورة الاقتران بـ«الشاب المدخن» المتقدم لخطبتهن، ومن طريف المواقف في هذا الصدد الإعلان الشهير «عليك الإقلاع وعلينا الزواج» الذي أطلقته «الجمعية الخيرية لمكافحة التدخين» في العاصمة السعودية الرياض، لمساعدة بعض الشبان المدخنين غير القادرين على الزواج، شريطة إقلاعهم عن تلك العادة الضارة، وأوضح مسؤول التوعية والإعلام بجمعية مكافحة التدخين أن الغاية من المسابقة تقديم مهر يقدر بـ٣٥ ألف ريال للفائز الأول، والـ١٩ فائزا الباقين لهم إعانة تتمثل بتأثيث بيت الزوجية.

سراديب المعاناة الزوجية

بعيدا عن أجواء الطلاق والانفصال يحدونا الفضول للدخول في دهاليز وسراديب الحياة مع زوج مدخن.. تلك الحياة التي تكون غالبا على مضض حيث يقدم الطرف غير المدخن تنازلا تلو الآخر على حساب صحته ونفسيته من أجل مصلحة الأولاد، ولكي تستمر سفينة الزوجية حتى ولو سارت متعثرة تارة ومتعرجة تارة أخرى.

ماذا يعني «زوج مدخن أو زوجة مدخنة»؟

- يعني: رائحة فم نتنة، وأسنان صفراء، وزيادة ضربات القلب حتى درجة الهبوط، وقصور في الشرايين، وخاصة الشريان التاجي، وشرايين العضو الذكري، مسببا صعوبة الانتصاب، ونقص الأوكسجين في الدم الذي يؤثر بالسلب على وظائف القلب، وتأثر نهايات الأعصاب، مما يجعل العلاقة الزوجية أقرب للمعاناة منها إلى الإشباع والإعفاف والإمتاع..

يذكر أن التدخين يفاقم العجز الجنسي عند المدخنين أكثر من غيرهم ستا وعشرين مرة، كما يقول الأطباء.

- يعني: تأخر فرص الحمل لتأثيره على خصوبة الزوجين، بل وجدت الدراسات أن التدخين له تأثير كامن على خصوبة الرجال من خلال ثلاث آليات هي: نوعية النطاف (تشوه الحيوانات المنوية)، وقدرة الرجل على إتمام اللقاء الجنسي، وشهوته الجنسية.

إن أول أكسيد الكربون الموجود في الدخان يملك تأثيرا كامنا على إنقاص مستويات «هرمون التستستيرون» وهو الهرمون الذكري المسؤول عن الإثارة والرغبة الجنسية، أما بالنسبة للسيدات فقد وجدت الدراسات أن الإخصاب عند سيدة تدخن ٢٠ سيجارة يوميا هو ٨٪ فقط في مقابل ٢٥٪ عند امرأة سوية لا تدخن، وفرص الحمل للمرأة المدخنة تقل بنسبة ٥٠٪ خلال العام الأول بعد الزواج عن مثيلاتها اللاتي لا يدخن، والعقم يزداد بنسبة ١٣٪، أما الإجهاض المتكرر فيزداد بنسبة ١٧٪.

كذلك ثبت أن التدخين يلحق أضرارا فادحة بالخلايا الهدبية لقناتي فالوب ويعيق تأديتها لوظائفها، مما يؤثر سلبا

على عملية نقل البويضة الملحقة في الثلث الأخير لقناة فالوب نحو الرحم، الشيء الذي يؤدي إلى ارتفاع حالات الحمل خارج الرحم.

- يعني: شخير ليلي، وضيق تنفس أثناء النوم، وكحة متواصلة، وإفرازات مع بواكير الصباح لطرد البلغم المتراكم طوال الليل، وعادات سيئة تبدأ من الإفطار على السيجارة، وفقدان لحاسة التذوق، وضعف الشهية، والوهن العام، وبخاصة الرئة التي لا تساعده في القيام بأي مجهود، ورائحة دخان منفرة تعلق بالملابس والمفروشات، ومزاج متقلب لا يقيمه إلا إشعال سيجارة تلو الأخرى حتى نبدأ الحوار ونضمن له عدم الانهيار.. فالسيجارة هي الملاذ في لحظات الاسترخاء وعنفوان التعصب والانفعال، وبعد الوجبات، وأثناء مشاهدة البرامج والمباريات، ومن مقتضيات التركيز عند جلل الأعمال!

- يعني: زوج مريض، وأسرة يغتال المرض هناءها الأسري، وتخيم على أجوائها سحابة سوداء مجالها بين الأطباء والتحاليل والعقاقير والكلفة الاقتصادية والكآبة النفسية. يقول أحد مشاهير الأطباء: «لقد مضى على معالجتي للسرطان ٢٥ عاما فلم يأتني مصاب بسرطان الحنجرة إلا مدخن».

- يعني: تعجيل سن اليأس عند المرأة وانقطاع الطمث باكرا، كما أنه يمكن أن يسبب العقم بتأثيره الضار على بويضات المبيض، هذا فضلا عن قبح البشرة التي هي محور جمال النساء. يقول خبير التجميل «جوزيف بورن»: «إن وجوه السيدات المدخنات هزيلة ضعيفة، ضامرة مقرفة، وتصير بشرتهن شاحبة خضراء، وتفقد شفاههن لونها الجميل، وتتجمع الغضون حول زوايا أفواههن، وتمتد شفتهن السفلى إلى الأمام».

- يعني: التدخين الإجباري لجميع أفراد الأسرة الأبرياء من غير المدخنين فيما يعرف طبيا بـ«التدخين السلبي»، فالدخان المنبعث من تدخين المدخنين عبارة عن مزيج معقد لما يزيد على خمسة آلاف مادة كيميائية في شكل جزيئات وغازات في غاية الخطورة، فمنها المسرطنات والمهيجات والمواد المسببة للطفرات الوراثية (الزرنيخ والكروم والنيتروزامين والبنزوابيرين)، ومنها سموم ومؤثرات على الجهاز العصبي المركزي (سيانيد الهيدروجين وثاني أكسيد الكبريت وأول أكسيد الكربون والأمونيا والفورمالدهيد) والمواد المسببة لارتفاع ضغط الدم والأورام الخبيثة.

وأظهرت دراسة حديثة بحسب بيان منظمة الصحة العالمية أن ٣٨٪ من الأطفال، و٣٥٪ من النساء، و٢٤٪ من الرجال يتعرّضون على نحو منتظم لدخان المدخنين في إقليم شرق المتوسط.

القدوة المقززة

على الصعيد التربوي يقدم الأب المدخن لأولاده صورة «القدوة المقززة» التي تؤثر سلبا على بنائهم الشخصي والنفسي، فالأب المدخن في كيان الطفل هو ذلك الأب صاحب المزاج، كريه الرائحة، الذي لا تهدأ أعصابه إلا بعد تدخين السيجارة.

- وهو ذلك الأب سيئ الخلق، الغضوب في نهار رمضان بسبب حرمانه من التدخين حتى إنه يحيل أيام الشهر الروحانية إلى معارك ومشادات مع كل أفراد الأسرة الذين من المفروض أن يتلمسوا له العذر لأنه بعيد عن السيجارة، بل هو ذلك الأب الذي يفطر على السيجارة عند سماع صوت الأذان، ولا يصوم الأيام الستة من شوال أو أي أيام نفل أخرى بسبب التدخين.

- وهو ذلك الأب ضعيف الإرادة الذي قرر مرارا وتكرارا الإقلاع عن التدخين ثم يفشل في ساحة الصمود والثبات على موقفه.

- وقد يكون هو ذلك الأب الطريد خارج المنزل إذا اختار السيجارة، تجنبا لأذية أسرته، حيث تلجئه السيجارة إلى السلم أو «البلكون» أو السطوح وكأنه مريض بمرض جلدي معد، وربما هو ذلك الأب محدود الدخل الذي يحمل أولاده تكاليف تدخينه حيث يحرمهم من بعض متطلباتهم واحتياجاتهم ليقتطع ثمن علب السجائر التي يدخنها.

- وهو ذلك الأب الذي لا يتحرج من إرسال ابنه أو ابنته، وهم في ريعان الطفولة البريئة أو المراهقة الحرجة ليشتروا له السجائر من البائع، وهو ذلك الأب الذي لا يستطيع أن ينتقد أو يمنع ابنه المراهق من الزلل في آتون التدخين، لأن هذا الابن هو أول ضحاياه.

العدل الأسري.. بواعثه وثماره

عثمان إسماعيل - كاتب صحفي

لا أحد ينكر أن العدل الأسري يمثل الركن الرئيسي من أسس بناء هذا الكيان الاجتماعي صونًا له وحفاظًا عليه، بل مساهمًا بقدر كبير في خلق مناخ الاستقرار وما ينبغي عليه أن يكون من هوية تربوية أخلاقية، هذا المناخ الذي تسوده مظاهر الألفة والمودة إثر هذا العدل الذي مقصده البناء والاستقرار تواصلًا وتلاحمًا.

ولما كانت الأسرة هي لبنة المجتمع وصورته وصداه، كان لزامًا أن يأخذ العدل طريقه بدءًا من عالم الأسرة إلى عالم المجتمع، وذلك لأن هذا الكون قد بني أساسًا على سمة العدل الإلهي امتثالًا لقدرة خالقه في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧-٩)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فالعدل هنا أشمل وأعم ،وحسب مقتضى الحال، وما تقتضيها المواقف الحياتية المختلفة.

والعدل الأسري هو أن تسير الحياة الأسرية على قوانين لا تعرف الميل والتمييز والتحيز والتفرقة بين أفرادها، قوانين تستمد أصولها من قوانين الله في خلقه والتي تسير هذا الكون، على أن تطبيق هذا العدل هو مسؤولية الوالدين تضامنًا واتفاقًا والتزامًا وتفعيلًا، وأن تكون ممارسة هذا العدل قاسمًا مشتركا بينهما لتسير الحياة الأسرية تحكمها وحدة الهدف والطابع والطموح والتربية، وهذا أمر واجب على الوالدين ملزم لتكون الثمار ناضجة، ونتلذذ بقطفها، وتذوقها النفوس التي تميل إلى المثالية والطموح، وإلى هذا المناخ المجتمعي الذي يسوده النقاء والصفاء.

وتظهر دلائل وظواهر العدل الأسري من خلال تعامل الوالدين لأبنائهما في المناحي الحياتية المختلفة انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ «كلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..» وتتوقف هذه الرعاية على الوعي الكامل، وإدراك الوالدين للمسؤولية التربوية والنفسية، والتمسك بالأصول القرآنية ونصوص السنة النبوية الشريفة في الدعوة والتمسك بالعدل، وتفهم سبله وإرسائه بغية عدم الجنوح من الأبناء إثر - ولو - هفوة عابرة من تحيز أو تمييز من الوالدين لأحد الأبناء حتى ولو كان دون قصد أو عمد.

وتبدو مظاهر العدل الأسري واضحة جلية فيما يلي:

● المشاعر.. وهو من أدق وأخطر أنواع ممارسة العدل الأسري من الوالدين لأبنائهما، فمن الأفضل أن يصحب هذه الممارسة الحيطة والحذر من انفلات معيار الحب أو الكره زيادة أو نقصًا أو منعًا (عدمًا) لفرد دون الآخر، لأن دوافع ذلك تخضع لذكاء ومهارة وحنكة الوالدين واتفاقهما في المشاعر، فالمساواة في التدليل والتودد والحرص والقلق والنظرة والحديث والتفاعل مع الأبناء هو أرقى درجات العدل الذي يقود إلى الرضا والقناعة والمودة من الأبناء، على النقيض فأي هزة أو سقطة أو تفاوت في هذا المحور يؤدي إلى إضمار الحقد، وشحن النفوس كرهًا وعداوة وبغضاء.

● الإنفاق.. وفي هذا المحور يلزم الوالدان الحذر كل الحذر الميل إلى أحد الأبناء إنفاقًا وبذخًا حبًا في صفة ما، أو ميلًا ورغبة، أو تحقيقًا لهدف دون الآخر من الأبناء، على أنه من الطبيعي أن كل الأبناء يأخذون حقهم من الإنفاق عدلًا وإنصافًا، كمًا وكيفًا، لأن إحقاق الحق مراعاة لحق الله في الرعاية، وأمانة الوالدين في تلك المسؤولية تقتضي معها صرامة العدل، وقوة الحق دون محاباة أو مجاملة تطلعًا للراحة النفسية، وإرضاء للضمير تجاه الله، فمهما تبلغ الأمور ذروتها في دواعي الإنفاق لابد من توخي الحذر من عواقب الإفراط في المجاملة والمحاباة من ناحية، والمنع والحرمان من ناحية أخرى، فالعدل في مساواة الإنفاق مردوده الحب وقوة الترابط ودوام الصلة وقوتها.

● التعليم.. رغم أن هذا المحور يخضع لمبدأ الفروق الفردية بين الأبناء، فلابد من الفطنة له ومراعاته مع توافر المناخ الصالح لمستوى التعليم لكل الأبناء، فالأمر جد خطير، لأنه تتمخض عنه ثقافات متضاربة ينتج عنها سفاهة الكلمة، وتنافر الآراء وطيش العقول، ولكن العدل في تعليم الأبناء يخلق وحدة الفكر والثقافة والرأي والهدف وروعة الحوار والإبداع والجدل المثمر ويضفي على الأبناء راحة الوجدان وسمو التعامل ولباقة الأسلوب.

●الميراث.. والعدل في الميراث قانون إلهي سماوي أقره الله على عباده في كتابه الحكيم، حيث أمر وفصل وحذر تجنبًا ودرءًا للفتن والشقاق والكره والحقد، فعلى الوالدين وولي الأمر أخذ الحيطة الشديدة فيتقي الله في نفسه والآخرين، وأن يصل إلى أرقى درجات السمو النفسي والأخلاقي في ممارسة توزيع الميراث بالعدل المطلق والذي لا تشوبه شائبة، وألا تسيطر عليه نوازع الهوى والعصبية وحمق الجاهلية.

وأساس العدل في الميراث هو تقوى الله التي تقود إلى الوضوح والشفافية والبشاشة بين الأبناء وإرساء دعائم الحق دون زيغ أو حيف، وهنا يبرز دور المؤسسات الدينية والتربوية والإعلامية في مقاومة هذا الإخطبوط الذي يمسك بتلابيب بعض العائلات والقبائل التي تحرم الأنثى من الميراث، بحجة خاطئة وفهم عقيم هو أنه لا تذهب الثروات والميراث أيًا كانت للأزواج الغرباء عن القبيلة أو العائلة، وبذلك تضمحل قيمة هيبة العائلة بين الحين والآخر، وتضيع أصولها وجذورها، هذا المفهوم الخاطئ الذي لابد وأن تتم مقاومته، واستيعاب وفهم ما أقره الدين ودعا إليه وحذر منه والدعوة – التي لا تنقطع- إلى تصحيح هذه المفاهيم دعوة وتفهمًا وتوعية.

● التربية.. والمقصود هنا هوية التربية والتنشئة لجميع الأبناء، أي أن جميعهم يلقون تربيتهم بين دفء الوالدين، وإقرار المساواة في منح الثواب وتوقيع العقاب إثر سلوك ما من الأبناء بعيدًا عن المجاملة والمحاباة لواحد والقسوة والعنف والإهانة لآخر، فالعدل هنا يقتضي الذكاء من الوالدين والحنكة في إدارة الأمور حيال تصرفات الأبناء وسلوكهم، وعدم تفويت الفرصة بالتشجيع للمحسن والتنبيه على المسيء، والأخذ بيده وعدم الإقلال من شأنه، أو الإهدار من قيمته وكيانه، والحذر في المبالغة في التدليل والمبالغة في القسوة، بل يمتد العدل إلى إكساب الأبناء جميعًا الفضائل وتنفيرهم من الرذائل، على أن احترام قدرات الأبناء وفروقهم الفردية لابد أن تناله عدالة التقدير من ناحية، وتركيز وترسيخ دعائمها من ناحية أخرى، فالعدل التربوي لا يسمح بوجود التضاد اهتمامًا أو إهمالًا بل يلزم نسقًا واحدًا لا يعرف الحيد أو الميل.

على أن تطبيق العدل فيما سبق من محاور متباينة يلزمه الحزم والصرامة والقوة في اتخاذ القرار دون ميل أو هوى، فالأسرة هي مجتمع صغير أساس بقائه إقرار العدل، وأساس استقراره التكيف النفسي والوجداني الذي هو نتاج سياسة راعي الرعية الذي لابد أن يعلم أن فقد العدل الأسري وتجاهله هو هدم لكيان، وهزة لبنيان الأصل فيه الصلابة والتماسك والتلاحم، وإرساؤه هو إرساء لعالم التكيف النفسي الذي بدونه لا يستقيم السلوك ولا تعتدل أمور الحياة.

إن ثمار العدل الأسري يتوقف قطفها والتلذذ بها على حنكة وخبرة وبعد نظر راعي الرعية، وفراسته تجاه أمور رعيته دون نوازع داخلية واضعًا نصب عينيه تقوى الله التي هي أساس العدل الذي هو نظام للكون والبشر.

د. أحمد خليل الشال
عضو لجنة السيرة والتاريخ
الإسلامي بالمجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية - مصر

نحو وعي إسلامي بدراسة التاريخ وتفسيره

تفسير التاريخ في الإسلام (٥)

تكلمنا في الحلقتين السابقتين عن تفسير التاريخ عند المسلمين، ورأينا كيف أن تفسير التاريخ في الإسلام يقوم على أصلين وثلاثة أركان، أما الأركان فهي: الخالق، ثم الكون، والإنسان. وأما الأصلان، فأولهما: الإيمان بالغيب. وثانيهما: الاعتبار بعالم الشهادة.

وعليه، فإن تفسير التاريخ في الإسلام، إذا أردناه أن يكون علمًا منضبطًا صحيح النتائج، ينبغي أن ننظر إلى أصوله في إطار أركانه وفق قسمين من العوامل لا ينفك أحدهما عن الآخر: العوامل الغيبية، والعوامل المشهودة.

أولًا: العوامل الغيبية:

ويمكن تعريف الغيب بأنه: ما أُخبر عنه ولم يُـرَ. وقد عرفه بعضهم بأنه: «ما غاب علمه عن الناس» (المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، لمحمد رشاد خليل، ص ٩٩). قلت: وهذا تعريف قاصر، إذ إن وجود الله تعالى والملائكة، والجن والشياطين.. وأثر ذلك كله في عالم الشهادة، غيب مقطوع العلم به.

والعوامل الغيبية ليس في مقدور الحواس إدراكها، ولا يمكن للعقل أن يحيط بها، وإنما موقفه حيالها هو التلقي بالخبر الصادق، ثم الإيمان بالتصديق. ومن ثم فحقائق الغيب لا يمكن مناقشة أسبابها عقليًا أو منطقيًا، وإنما يُنظر فيها كما هي، وليس للعقل تجاهها إلا محاولة الاستفادة منها كما هي عن طريق ربط المسببات بأسبابها، والاجتهاد في فهمها والتفقه فيها قدر الاستطاعة. وسبب ذلك هو قصور العقل البشري عن إدراك ذلك الغيب بكل جوانبه. وفي تكليفه بالبحث عن تلك الغيبيات أمر لا يطيقه الإنسان، ولا يمكن لعقله أن يحيط به. لذلك لما كانت موضوعات الفلسفة المحضة هي نفس موضوعات الوحي ضلت وأضلت، ذلك أن الإنسان ناطح بعقله أمورًا لم يُخلق لها، وليس من طاقته البحث فيها. فإن الله تعالى لو خلق العقل البشري مؤهلًا لبحث هذه الموضوعات لَمَا أرسل الرسل، ولما أنزل الكتب. فإرسال الرسل وإنزال الكتب لعلمه أن الإنسان من غير الوحي لا هداية له إلى الحق والخير أبدًا ما حيي.

وتعتبر المشيئة الإلهية العامل الغيبي المحرك للتاريخ كله، الإنساني والكوني على السواء. فهي التي تُسَير الكون وفق سننه عز وجل بأسبابها ومُسَبّباتها، يقول تعالى:﴿إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج:١٨) وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾ (القصص: ٦٨). وقال: ﴿إِنَّ ربكَ فَعالٌ لما يُرِيدُ﴾(هود:١٠٧)، وهذا لا ينافي حرية الإنسان وأن له مشيئة، فقد قال تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف: ٢٩). فقد جعل الله تعالى للإنسان حرية ومشيئة، إلا أنه قيدها بمشيئته وإذنه عز وجل، إن شاء أنفذها، وإن شاء منعها، فقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّه﴾ (الإنسان:٣٠، والتكوير:٢٩). وذلك أن الكون كله مقيد بسننه وحكمته تعالى فيها، وإلا لفسدت السموات والأرض إن ترك كُلًا يعمل بهواه وعقله القاصر عن مدركات الكون بما يظن أنه الحق والصواب ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون:٧١)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(البقرة:١١). فكل شيء في الكون متصل ببعضه، ويخدم بعضه بعضًا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (الحج: ٦٥)، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية:١٣). وفساد الشيء منه يُفسد الجمع كله. فمن ثم كان تدخله بالدفع أو بالصرف إذا شاء حين يشاء منعًا لهذا الفساد. فقال: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّه النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْض لَّفَسَدَت الأَرْضُ وَلَكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (البقرة:٢٥١)، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ (آل عمران:١٥٢). فمن أجل ذلك كان من شأنه جل وعلا أنه ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء:٢٣)، فهو أعلم بخلقه، وبما يصلحهم ويفسدهم.

وعليه، فاطراد السنن وثبات النظام لا ضامن له إلا الله وحده لا شريك له ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّه لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء:٢٢)، ﴿إِنَّ اللَّه يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَد مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر:٤١). فاغترار الإنسان إذن بذلك الثبات حتى قال بعضهم بـ(الحتمية) أمر لا يصح عقلًا ولا شرعًا. وتلك مشكلة أصحاب المذاهب الوضعية في تفسير التاريخ، حين اغتروا باطراد ظواهر عالم الشهادة حتى حسبوا ذلك حتمًا على الخالق عز وجل، وذلك عند من كان يقول بوجود الإله - أو حتمًا من طبيعة. فإن مُسَير ﴿الجَوَارِ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ (الشورى:٣٢)، هو نفسه القائل: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ..﴾(الشورى:٣٣). فلذلك كانت تفسيرات أصحاب هذه المدارس - ما بين مادية، وتجريبية، ومثالية..إلى غير ذلك من تلك المذاهب المعروفة حديثًا - في غاية الإشكال والاختلاف والقصور.

إذن فالخالق عز وجل هو الذي يقدر الأسباب فجعل منها المسببات، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ (الرعد:٨-٩). فحين نجد أنفسنا عاجزين عن الوقوف على حقيقة الأسباب رغم إيماننا بآثارها الظاهرة، فإننا لا نجد مبررًا عقليًا تقوم به الأسباب إلا الله وحده. فالإيمان بالله الخالق المدبر هو الأصل الصحيح لتفسير حوادث الدهر، وإلا استحال ذلك - أعني التفسير - ضربًا من العبث لا معنى له. وهذا سر اضطراب نظريات التفسير الوضعية وقصورها إن قَصُرت عن إدراك هذا الأصل. فمسيرة الكون ليست من تلقاء نفسها، فهي لا تستغني أبدًا عن مدبر لها يدبر أمرها. ومن هنا تتضح لنا تلك العلاقة القوية بين الخالق والكون والإنسان التي عبر عنها ربنا في أكثر من موضع من كتابه بقوله: (جعل، وسخر). فحركة الدهر مرتبطة بحركة الكون، وكل في النهاية يسبح في فلك الله بمشيئته وإذنه، فهو الذي يُسيّر ويُسخر ويدبر ويقدّر.. ﴿وَالله يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ (الرعد:٤١)، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢)، ﴿وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدّ لَهُ﴾ (الرعد:١١).

وبناء على ما سبق، فواجب على المؤرخ أو مفسر التاريخ - ما دام مسلمًا - أن يعتبر أثر الغيب في حركة التاريخ إذا ثبت أثره، ولا يقتصر على مجرد العوامل المشهودة، وإلا فبم يفسر نبوة محمد ﷺ وانتصار أهل بدر على مَن هم أكثر منهم عددًا وعتادًا! وحركة الفتوح الإسلامية! ومثل ذلك كثير في تاريخ البشر. وإهمال ذلك سيؤدي إلى خلل عظيم وفساد كبير في عملية التأريخ وتفسيره، وهو ما وقع لأصحاب المذاهب الوضعية ومن تبعهم. فهم قد فسروا الأولى بالعبقرية! والثانية بالإرادة! والثالثة برغبة التوسع وجلب المال! وهذا يخالف المنهج الإسلامي في التفسير جملة وتفصيلا، وصاحب ذلك على خطر عظيم، إن كان مسلمًا.

وليس فيما سبق ذكره وتأكيده ما يخالف المنهج العلمي كما يزعم البعض، ذلك لأن المنهج العلمي في الإسلام لا يجوز له بحال أن ينكر دور الخالق في وجود الأسباب والمسببات. هذا إذا أقمنا المنهج العلمي على قواعد ديننا لا على قواعد دين آخر أو ثقافة أخرى. فكم من ظاهرة كونية وإنسانية لا يمكن أن تخضع بحال لعالم الشهادة حتى يؤمن بها الإنسان فيفسر بموجبها تلك الظواهر. فهذه مغالطة من أسوأ المغالطات التي تصادم الفطرة السوية، والمنهاج القويم.

والشاهد على صحة هذا المنهج وأنه لا يناقض العقل - إذا صحت ثقافته- أولئك العلماء المسلمون الذين أبدعوا في حضارتنا كل إبداع في كافة مناحي الجوانب العلمية والثقافية، ولم يروا في المنهج الإسلامي المعتمد على الإيمان بعالمي الغيب والشهادة أي عائق. فنرى في حضارتنا الفقيه المحدث المؤرخ، المفسر الأديب، وهو في الوقت نفسه قد يكون طبيبًا، أوكيمائيًا، أو فلكيًا..

العلامة الشيخ المحدث السيد صبحي السامرائي (رحمه الله)

(١٣٥٦-١٤٣٤هـ/ ١٩٣٦-٢٠١٣م)

د. وليد عبدالله المنيس- جامعة الكويت

فجع العالم الإسلامي يوم الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/٦/٢٥م بموت عالم محدث مسند محقق جليل- وقد سبقه من قريب زميله شيخنا زهير الشاويش فكلاهما اتخذ بيروت موطنا بعد أن فتن في دينه- ذلكم هو:

شيخنا المحدث الحسيب النسيب أبوعبدالرحمن السيد صبحي بن السيد جاسم بن حميد بن صالح ابن مصطفى بن حسن بن عثمان، ينتهي نسبه إلى علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهو شريف النسب هاشمي الأب والأم أيضا.

مولده ونشأته العلمية

ولد الشيخ صبحي السامرائي الحسيني ببغداد، قرب محلة العمار، جانب الرصافة عام ١٩٣٦م، كانت بدايته في طلب العلم في الكتاتيب على عادة الناس في إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب لحفظ القرآن ومبادئ العلوم الشرعية، وكان يرتاد المساجد يتلقى فيها العلم عن المشايخ، وكانوا متوافرين حينذاك، ثم إنه بالتالي صار ممن يدرس في المساجد ويلتقي فيها الطلاب.

أبرز مشايخه

تلقى العلم على عدد من المشايخ منهم شيخان من الشيخلية، الأول: كاظم الشيخلي الحنفي، وقرأ عليه في المذهب الحنفي ولازمه، ثم إنه التقى المحدث الشيخ عبدالكريم الشيخلي الملقب بأبي الصاعقة (١٢٨٥-١٣٧٩هـ)، وتأثر به ولازمه إلى وفاته، واستفاد من الشيخ المحدث عبيدالله بن عبدالسلام المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، والشيخ المحدث حبيب الله الأعظمي (ت ١٤١٢هـ)، والعالم الشاذلي النيفر التونسي (ت ١٤١٨هـ) وغيرهم، وتبلور منهجه فصار من المنافحين والمدافعين عن السنة تحقيقا وتدريسا.

الوظائف التي شغلها

شغل عددا من الوظائف تدل على علو همته في نشر السنة وعلوم الشريعة، وكذلك الإمامة والخطابة وغير ذلك، نأخذ منها ما يأتي:

- درَّس الحديث في جامع الآصفية حيث تولى التدريس بعد وفاة شيخه «أبوالصاعقة»، فدرَّس البخاري، وعمدة الأحكام، وكتاب التوحيد، وعلوم الحديث للحاكم، وأتم عليه طلبة شيخه.
- درَّس الحديث في المسجد الحرام بمكة المكرمة، درَّس البخاري والترمذي.
- حاضر في جامعة الإمام محمد بن سعود في مخطوطات الفقه وأصوله على مذهب الحنابلة.
- درَّس في جامع ١٢ ربيع الأول بالرصافة الكتب الستة، والموطأ، ومختصر خليل، ومتن الغاية والتقريب للنووي، ومختصر الخرقي، وزاد المستقنع، وشرح منتهى الإرادات، والمحلى لابن حزم، وشرح الواسطية، والطحاوية، وكتب المصطلح مثل نزهة النظر، ومختصر ابن كثير، وتدريب الراوي، والنكت على ابن الصلاح، مما يدل على إحاطته بالمذاهب الأربعة علما وتعليما، وقل من يضبط ذلك، عدا عن علم الحديث رواية ودراية.
- إمام وخطيب في عدد من المساجد في بغداد وقطر والسعودية.
- تدريس الحديث وعلومه في عدد من الجامعات في بغداد والسعودية والهند وباكستان.
- إسماع الحديث مع السند والإجازة في الكويت ولبنان وقطر.

رثاء

أبرز مؤلفاته

له مؤلفات كثيرة وتحقيقات في علوم السنة تصل إلى حوالي ٤٥ مؤلفا من أصول الإسلام، منها المطبوع والمخطوط، نذكر بعضها مثل: (الخلاصة في أصول الحديث للطيبي)، (علل الترمذي الكبير) بالاشتراك، (شرح علل الترمذي) لابن رجب، (مجموعة رسائل في الحديث) (تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة) (الطبقات للنسائي)، (مختصر نصيحة أهل الحديث)، (الرحلة في طلب الحديث للخطيب)... الخ، المدرج للسيوطي، تاريخ الثقاة لابن شاهين، الكامل في الضعفاء لابن عدي، تهذيب الأجوبة لابن حامد، سؤالات المروذي والميموني وصالح للإمام أحمد، ذيل على ميزان لأبي الفضل العراقي، سؤالات إسحق الكوسج لأحمد، اختلاف الفقهاء لأبي نصر المروزي، كتاب الأشربة للإمام أحمد، وغير ذلك مما يدل على غزارة علمه وتضلعه في علم الحديث والفقه أيضا.

أخلاقه وسجاياه

أبرز ما شهدته في الشيخ صبحي أنه متواضع متبسط في كلامه وهيئته، وصفه من لازمه بأنه كريم جواد، لا يبخل بعلمه ولا بمكتبته على طلاب العلم بما فيها من نفائس المخطوطات والمصورات، حتى إن بيته وصف بأنه مكتبة عامة لطلبة العلم، وشبهه البعض بالإمام مالك، وعده البعض من بقية أهل الحديث في العراق، كما أنه يجيز طلبته وغيرهم إذا لمس منهم الجدارة والجدية.

لقاء الشيخ صبحي

كان أول لقاء مع الشيخ في لبنان في صفر ١٤٣١هـ (٢٠١٠/١/٢٨م) مع الأخ الشيخ فيصل يوسف العلي في منزل الشيخ أمين الكردي نائب المفتي الذي أحسن في إكرامنا، والتقينا هناك الأخ الشيخ محمد زياد التكلة، وكان لقاء جميلا محفورا في وجداننا وذاكرتنا، حيث قرأنا عليه كتاب التوحيد، وعمدة الأحكام، ومعرفة علوم الحديث، وغير ذلك، كما أننا اجتمعنا به مرة أخرى في منزل شيخنا زهير الشاويش، وقرأنا عليهما أكثر من عشرين رسالة.

ومما سمعته منه وسجلته بقلمي

- أنه أقرأ الكتب السبعة في لبنان، ومن أبرز من قرأ عليه الشيخ أمين الكردي نائب المفتي، والأخ المهذب عارف الحسن الذي كان يرافق الشيخ دائما.
- قرأت على الشيخ محمد الحافظ التيجاني بمصر موطأ مالك وجملا من الكتب الستة.
- قرأت أيضا على الشيخ محمد الحافظ التيجاني القاهري الفقه المالكي، يمكن دليل السالك أو أقرب المسالك للدردير، وكان الشيخ التيجاني يقول لي: أنا لست طرائقيا كما يظنون اتخذت هذا الاسم لأصرف المباحث عني!
- قرأت على الشاذلي النيفر التونسي الموطأ والبخاري.
- قرأت الفقه كله لكن السنة همي.
- ذهبت إلى مصر وتونس والمغرب وباكستان قرأت وأقرأت.
- توفي الشيخ الصاعقة عام ١٩٥٩م وقد تخطى المائة ولم ينس حرفا واحدا.
- قرأت على شيخي الصاعقة في المذهب الحنبلي: الخرقي، والمقنع، قراءة مضبوطة مع الشرح، والمنتقى، وفيه حوالي ٥٠٠٠ حديث أمضيت عاما ونصف عام أقرأها على الشيخ الصاعقة، وقد نشر مجلة أسماها الصاعقة لقب فيما بعد باسمها، وقرأت عليه كتب التوحيد، كان موحدا،

ويبجل الإمام أحمد التوحيد.

● قرأت الفقه الشافعي: مغني المحتاج، والعربية، على الشيخ شاكر البدري.

● قرأت الفقه الحنفي على الشيخ كاظم الشيخلي، والشيخ محمد فؤاد الألوسي، قرأت عليه الهداية للميرغيناني.

● قرأت المذاهب الأربعة، والمذهب الظاهري قرأت فيه رسالة صغيرة.

● قرأت كتاب التوحيد لما سكنت السعودية على أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يمكن اسمه حسن.

● جئت إلى لبنان منذ أربع سنين، وأول من جاءني للقراءة أمين الكردي.

مختارات من تعليقاته أثناء القراءة عليه من «كتاب التوحيد»

أثناء القراءة على الشيخ من كتاب التوحيد للإمام ابن عبدالوهاب سجلت بقلمي بعضا من تعليقاته:

الباب الأول: المسألة السادسة: أن دين الأنبياء واحد، قال الشيخ صبحي: للشوكاني رسالة أن دين الأنبياء واحد.

الباب الثالث: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب: «فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب». قال الشيخ صبحي: السبعون للكثرة، والعرب تقوله للكثرة، أي هم أكثر من ذلك!

الباب الخامس: الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله. قال الشيخ صبحي: فيه التدرج في التشريع.

الباب الثامن: ما جاء في الرقى والتمائم، وفيه: ...من تعلق شيئا وكل إليه. قال الشيخ صبحي: التعلق أعمق من قول علق، تعلق تعني اعتقاده بها.

الباب الثالث عشر: من الشرك الاستعاذة بغير الله، وفيه: ...أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. قال الشيخ صبحي: كلمات الله ليست مخلوقة، وفيه رد على من قال إن الشجرة هي التي تكلمت في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢).

ومن تعليقاته على كتاب «عمدة الأحكام» للحافظ عبدالغني المقدسي:

● كتاب الطهارة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنية... الحديث. (رواه البخاري ومسلم). قال شيخنا صبحي: كتاب الطهارة، أي النظافة، والمقصود الطهارة الشرعية، وحديث: إنما الأعمال بالنيات، يدخل في سبعين بابا من أبواب العلم.

● باب الاستطابة: عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. وفيه: فأخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا. (رواه البخاري ومسلم). قال شيخنا صبحي: خاصة بالنبي ﷺ، وبعضهم قال عامة، والنبي ﷺ علم هذا، وما علم أنه فعل ذلك في غيرهما.

● كتاب الصلاة: باب المواقيت، عن أبي عمرو الشيباني حدثني صاحب هذه الدار، وأشار بيده إلى دار عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة لوقتها... الحديث. (رواه مسلم والبخاري). قال شيخنا صبحي: وفي لفظ: الصلاة لأول وقتها، وأعل هذا الحديث، ووجد له طرق أخرى فصار حسنا.

اللقاء الثاني بالشيخ صبحي في الكويت

زار الكويت بدعوة رسمية بإشراف الشيخ فيصل العلي بتاريخ ٣٠ جمادى الأولى ١٤٣١هـ، ولمدة أسبوع، حيث قرئ عليه البخاري في مسجد الدولة الكبير، وأجازنا (رحمه الله).

اللقاء الثالث بالشيخ صبحي في الكويت

وزار الكويت أيضا بدعوة رسمية بإشراف الشيخ فيصل العلي في شوال وذي القعدة ١٤٣١هـ، حيث قرئ عليه صحيح مسلم والموطأ مع الإجازة.

زياراته للكويت كانت معتادة

أخبرني شيخنا صبحي بأنه كان يزور الكويت مرارا، وقال: كنت أحب زيارتها، وكانت الزيارة سهلة حينذاك، والتقيت أناسا كثيرين. وقال له الأخ الشيخ فيصل العلي: كانت أول الدعوات الرسمية لمشروع سماع الكتب السبعة أول ما وجهت إليك قبل الآخرين، لكن ما قدر أن تتيسر إلا الآن.. رحم الله شيخنا المحدث الفقيه السيد صبحي السامرائي الحسني، وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

خطوات على طريق استعادة الهوية

المسلمون في اليونان

أحمد أبو زيد- صحفي مصري

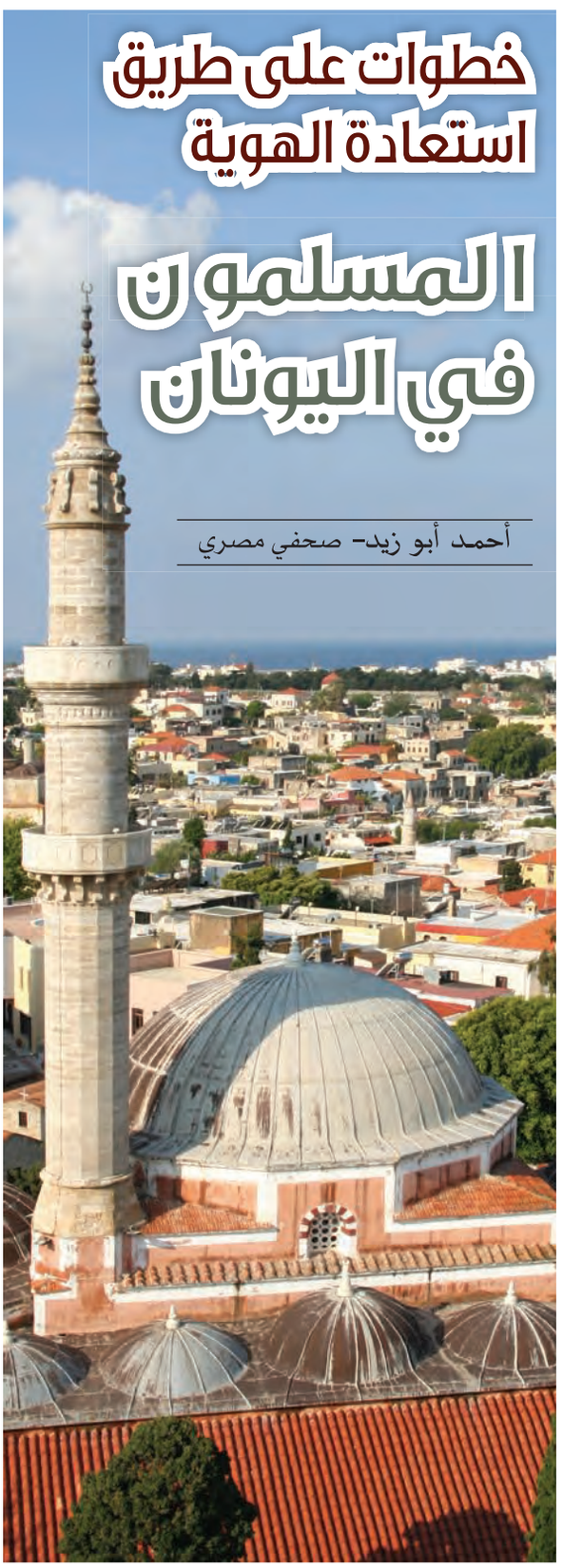

يعيش في اليونان اليوم ما يقرب من مليون مسلم، ما بين مسلمين أصليين ومسلمين وافدين، وقد احتلت قضية الأقلية المسلمة في اليونان مساحة كبيرة من اهتمامات منظمة المؤتمر الإسلامي، في السنوات الأخيرة، وذلك للحفاظ على حقوق المسلمين المشروعة في استرداد أوقافهم وإقامة مؤسساتهم الإسلامية، وممارسة شعائر دينهم في حرية وعلنية.

ورغم أن الإسلام ينتشر في أغلب الجزر اليونانية، ويعد من أكثر الديانات حيوية في اليونان، حيث يستقطب الكثير من الشباب والمثقفين الذين يترددون على الأماكن البسيطة التي تُستأجر لأداء الشعائر والمناسبات، فإن تاريخ الإسلام في اليونان يمثل نموذجًا لتراجع الحضارة الإسلامية، وانكماشها لصالح الحضارة الغربية، فالناظر إلى تعداد الجالية المسلمة في اليونان، والتي تشكل ما يعادل ١,٣٪ من تعداد سكان اليونان، يدرك مدى ما حاق بالمسلمين من انتكاسات وانكسارات في ذلك البلد الذي كان المسلمون يشكلون غالبية أو ما يقرب من ٦٨ ٪ من سكانه، في فترة المد العثماني في اليونان قبل الحرب العالمية الأولى.

■ تاريخ الإسلام

ويرجع تاريخ الإسلام في اليونان إلى مرحلة تاريخية متقدمة، تعود بالتحديد إلى أوائل القرن الثالث الهجري. فخلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري قام المسلمون بفتح عدد من الجزر اليونانية، مثل جزيرة «رودس» وجزيرة «كريت» في عام ٢١٠ هجرية بقيادة أبي حفص عمر الأندلسي، ثم انتشر الإسلام في أغلب الجزر اليونانية.

وقد تأصل الوجود الإسلامي في اليونان خلال الفتح الإسلامي لشبه جزيرة البلقان، إذ تم فتح مقدونيا عام ٧٨٢ هجرية (١٣٨٠م)، ثم امتدت مسيرة الإسلام إلى وسط اليونان، وخضع اليونانيون للحكم الإسلامي لعدة قرون، قامت خلالها حضارة إسلامية راقية، وشُيّدت مئات المساجد ودور العلم والمكتبات الإسلامية، ونشطت بها حركة التأليف في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية والإنسانية، وظلت اليونان مقصد العلماء وطلاب العلم، فتزايدت أعداد المسلمين حتى بلغت أكثر من ٦٨٪ من إجمالي عدد السكان حتى عام ١٩١٣م.

■ ازدهار الإسلام

فخلال مدة الدولة العثمانية، شهد الإسلام في اليونان أزهى فتراته، ونشأ مجتمع إسلامي في ذلك البلد، وشهدت اليونان هجرات إسلامية من تركيا وألبانيا وبلغاريا وبعض دول شبه جزيرة البلقان المجاورة لها، وصار المسلمون فيها

أغلبية، وخلال الفترة العثمانية من تاريخ اليونان ترك المسلمون خلفهم آلاف المساجد، وتحول بعضها بعد خروجهم وزوال حكمهم إلى متاحف.

وفي عام ١٩٢٤م، عقدت اتفاقية سلام بين تركيا واليونان في لوزان (سويسرا)، تم فيها اعتبار تراقيا الغربية جزءًا من اليونان، وسكانها مواطنون يونانيون، ونصت الاتفاقية على منح المسلمين في اليونان والمسيحيين في تركيا حقوقًا متساوية، وتم بموجب الاتفاقية نقل ٦٣٥٣٥٥ مسلم من اليونان إلى تركيا، مقابل ٩١٦١٨٩ مسيحي من تركيا إلى اليونان.

■ بداية التراجع

ولقد كانت اتفاقية «لوزان» بين تركيا واليونان عام ١٩٢٤م، هي نقطة البداية لإضعاف الكيان المسلم في اليونان، حيث قُدّرت أعداد المسلمين الذين هاجروا من اليونان إلى تركيا بمليون و٢٠٠ ألف نسمة من المسلمين، ولم يتبق في اليونان من المسلمين في هذا الوقت سوى (٢٠٠) ألف نسمة من المسلمين فقط.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ عدد المسلمين في اليونان يتناقص، فقد كان المسلمون يمثلون ٢٥٪ من سكّان اليونان عام ١٩٣٠م، حيث بلغ عددهم ٤٠٠ ألف مسلم، وانخفض العدد إلى ١٣٤ألف مسلم عام ١٩٤٠م.

■ مليون مسلم

وقد شهدت السنوات التالية لاستقلال اليونان عن تركيا، انخفاضًا واضحًا في أعداد المسلمين، بسبب الهجرات الإسلامية إلى ألبانيا وبلغاريا وأستراليا، وبعض الدول العربية في شمال إفريقيا. ولكن خلال السنوات العشر الأخيرة شهدت اليونان زيادة في أعداد المسلمين، إذ يبلغ عدد مسلمي اليونان، ما بين مسلمين أصليين ومسلمين وافدين، ما يقرب من مليون مسلم، يتركز معظمهم في إقليم تراقيا الغربية المتاخم للحدود التركية، وينتشر بقية المسلمين في جزيرة رودس وجزر بحر إيجه والمناطق الساحلية للبحر الإدرياتيكي، ومعظم المسلمين في اليونان أتراك وبعضهم ألبان، أما الوافدون المسلمون فقد جاءوا من دول عربية وإسلامية مختلفة، ويقدر عددهم بأكثر من نصف مليون شخص ينحدرون من أصول ألبانية وآسيوية وعربية، ويعملون في مجالات البناء والزراعة والتجارة الحرة، إضافة إلى أعداد من الطلاب.

■ ٣٧٧١ مُنشأة عمرانية

ولقد شيد المسلمون في اليونان على مر العصور ٣٧٧١ مُنشأة عمرانية حضارية إسلامية، ومع تراجع الحكم الإسلامي العثماني بدأت ورشة التدمير، وبقي منها عشرات تصلح لأداء العبادات.

فعدد الجوامع والمساجد في اليونان وصل قبل انتهاء الحكم العثماني إلى ٢٣٣٦ مسجدا، وبلغت المدارس ١٨٢ مدرسة، و٣١٥ مكتبًا للصبيان (كتاب)، و٣١٥ زاوية وتكية، و١٧١ خانا، و١٣٤ حمامًا، و٣٠ تربة، وخمسة أبراج ساعات، و٢٥ جسرًا، و٢٢ قلعة، و١٤ سبيل مياه، وستة أقنية مياه، و١٤٢ دارًا خيرية متنوعة. وقد دُمِّر من الآثار المذكورة الآلاف، وبعضها قيد التدمير، وتفيد المعلومات أن التدمير طال معظم الجوامع التي بلغ عددها ٢٣٣٦ مُنشأة وبقي منها العشرات فقط.

■ المركز الإسلامي في أثينا

وبعد أن ظلت العاصمة أثينا سنوات طويلة بلا مسجد للمسلمين، تم عام ٢٠٠٧م الإعلان عن قيام المسجد والمركز الإسلامي الذي يحمل اسم «المركز العربي اليوناني للحضارة والثقافة»، وهو مبنى مكون من ٣ طوابق على مساحة ١٨٠٠ متر مربع في ضاحية موسخاتو وسط العاصمة أثينا، تم شراؤه منذ ديسمبر ٢٠٠٦ من قبل متبرع سعودي مقابل ٢,٣ مليون يورو، وتم تجهيزه ليكون مركزا إسلاميا وثقافيا، وأن يكون الطابق الأرضي منه مسجدا لإقامة فرائض الصلاة، والمسجد بمساحة ٦٥٠ مترا مربعا، وهو الأول في العاصمة اليونانية منذ ١٧٠ عامًا.

وتضم أثينا مساجد أثرية منذ العهد العثماني، تبلغ أكثر من عشرين مسجدًا، ولكنها غير مفتوحة للصلاة، ومنها مسجد النصر، والذي يعود تاريخه إلى عام ١٤٥٨م، وتحول إلى مزار سياحي، فيما تحولت مساجد أخرى إلى متاحف للفن الشعبي اليوناني، وهذه المساجد الأثرية يطلق عليها رسميًا مسميات أخرى.

■ الإقبال على الإسلام

وفي الفترة الأخيرة بدأت ظاهرة جديدة تبدو ولو بشكل فردي، وهي اعتناق أفراد من المجتمع اليوناني الإسلام باجتهاد فردي وبحث شخصي، ومعظم هؤلاء من الشباب والمثقفين الذين قضوا أعوامًا طويلة في البحث والتقصي في المبادئ والديانات والأفكار، ويعتبر المسلمون الجدد من أكثر العناصر المبشرة بمستقبل أفضل بالنسبة للعمل الدعوي في اليونان، باعتبارهم يعرفون طبيعة بلادهم وخصائصها الثقافية والسياسية، لكن ينقصهم الكثير من الخبرة في مجال العمل الدعوي، ويحتاجون إلى توجيه للاستفادة منهم في هذا المجال.

الفطور.. من حسناتها البنسلين والفيتامينات

محيي الدين عواد الظاهر - كاتب سوري

يعرف كلٌ منا فطرًا مًا، لاسيما الفطر العادي والخمائر والعفن على الخبز. وإن أبواغ هذه النباتات حولنا في الهواء دائما، وهي بالإضافة إلى حبات غبار الطلع والذرات الأخرى المعلقة غالبا ما تكون سببا للحساسية، وإن عددا كبيرًا من الفطور مفيد للإنسان، لكن عددًا كبيرًا منها ضار لنباتات المحاصيل، والمنتجات الزراعية، بل وحتى للإنسان نفسه.

الفطريات منتشرة انتشارًا كبيرًا في التربة، فقد وجد أن عدد الفطريات في جرام واحد من التربة يتراوح بين (٤٢٠٠٠) و(١٣١٠٠٠)،وتزداد نسبة وجود الفطريات في التربة كلما ازدادت درجة حموضتها وتقل كلما ازدادت درجة قلويتها.

تعتبر الفطور بين أكثر أنواع النباتات بدائية. وتنضوي في عائلة الثالوسيات thallophytes، أو النباتات ذات الثالوس، والثالوس نبات بسيط ليس له جذور أو ساق أو بذور أو أزهار، وهو التركيب الذي نربطه بالنباتات الراقية عموما. يتألف ثالوس الفطور من خيوط تدعى الهيفا hyphae أو الخيط الفطري، ويطلق على مجموعها عادة اسم الغزل الفطري الميسليوم mycelium.

إن النمو الزباغي لفطر العفن على سطح الخبز هو جزء من الغزل الفطري الذي ينتشر على سطحه، وتوجد الهيفا التي تحصل على الغذاء للفطر داخل الخبز أو على سطحه وتتكاثر معظم الفطور بطريقتين -جنسية ولا جنسية- وينتج الغزل الفطري لمعظم الأنواع كلا من الأبواغ اللاجنسية غبارا مؤلفا من ذرات دقيقة تسمى كونيديا conidia ومفردها كونديوم، وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية konis ومعناها غبار، وعندما تنبت germinate تكون غزلا فطريا شبيها بذلك الذي نشأت منه. وتتبعثر الكونيديا على نطاق واسع بواسطة الريح والمطر والحشرات والطيور والإنسان وعوامل أخرى. وكثير منها مقاوم جدا حتى

أنها تنتشر على مئات الأميال بل الآلاف دون أن تفقد قدرتها على الإنبات. وهذا هو أحد أسباب انتشار عدد من الفطور على نطاق واسع في الأرض.

وتظهر الفطور قدرًا كبيرًا من التنوع في التكاثر الجنسي. ولكن في جميع الأحوال تكون السمة الرئيسة جمع واندماج نواتي خليتين، وفي عدد من الفطور الراقية تتكون الأبواغ الجنسية في أجسام مثمرة واضحة، والفطر العادي المعروف مثال جيد عليها.

إن الجسم المثمر للفطر عبارة عن جزء من النبتة الكاملة، فينشأ من الهيفا أو الخيط الفطري الموجود تحت الأرض أو في خشب جذع متفسخ. تحوي الطحالب ومعظم النباتات الراقية صبغيات خضراء، أو مادة ملونة تسمى الكلورفيل. ويتفاعل الماء الممتص من التربة وغاز ثاني أكسيد الكربون المشتق من الهواء في الخلايا التي تحوي هذه الصبغيات بوجود ضوء الشمس ليكونا عنصرا غذائيا- سكرا- يسمى الغلوكوز.

وهذه العملية تسمى عملية التركيب الضوئي وتتلخص في أبسط صورها بأن المادة الخضراء الموجودة في مختلف أنواع النباتات لها القدرة على الاستفادة من الطاقة الشمسية، وتستعين بها في تحويل ثاني أكسيد الكربون والماء إلى النشا والسكر، ثم سائر المركبات العضوية التي تختزن فيها طاقة الشمس، والتي هي سبب في حياة النبات ونموه ثم في حياة الحيوان بما تقدمه من غذاء بنائي، يتألف من هذه المواد جميعا، ثم إن هذه المركبات الناتجة جميعا سواء أكانت نباتية أو حيوانية تقوم بدورها بتوفير الغذاء اللازم للإنسان. وليس في الفطور كلورفيل، وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تصنع غذاءها ولكنها تعتمد على العضويات الأخرى (أشياء حية) لتأمينه. يعيش بعضها كطفيليات تنمو على العضويات الحية الأخرى وتحصل على غذائها منها مباشرة، ويتغذى بعضها الآخر على العضويات الميتة كالأوراق المتفسخة أو الخشب الميت فتنمو عليها، وتسمى أمثال هذه الفطور «سابروفيت» نباتات تتغذى من الأشياء المتفسخة، رميات.

ولا تتمكن الفطور الحقيقية من تناول أغذية صلبة كما تفعل الحيوانات، فيجب أن تحول مثل هذا الغذاء قبل أن تستطيع استعماله، وتقوم بفعل ذلك بواسطة إفراز إنزيمات أو الخمائر إلى جوارها، فتقوم هذه الإنزيمات بتفكيك الأغذية المؤلفة من مواد عضوية معقدة إلى مواد أبسط يمكن أن تنحل بالماء، فتستطيع الفطور امتصاصها عندما تكون هذه المواد بشكلها المحلول.. إن بعض أنواع الفطور محددة جدا من حيث اختيارها للغذاء- أي المواد العضوية التي تستطيع خمائرها معالجتها. فتعرف إحدى مجموعات الفطور الصغيرة بأنها تعيش على القرون المهملة وحوافر الحيوانات، بينما تنتج أنواع أخرى خمائر مختلفة تمكنها من العيش على مواد متنوعة جدًا.

ونشاطات الفطور في تكوين الخمائر عامل حيوي في العملية الطبيعية التي يعتمد عليها وجود الحياة نفسها على الأرض- وهي عملية التفسخ. وتؤدي هذه النشاطات إلى تحويل المادة العضوية المعقدة الموجودة في أجسام النباتات والحيوانات الميتة إلى مواد أبسط يتمكن النبات من امتصاصها. فيستعمل النبات هذه المواد في صناعة عناصر الغذاء لكل من النباتات والحيوانات.

يستعمل الإنسان النشاطات المكونة للخمائر في بعض الفطور في صناعة المشروبات والخبز والجبن. وتسبب خمائر بعض الفطور تفسخ الخشب والأنسجة كما تسبب أمراضا عديدة للحيوانات والنباتات.

إن عددًا كبيرًا من النباتات البذرية -الأشجار والشجيرات- على علاقة كبيرة ببعض أنواع الفطور، حيث يغزو الغزل الفطري جذور النباتات، ولكنه لا يؤذيها بل يساعدها، فيقوم بنقل الماء والفلزات من التربة إلى جذور هذه النباتات.

وتقوم النبتة البذرية بتأمين الغذاء للفطور. وتسمى الفطور من هذا النوع الجذر الفطري، والفطر في هذه الحالة مثال جيد على التعايش بين متعضيين غير متشابهين.

وأثبتت بعض المواد التي نحصل عليها من الفطور أنها لا تقدر بثمن في مجال الأدوية. فالمضاد الحيوي البنسلين المشتق من فطر أخضر مزرق يسمى البنيسليوم قد أنقذ حياة عدد لا يحصى وخلص من كثير من الآلام.

ولم يتأكد أحد بعد من كيفية نشوء الفطور، لما كانت بعض الأنواع الدنيا تشبه الأشنيات الخضراء من بعض النواحي وخصوصا من حيث الشكل وطريقة التكاثر، ويعتقد بعض علماء الفطور بأن الفطور قد نشأت من الأشنيات وبأنها أصبحت طفيليات أو رميات- عضويات تعيش على المواد الميتة- لفقدها الكلوروفيل والقدرة على صناعة غذائها. ويأخذ علماء نبات آخرون بوجهة نظر أخرى، فهم يبينون بأن بعض أنواع الفطور

الدنيا تشبه الحيوانات من نواحي عديدة، فهم يعتقدون بأن الفطور قد تطورت من الحيوانات وحيدة الخلية protozoans أكثر مجموعات الحيوانات بدائية.

لقد تم وصف حوالي (٥٠٠٠٠) نوع وتقدر بعض المراجع بأن هذا العدد يمثل أقل من نصف العدد الذي قد يكون موجودا.. إذن من المحتمل أن يكتشف الإنسان كثيرا من الأنواع الجديدة المهمة مع مرور الزمن، إذ لا تزال أجزاء واسعة من الأرض غير مكتشفة نسبيا فيما يتعلق بالفطور وتشمل إفريقيا وقسما من أميركا الجنوبية وجنوب المحيط الهادي وآسيا.

فوائد الفطريات

كانت دراسة الفطريات، قبل اكتشاف البنسلين، وقفا على نفر قليل من العلماء المختصين، وكان لفظ فطرة ثقيلا على أسماع الكثيرين من غير المشتغلين به والباحثين فيه.. تطور الزمان وتقدم العلم فأصبح لفظ فطرة، وإفرازها البنسلين، من الكلمات الشائعة التي تتداولها الصحف والمجلات العلمية وتلوكها ألسنة الناس جميعا عوامهم وعلمائهم!.. ومثل الباحث في علم الفطريات كمثل المربي، يتعهد الكائن منذ نشأته، يبحث في تاريخ حياته، وما يسببه للإنسان من متاعب فيقاومها، وما يسديه له من حسنات فيتعهدها وينميها.. فهناك نفر من العلماء قد تخصص بدراسة الأمراض الفطرية للنباتات وابتكر لها المواد الكيميائية اللازمة لمقاومتها وإبادتها، وهناك آخرون تخصصوا بعلم حفظ الأغذية من فواكه وخضراوات ولحوم ومربيات، ودرسوا أحسن الوسائل العلمية ليبعدوا عنها مهاجمة الفطريات وما تسببه لها من عفونة وتلف.

تلك بعض المتاعب التي تسببها الفطريات فيتعهدها البحث العلمي الإنساني بالتهذيب للحد من سطوتها والإقلال من أضرارها.

تستعمل بعض أنواع الفطريات كالعراهين (عيش الغراب) وغيرها طعاما للإنسان، فهي الغذاء الأساسي لفقراء المناطق التي تحد بحر البلطيق وشمال شرقي روسيا، وكان الفرنسيون أول من اشتغل بزراعتها لإدخالها في طعامهم، وذلك لشدة شغفهم بها وميلهم الطبيعي إلى التنويع في مواد غذائهم، ومن ثم امتدت زراعتها إلى الأنحاء الأخرى من أوروبا وأميركا وآسيا، وهي تزرع الآن في العراء في جنوبي شرقي إنجلترا، وأصبحت زراعتها رابحة من الوجهة التجارية.

وكل إنسان ساعدته الظروف المواتية للإقامة في إنجلترا حينا من الدهر، يتذكر تلك الغابات المترامية الأطراف من أشجار الصنوبر، وقد كست بوارف ظلالها، وتشابك أغصانها، مساحات شاسعة من الأرض التي تراكمت عليها مياه الأمطار وتكدست فوقها المواد العضوية المتحللة في مثل هذه التربة الوارفة ظلالها، الغنية بمائها وبمواد غذائها، تتناثر كثير من أنواع الفطريات كعيش الغراب وغيره، وهي متعة للناظرين في تناسق أشكالها وألوانها.

يستهلك الصينيون واليابانيون كثيرا من الفطريات في غذائهم وتباع نضيرة أو مجففة أو محفوظة، وهناك فطرة تسمى «كورتينلس»، وتنمو الفطرة «فلفاريا» كثيرا في المناطق الاستوائية كالفلبين وجاوة ومدغشقر وغرب إفريقيا، ولفائدتها الغذائية يتسابق الأهالي في إكثار انتشارها وتشجيع إنمائها، وتزرع على المخلفات النباتية مثل قش الأرز وبقايا قصب السكر وما يتخلف من أشجار الموز وأغلفة ثمار البن وغيرها، فتترك هذه المخلفات النباتية في أماكن رطبة ظليلة بين الأشجار ويلقى عليها بين حين وآخر الماء المالح الناتج من غسل الأرز أو النفاية المتخلفة من عصير القصب، وليس هناك من حاجة إلى القيام بتلقيح هذه المخلفات تلقيحا صناعيا بالفطرة، إذ إن بقايا النباتات تكون ملوثة بها، فضلا عن أن النمل وغيره من الحشرات المنتشرة هناك تقوم بنقل الجراثيم اللازمة، ولما كان هذا النوع من الفطريات يكثر وجوده ويشتد ازدهاره بعد هطول الأمطار، وما يصحبها عادة من قصف الرعد ووميض البرق، فلذلك يسميه أهالي الفلبين «زهرة الرعد والبرق»

فازدهار هذه الفطرة وتكاثرها هو في الحقيقة ثمرة يقطفها الأهالي الآمنون بعد أن يقاسوا الكثير من مصاعب الطبيعة وويلاتها، فتبدل من سكون حياتهم برقا ورعدًا، ومن صفاء سمائهم مطرًا غزيرًا مدرارًا، فيه حياة لأقواتهم وإنعاش لأرزاقهم، هكذا تضرب لنا الحياة أحسن الأمثال بأن لكل ظاهرة فيها فوائدها وأضرارها!.. وتنمو الكمأة (ترفزيا) في شمال إفريقيا وجنوب إسبانيا وفي البرتغال، وتشاهد أحيانا في الأسواق العامة، وهي معروفة عند بدو مريوط ويتخذون منها غذاء عند الحاجة، وهي تكسو أكوام السماد في الواحات الخارجة، ويسميها الأهالي هناك «طواقي الأرض»، تلك نبذة صغيرة عن فائدة الفطريات كمادة للتموين، فيها إشباع للبطون وفيها غذاء للآكلين، ولم تقتصر فوائد الفطريات على قيمتها الغذائية فحسب بل تعدتها إلى قيمتها في إنتاج «الفيتامينات»، فلقد أظهر العلم الحديث أن الغرض الأساسي من التغذية ليس فقط هو ملء البطون بل الغرض الأسمى منه هو سد حاجات الجسم بالعناصر الضرورية المتباينة لحفظ كيانه وازدياد مقاومته للأمراض، وقد اكتشفت مواد غذائية هي:

«الفيتامينات»: أثبتت التجارب المختلفة أن نقصها يسبب أعراضا مرضية مهمة، وهذه الفيتامينات موجودة بكثرة في بعض أنواع الفواكه والخضراوات النضيرة، وأمكن إنتاجها صناعيا بوساطة تأثير الفطريات، كأنواع الخميرة وغيرها على محاليل غذائية خاصة. لم يعرف عن ماهية هذه الفيتامينات شيء إلا في أواخر القرن السادس عشر حينما شوهدت أعراض مرض «الاسقربوط» الناتجة عن سوء التغذية على بحارة السفن الذين كانوا يقومون برحلات طويلة ويعيشون طوال مدتهم على اللحوم المقددة والأطعمة المحفوظة، إذ وجد أن هذه الفيتامينات تحتفظ بحيويتها وقوة تأثيرها وهي نضيرة ثم تفقد قوتها وتزداد سرعة تحللها عند حفظ الأطعمة أو في أثناء عملية الطهي، وقد ثبت أن مرض الاسقربوط سببه نقص أحد هذه الفيتامينات، وقد حار العلماء في تسمية هذه الفيتامينات فتارة يسمونها بالحروف الهجائية المتداولة مثل فيتامين ا- ب - ج - د - هـ ومرة يسمونها حسب وظيفة كل منها في الجسم مثل الفيتامين الواقي من الكساح والفيتامين المضاد للبلاجرا وغيرها.

والفطريات وخصوصا النوع المسمى بالخميرة تستطيع إذا نمت في محاليل غذائية خاصة، أن تكون هذه الفيتامينات كفيتامين ب مثلا المضاد لبعض الأمراض العصبية والشلل والتشنجات، وخلو الجسم منه يسبب للإنسان اضطرابات في القلب وآلاما في الأطراف وفقدان الجلد للحساسية، والخميرة أيضا من أغنى المواد الحاوية لفيتامين ب٦ وهو الفيتامين الواقي من مرض البلاجرا، ويسبب نقصه من الغذاء فقرًا في الدم، واضطرابات متعددة في المعدة والأعصاب.

ولم تتخذ بعد دراسة تكوين الفيتامينات بوساطة الفطريات مكانها اللائق في مجال البحث العلمي أو الميداني التجاري، بالرغم من فائدتها العظمى في مقاومة الأمراض، فإذا كان البنسلين، وهو أحد خيرات الفطريات وحسناتها قد اتخذ طريقه في الطب الحديث كسلاح قوي ضد الأمراض البكتيرية، فإن الفيتامينات وهي أيضا من منتجات الفطريات ومميزاتها قد سبقته فاتخذت طريقها كعقار طبي ناجع دون بعض الأمراض الفسيولوجية من جلدية وعصبية وغيرها، والتي لم يكن للميكروبات دخل في إحداثها.

المراجع:

١- الموسوعة العلمية الميسرة، ترجمة، محمد شريف الطرح - شوقي العاج - ماجدة خوري - إبراهيم خوري - منشورات وزارة الثقافة في سورية.

٢ - الذرة في خدمة الزراعة، د.محمود يوسف الشواربي، دار القلم بالقاهرة.

٣- قصة البنسلين، د.مصطفى عبدالعزيز.

٤- الكيمياء والإنسان، تأليف، ك. ر. تيلر، ترجمة د.حسن عابدين.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

حكم الإفتاء في النوازل والواقعات المعاصرة

إذا حدثت حادثة ليس فيها قول لأحد من العلماء، فهل يجوز الاجتهاد فيها بالإفتاء والحكم، أم لا؟ ذَكَرَ ابن القيم -رحمه الله تعالى- فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يجوز، وعليه تدل فتاوى الأئمة وأجوبتهم، فإنهم كانوا يُسألون عن حوادث لم تقع قبلهم، فيجتهدون فيها، وقد قال النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ، فله أجر»، وهذا يعم ما اجتهد فيه مما لم يعرف فيه قول من قبله، وما عرف فيه أقوالاً، واجتهد في الصواب منها، وعلى هذا درج السلف والخلف، والحاجة داعية إلى ذلك لكثرة الوقائع، واختلاف الحوادث.

والثاني: لا يجوز له الإفتاء ولا الحكم، بل يتوقف حتى يظفر فيها بقائل، قال الإمام أحمد لبعض أصحابه: «إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام».

والثالث: يجوز ذلك في مسائل الفروع؛ لتعلّقها بالعمل، وشدة الحاجة إليها، وسهولة خطرها، ولا يجوز في مسائل الأصول.

ثمَّ قال: والحق التفصيل، وأن ذلك يجوز، بل يستحب، أو يجب عند الحاجة وأهلية المفتي والحاكم، فإن عُدم الأمران لم يجز، وإن وجد أحدهما دون الآخر.. احتُمل الجواز والمنع والتفصيل؛ فيجوز للحاجة دون عدمها، والله أعلم. (إعلام الموقعين- ٤/٢٦٥-٢٦٦- بتصرُّف يسير).

فتاوى الوعي

حق الزوج في الطلاق

(٤٢٩/٨٣/٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، بعد أن حضر إلى اللجنة ولي أمر المطلقة، وقدم رسالة يحكي فيها تصرفات زوج أخته الذي أصر على طلاقها دون أي سبب بعد أن عقد عليها واختلى بها، وطرح الأسئلة الآتية؟

هل يجوز له الاستهتار وتعريض مستقبل بنات الناس للتشويه بطلاقهن بغير ما سبب؟ وهل يجوز له خداع الناس والكذب عليهم؟ وما يترتب على ذلك من حقوق؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

إن الزوج له الحق في الطلاق، ولكنه إذا كان يقصد الضرر بها فإنه مؤاخذ بذلك، وإذا كان الزواج قد تم بعقد، وبشروطه الصحيحة، فليس في ذلك أي إساءة للسمعة إذا طلقها. والله أعلم.

طلب الزوجة الطلاق

(٤١٩٢/٣١٠/١٣)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصه:

تطلب زوجتي مني الطلاق، بسبب زواجي عليها، وأنا لا أرى ذلك بسبب العشرة الطويلة والعيال بيننا ومصالح مشتركة، ولكن ألمها النفسي يجعلها غير مستقرة، وينعكس ذلك على الأطفال (العيال أربعة من ٩-١٩ سنة)، فهل عدم استجابتي تسبب لي الإثم، وهل هي محقة؟ ولكم الشكر.

فأجابت اللجنة بما يلي:

لا يجب على الزوج ولا ينبغي له أن يطلق زوجته بمجرد طلبها الطلاق منه إذا لم يكن هنالك أسباب حقيقية تبرر هذا الطلب، كتقصيره نحوها في النفقة، أو إضرارهِ بها بالضرب والشتم، وأمثال ذلك، كما يحرم على الزوجة أصلاً أن تطلب الطلاق من زوجها لغير مبرر شرعي كما تقدم، لقول النبي ﷺ: «أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة» (رواه الخمسة إلا النسائي)، وليس زواج الرجل بزوجة أخرى سببًا كافيًا لطلبها الطلاق مادام يعدل بينها وبين ضرتها، فإن جار عليها فنصحته وبذلت جهدها في تقويمه فلم تفلح، كان لها أن تطلب الطلاق منه عند ذلك للضرر، ويجب عليه في هذه الحال أن يطلقها تلبية لطلبها، ما لم يتدارك أسباب شكواها، والله أعلم.

طلقها دون قصد

(٩٠٠/٢٧٨/٣)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

قال في أثناء الحديث مع زوجته: (طالق، طالق، طالق)، مع أنّه قالها دون قصد الطلاق أو حتى قصد المزاح بهذا اللفظ، ولا يدري كيف خرجت منه هذه الألفاظ.

وسألته اللجنة ما يلي: ما ظروف هذه الطلقة؟

قال: لقد حصل خلاف بيننا لأنها طلبت مني شيئًا معينًا

ونص كثير من العلماء على أن واجب العالم والمجتهد أن يفتي الناس عند سؤاله في نازلة أو واقعة في كل زمان، وأن يجمع لها الحاكم من يراه من المجتهدين من العلماء الثقات، حتى يعبد الناس ربهم على بصيرة.

قال الحافظ ابن عبدالبر- رحمه الله: «الإمام والحاكم إذا نزلت به نازلة لا أصل لها في الكتاب، ولا في السنة.. كان عليه أن يجمع العلماء، وذوي الرأي، ويشاورَهم، فإن لم يأت واحد منهم بدليل كتاب ولا سنة غير اجتهاده.. كان عليه الميل إلى الأصلح، والأخذ بما يراه». (التمهيد- ٣٦٨/٨).

أهمية الفتوى في النوازل

تظهر أهمية الاجتهاد في النّوازل المعاصرة في النقاط التالية:

١- بيان صلاح هذه الشريعة لكل مكان وزمان، وكونها الشريعة الخالدة، والكفيلة بتقديم الحلول الناجعة لكل المشكلات والمعضلات.

٢- إيقاظ هذه الأمة والتنبيه على خطورة قضايا ومسائل ابتُلي بها جموع المسلمين، مع كونها مخالفة أشد ما تكون المخالفة لقواعد هذا الدين، ومضادة لمقاصده.

٣- إعطاء هذه النوازل أحكامها الشرعية المناسبة لها مطالبة جادة ودعوة صريحة إلى تحكيم الشريعة في جميع جوانب الحياة، وهو تطبيق عملي تبرز به محاسن الإسلام، ويظهر منه سموه وتشريعاته.

٤- ضرورة إيجاد مَعلَمة متكاملة تستوعب قضايا العصر ومسائله المستجدة على هدي الشريعة الإسلامية.

٥- إعطاء النوازل المستجدة في كل عصر أحكامها الشرعية المناسبة يدخل دخولا أوليّا تحت مهمة التجديد لهذا الدِّين، وإحياء ما اندرس من معالمه. ينظر: (ضوابط فقه النوازل- عبدالله اللاحم).

وقالت: لو العصمة بيدي قلت: طالق، طالق، طالق، وأنا قلت لما ذكرت الكلمة: طالق، طالق، طالق، وهي حامل.

فأجابت اللجنة بما يلي:

إنه وقع على المستفتي بما صدر منه طلقة أولى رجعية، له مراجعتها مادامت في العدة، فإن راجعها تبقى معه على طلقتين، وقد راجعها أمام اللجنة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. والله أعلم.

الوعد بالطلاق

(٤٣٠/٨٤/٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

حصل نزاع بيني وبين والدي، بسبب زوجتي فقلت له: «خلاص أنا أوَدِّيها إلى أهلها وننهي الكلام»، أو قلت: «أوَدِّيها إلى أهلها وأطلقها»؛ فهل يقع الطلاق أم لا؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

إن ما قاله السائل لوالده مجرد وعد بالطلاق، وعلى هذا فلا يقع به. والله أعلم.

الطلاق قبل الدخول

(٤٦١/١٠٩/٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

أنه قال لأهل زوجته قبل الدخول بزوجته: «فلانة تعتبر طالقًا إذا ثبت صحّة ما في الرسالة»، واتضح صحة ذلك الشيء بعد الدخول بإقرارها، وراجعها بعد ذلك أمام أحد المشايخ، وبعد فترة قال في مجلس: «إن هذه البنت لا أريدها وهي طالق»، وبعد ساعة قال في مجلس آخر: «هي طالق».

فأجابت اللجنة بما يلي:

يقع بقول السائل: «فلانة تعتبر طالقًا إذا ثبت صحة ما في الرسالة» طلقة أولى بائنة بينونة صغرى؛ لوقوعها قبل الدخول. أما ما لحقها من أيمان طلاق فهي غير واقعة، لأنها أصبحت أجنبية عنه بعد طلاقه الأوّل، وأن ما حصل بعده يعتبر وطء شبهة، وإن أراد أن ينكحها مرة أخرى فعليه أن يعقد عليها عقدًا جديدًا بشروطه المقرّرة، والله ولي التوفيق. والله أعلم.

طلقها مرتين.. وبقيت له واحدة

(٤٤٥/٩٥/٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

بأنه قد طلّق زوجته سنة ١٩٧٠ بلفظ: «روحي أنت طالق طالق طالق»، وقد أرجعها بعد ذلك. ومنذ فترة وجيزة تشاجر مع زوجته فقال لها: «روحي أنت طالق طالق طالق»، ويرغب الآن في إرجاعها.

فأجابت اللجنة بما يلي:

يقع بقوله السابق واللاحق على زوجته طلقتان رجعيتان، وله أن يراجع زوجته في العدة، وتبقى عنده على طلقة واحدة، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره زواجًا صحيحًا، فإن طلقها الزوج إن شاء أو توفي عنها تعتد منه عدة طلاق أو وفاة، ثم إن شاء عادت إليه بعد انقضاء العدة. والله أعلم.

إعداد : خالد محمد

تحديث جديد لتطبيق انستجرام

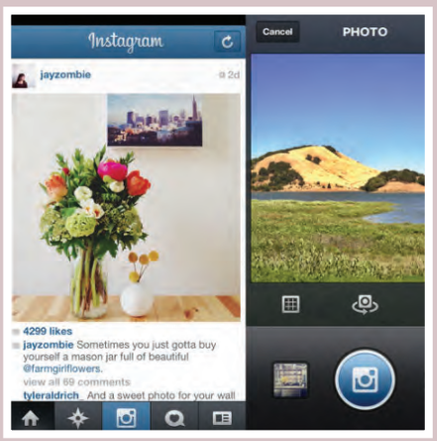

قام تطبيق انستجرام- وهو أشهر تطبيقات مشاركة الصور على الهواتف الذكية والأجهزة المحمولة- بإطلاق تحديث جديد على أجهزة الآيفون، حيث تم إضافة إمكانية التقاط الصور وتسجيل مقاطع الفيديو بشكل أفقي، ودعم خاصية المثبت البصري CINEMA من خلال الكاميرا الأمامية في الجهاز، حيث كانت مقتصرة سابقًا على الكاميرا الخلفية فقط، ويمكنكم تحميل التحديث من خلال متجر الآب ستور.

تطبيق «ختمة» يساعدك على الانتظام في قراءة القرآن الكريم..

أعلن مؤخرًا عن تطوير تطبيق «ختمة» على أجهزة الآيفون والآي باد للإصدار الرابع، والذي يهدف إلى مساعدتك على ختم القرآن الكريم بشكل مرتب ومتتابع، وذلك بعد أن حقق الإصدار الثالث أكثر من ٢٣٠,٠٠٠ تحميل، وتضمن الإصدار الرابع إضافة مميزات جديدة وتحسينات هي: واجهة بسيطة، وقراءة المصحف داخل التطبيق، وقراءة المصحف بدون إنترنت، والتنقل السريع ما بين السور داخل المصحف، والوصول بسهولة إلى سورة الكهف، والقراءة بالأجزاء، وحفظ السورة التي وصلت لها، والمتابعة من آخر نقطة، بالإضافة إلى أداة تقسيم ختم القرآن إلى ٣٠ يومًا، ١٥ يومًا، ١٠ أيام، و٧ أيام، ودعاء ختم القرآن الكريم.

كيف تحتفظ بنسخة احتياطية من حساباتك في مواقع التواصل الاجتماعي؟

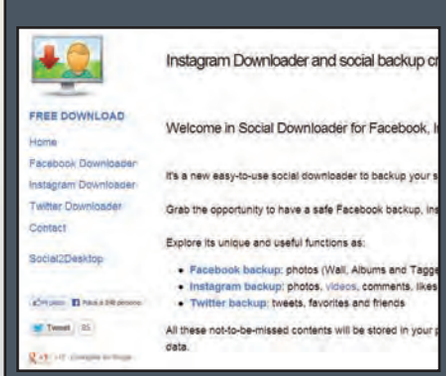

المشاركات اليومية في حسابات التواصل الاجتماعي تؤدي إلى تضخم البيانات الموجودة لدى المستخدم في الشبكة الاجتماعية من صور وفيديو ومقالات، وهذا يتطلب أداة يمكنها نسخ بياناتك وأرشيفك في تلك الشبكات بصورة احتياطية، والاحتفاظ بها على جهازك.

يقدم موقع socialdownloader.com هذه الخدمة مجانا لأشهر ٣ شبكات اجتماعية، هي تويتر، وفيس بوك، وانستجرام أيضًا، عبر برنامج صغير تقوم بتثبيته على جهازك الشخصي، وتعطيه الإذن بالدخول إلى حسابك، ثم تبدأ في النسخ الاحتياطي لحسابك في الشبكات الثلاثة معًا، أو يمكنك اختيار شبكة واحدة منها، حيث تحتفظ على جهازك بأرشيف المشاركات كاملة.

١٠ خطوات لكي تصبح مدونا ناجحا..

البعض يتعامل مع المدونة كتعامله مع مواقع التواصل الاجتماعي، فيضع في مدونته شتات أفكار ومعلومات منقولة من هنا وهناك، بينما التدوين الناجح يعتمد على عدد من الخطوات؛ لكي تصنع التأثير في قراء المدونة..

ونقدم هنا بإيجاز بعض الخطوات التي ينصح بها الكاتب في مجال التقنية، نشرتها الشبكة العربية لأخبار التقنية، والتي يجب العمل عليها والتقيد بها، وكذلك الانضباط معها.. والأهم أن تكون لك قناعة وحب للمجال الذي تكتب فيه، وأن تقدم فيه شيئا مميزا:

١- التخطيط للمدونة: التخطيط يعتبر أمرًا هامًا وضروريًا في جميع أمور الحياة، فقد قيل: إذا فشلت في التخطيط فأنت تخطط للفشل.. وهو يخضع لعوامل عدة، أولها: تحديد الموضوع، وثانيها: وضع الأهداف، وثالثها: الصبر على تحقيق أهدافك.

٢- اختيار المجال: ويعتبر من أهم العوامل في نجاح المدون؛ لأنك لا يمكن أن تنجح في مجال أنت لا تحبه، لذا يجب التمعن كثيرًا والتدقيق في اختيار المجال الصحيح الذي يمكنك أن تقدم فيه الإضافة، وتبرز نفسك بطريقتك في التدوين والتأثير على القارئ.

٣- يجب أن تثقف نفسك، فعليك بالقراءة.. والقراءة.. ثم القراءة؛ كي تنمي معارفك، وتطور ذاتك، ولتركز أكثر على مجالك الذي تشتغل فيه، وابحث عن أشياء جديدة، فهذا سيؤهلك لكي تصبح أكثر كفاءة، وكسبًا لخبرة أكبر.

٤- المحتوى، تقول جوجل: إن المحتوى هو «الملك»، لذلك يجب أن تكتب محتوى مميزًا يجلب القراء، ويزيد من نسبة التفاعل مع مقالك.

٥- بناء الثقة بالنفس: اشحن ذاكرتك بالأفكار الإيجابية الخلاقة، وتفاءل بالنجاح، ودائمًا قل: يمكنني أن أصل إلى قمة الجبل ولو لوحدي، استجمع إرادتك وعزيمتك، واحذف من قاموسك كلمة الفشل.. أو لا أستطيع.

٦- لا تجعل الفشل يعوقك عن النجاح: ستفشل، هذا حتمي، لمرحلة معينة.. ستسقط ثم انهض.. ثم ستسقط ثم اجلس، وحاسب نفسك لماذا سقطت؟ ثم انهض وكمل الطريق، ثم إذا سقطت للمرة الثالثة اجلس وحاسب نفسك لماذا سقطت في المرة الأولى والثانية والثالثة؟ وعندما تجد الأسباب حاول إصلاحها؛ كي لا تقع فيها مرة أخرى، وكمل المسيرة حتى نقطة النهاية، ولا تستسلم أبدًا مهما كانت العوائق والصعاب.

٧- التأثير في القارئ: أشعر قراءك بأنك على قناعة تامة بما تتحدث به بحماسة، وأشعرهم أنك تحاورهم، ولا تبالغ في الوصف أو التمهيد، واجعل حديثك منصبًا على ما يهم قراءك، ولا تخرج عن صلب الموضوع؛ حتى لا تشتت تركيزهم.. ويجب أن تتعلم فن التأثير في القارئ لتجعله منكبًا على تدويناتك، متفاعلا معها بشكل غير طبيعي، وذلك يأتي مع مرور الوقت، وبتعلم تقنيات الكتابة.

٨- نظم الوقت: وهذا يعتمد على وجود خطة، فعندما تخطط لحياتك مسبقًا، وتضع لها الأهداف الواضحة.. يصبح تنظيم الوقت سهلًا وميسرًا، والعكس صحيح، إذا لم تخطط لحياتك تصبح مهمتك في تنظيم الوقت صعبة.. لذا يجب عليك أن تنظم أوقاتك جيدًا، وأن تستغل أي لحظة في التعلم والتفتح على أشياء جديدة.

٩- اهتم بمدونتك: عليك الاهتمام دائمًا بشكل مدونتك، كالتصميم والترتيب، ويجب أن يكون بسيطا ليروق للزائر، ولتحرص على أن يكون تصفح مدونتك سريعًا، بحيث تسهل على الزائر عملية التصفح، وبذلك تضمن بقاءه في المدونة لوقت أطول.

١٠- التواصل: حاول قدر المستطاع التواصل مع زوارك بعمل استطلاعات للرأي، وإنشاء صفحة لسجل الزوار، والتي تمكنك من معرفة الإيجابيات والسلبيات، والأشياء التي يحبها زوارك والعمل عليها، وكذلك معرفة السلبيات وتصحيحها، وحاول تقديم بعض الخدمات المجانية، مع القيام بتحديثات أسبوعية على مدونتك.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

التجديد فريضة إسلامية غائبة

التجديد عكس الجمود، ولا يتحقق التجديد إلا من خلال الاجتهاد، فمن أصول الإسلام فتح باب الاجتهاد في الدين إلى يوم القيامة، ذلك أن القرآن- فيما يختص بالتشريع- لا يحتوي إلا على أصول أولية، وقوانين كلية، تاركًا الجزئيات لأهل الاجتهاد، يستنبطونها على حسب الزمان والمكان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا من الإعجاز العلمي والعملي في القرآن والسنة.

والتجديد هو مسايرة تطورات العصر، وليس إعادة قديم كان، وإنما هو اهتداء إلى جديد بعد أن لم يكن، سواء كان الاهتداء إلى هذا الجديد بطريق الأخذ من قديم كان موجودًا، أو بطريق الاجتهاد في استخراج هذا الجديد بعد أن لم يكن.

وهناك من يرى أن التجديد معناه إعادة الدين إلى أصله يوم نشأ، عن طريق تنقيته من الأدران والأباطيل التي علقت به بسبب أهواء البشر على مر العصور، وإعادة الدين إلى أصله ليس معناه الابتعاد عن تطورات عصره الذي يعيش فيه، وإنما معناه الحكم على العصر الحديث طبقًا لشريعة الله بعد تنقيتها من الأدران والأوهام والأباطيل، التي يحاول الضالون إلحاقها بالشريعة، والتجديد في الدين لا يعني تغيير أسسه أو التصرف في أحكامه.. فتجديد شيء ما لا يعني إزالته، واستحداث شيء آخر مكانه، أو محو معالمه، وتشمل عملية تجديد الدين في الإسلام جوانب متعددة، منها الجانب الفكري، والجانب الفقهي، والجانب الروحي، والجانب المادي، ولكنها لا تتجاوز دائرة القطعيات التي فصل فيها الإسلام.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي أقر بضرورة التجديد، وعدها سنة من سنن الله الدائمة على مر القرون؛ بسبب كون الإسلام هو خاتم الرسالات؛ وحتى يكون صالحًا لكل زمان ومكان، فالتجديد هو المنشط والمحرك (الدينامو) الذي يبعث في الدين روح الحياة العصرية، والتاريخ خير شاهد على أن هناك علاقة وثيقة بين التجديد وحيوية الإسلام، والجمود من أعظم أسباب انزواء الإسلام وانحصاره.

رسمي عجلان

ذلك الكتاب لاريب فيه

أكتب عنه فترتعد فرائصي، ولا أستجمع أعضائي حيث تهم به روحي، وتتفاعل معه أحاسيسي، فالجبل منه قد خشع وتصدع، والقمر فيه انشق وتكور، وقصص الألى فيه قد شرح، وللتاريخ تصور، ومراحل خلق الإنسان فيه قد ذكرت، وللخلق صور.. ومن أراد الدنيا فعليه به، ومن أراد الآخرة فعليه به، ومن أرادهما معا فعليه به.

إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق.. يعلو ولا يعلى عليه.. وبهذه المنزلة وتلك الأوصاف عدوه وصفه وقدر.

فيه شفاء للناس، فيه تهديد ووعيد، فيه وعد وترغيب.. به وصف الجنة والنار ومنازل الأنبياء والشهداء والمصطفين الأخيار، ودركات ومواضع الفجار وكل متكبر جبار، فيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فيه فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وفيه أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، وفيه إنك ميت وإنهم ميتون، أنزل بأطهر البقاع حيث مكة والمدينة، وكتب على أفضل الرقاع، وتنزل على أشرف الخلق بالإجماع، وفي أفضل الشهور حيث رمضان.. يزهو بهذا الفضل الذي يزكي الروح والأسماع، ويتردد ذكره في مختلف الأصقاع.

إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون،

مقاومة الانحراف

كان رسول الله ﷺ يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يرغب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويوصي أصحابه الكرام بالتواصي بالحق والصبر، ويحض على مقاومة الفساد يقول ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» (رواه البخاري والترمذي).

بهذا يتحقق الترابط بين أفراد المجتمع المسلم والمصلحة العامة.

وهذا الحديث يقدر أن سلامة الأمة تكون بمقاومة المنحرفين والضرب على أيديهم؛ حتى لا يكونوا حجر عثرة في سبيل أمنها.

ولقد لعن الله بني إسرائيل بسبب عصيانهم وعدوانهم، وحكى القرآن سلوكهم فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(المائدة: ٧٨-٧٩).

إبراهيم نصحي

قال عنه ﷺ: «لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»، فيه السبع المثاني وأم الكتاب الفاتحة.. إنه قرآن ربي والدستور السماوي الدائم ليوم الدين، حين سمعته الجن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، والقرآن ذو الذكر، والقرآن المجيد لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، يقال لقارئه على رؤوس الأشهاد: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين.

د.الحسين محمد حميد

حديث الشاعر الباكي

إليك أمة العرب
حديث الشاعر الباكي
عن الأيام والأزمان والأحوال والماضي
تغير وجه أمتنا
وناح البوم في أرجاء وادينا
لهونا في ظلام الليل بالأحلام
حناجرنا أبحناها للحن راقص ماجن
وأهملنا حروف (الضاد) صار النطق ممسوخًا ومبتورًا
ووحدنا لدى اللهو وفرقنا لدى الأزمات
تأسينا على عتبات فرقتنا وحرقتنا
حرمنا من شروق الشمس أزمانا
تمسحنا بأنظمة حسبنا تربها تبرًا
ظننا خمرها عسلا
فغاصت في مناهجنا وعاثت في مساجدنا لتسكت صوت مئذنتي
وضعنا في رحى الأيام باركنا تخاذلنا
وأمضينا ليالينا يسامر بعضنا بعضًا
ونحكي عن نجوم الفن نغرق في حكايانا
نعاقر كأس أمنية تراودنا
فمن ذا يكسب (الأوسكار) من سيسجل الأهداف في المرمى
وغرف (الشات) تجمعنا لدردشة ومسخرة ومضيعة لأوقات
فهل عدنا لماضينا ليشرق وجه أمتنا؟؟
وأنجمنا تنير الكون قاطبة ويغزو علمنا البلدان
نعالج كل أزمتنا ويزهو وجه وادينا
ونزرع ثغر أمتنا أزاهيرًا وياسمينا
ونلثم وجه زهرتنا ونشتم الرياحينا
ونزرع خبزنا لينا ونحصده بأيدينا
بلا ذل يقيدنا وينفث سمه فينا
ولا رعب يعانقنا وينفذ سهمه فينا
نعد العدة الكبرى
نفك سلاسل (الأقصى) نحرره بأيدينا
ويعلو صوت (مئذنتي) بسورة (طه) (ياسينا)

رفعت بروبي

الدعوة الإسلامية منهج فعال للنهضة

لقد تناول المستشرقون من علماء أوروبا الإسلام والمسلمين بالدراسة من نواح مختلفة، وكان منهم من ملَكه الهوى فأضله على جهل أو علم، ومنهم من آثر أن يكون منصفًا يصدَع بالحق متى هدي إليه بعد البحث والتنقيب.

ومهما يكن فإن الدراسة التي تتميز بالجد والعمق للإسلام لم تبدأ إلا منذ القرن التاسع عشر، حين ذاعت ثقافة الشرق والإسلام في أوروبا، وحين أخذ الغرب يبسط سلطانه باسم الاستعمار على الشرق والبلاد الإسلامية، عندئذ نهض كثير من رجال أوروبا العلماء لبحث هذا الإسلام وتراثه ورجاله، محاولين معرفة سر حيويته وبقائه.

وقد كان هؤلاء الباحثون- ولا يزالون- طوائف شتى، ينتمون إلى أمم عديدة، وتدفعهم عوامل مختلفة إلى احتمال البحث وعنائه، وإن ألف بينهم جميعًا العمل على تجلية الإسلام من نواحيه المختلفة، كل من الناحية التي تخصص فيها، وعلى ما يرى من الأوضاع.

وقد كان اهتمامهم أولًا بكتب السير والتاريخ، ثم أخذوا في دراسة القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم أصول الدين والفرق الإسلامية، وما إلى ذلك من مظاهر الفكر الإسلامي.

إن الإسلام بمعناه العام هو الانقياد، أي: انقياد المؤمنين لله، فهذه الكلمة تركز أكثر من غيرها على الوضع الذي وضع فيه محمد ﷺ المؤمنين بالنسبة إلى موضوع عبادتهم وهو «الله»، وكذا إحساس الشعور بالتبعية الذي يحس به الإنسان أمام القدرة غير المحدودة، وهذا هو المبدأ السائد في الدين.

سميرة بيطام

عمارة الجامع الأزهر

في مدينة القاهرة قام بتشييد الجامع الأزهر فيها، الفاطمي أبو الحسن جوهر بن عبدالله الرومي الصقلي الكاتب، ليكون مسجدًا جامعًا..

وضع حجر الأساس لها لتكون عاصمة للدولة الفاطمية في مصر، وكانت بداية إنشاء الجامع في يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ/يناير ٩٧٠م، والفراغ منه وافتتاحه للصلاة في يوم الجمعة السابع من رمضان عام ٣٦١هـ/ يوليو سنة ٩٧٢هـ، أي أن الجامع استغرق بناؤه مدة تبلغ حوالي سنتين وثلاثة شهور، وكان موجودًا حينئذ بين حي الديلم وحي الترك، واختير له موقع في الجنوب الشرقي من المدينة على مقربة من القصر الكبير في الجنوب.

وقد سجل جوهر القائد هذا الإنشاء بكتابة بدائرة القبة التي كانت في الرواق الأول على يمين المحراب والمنبر بما نصه: مما أمر ببنائه عبدالله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين، على يد الكاتب الصقلي، وذلك في سنة ستين وثلاثمائة، وقد اندثرت هذه الكتابة مع القبة.

لم يطلق على الجامع الأزهر هذا الاسم في بداية إنشائه، وإنما عرف بجامع القاهرة، نسبة لعاصمة الفاطميين الجديدة، وأما تسميته بالجامع الأزهر فقد حدثت في وقت متأخر، حيث أشار إليها المؤرخون قريبو العهد ببناء القاهرة، كالمسبحي وابن الطوير وابن المأمون باسم جامع القاهرة، وقليلا ما أشاروا إليه باسم الجامع الأزهر.. وأطلق على جامع القاهرة، الجامع الأزهر ربما نسبة إلى فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي ينسب إليها الفاطميون، وقيل إنه سمي كذلك تفاؤلًا بم سيكون له من شأن ومكانة بازدهار العلوم فيه.

خالد عزب

الخلد في الزمان والعمر الثاني

ما هو الخلد؟ هل هو أن يعيش الإنسان ويعمر في الأرض سنين عددا؟ كلا فالخلد في الزمان بالجسد ليس المراد، حقّا إنها سنة الله في خلقه، وطبيعة الحياة، سنة الأولين والآخرين، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، فالحق سبحانه وتعالى خلق الحياة والموت ليختبر الإنسان.. إن أحسن فله، وإن أساء فعليه، وما ربك بظلام للعبيد.

نحن من الأرض وإلى الأرض نعود، إن تراب الأرض حوى ويحوي وسيحوي أجسادًا وأجسادًا، فهذه الأرض فيها رفات أجدادي وأبي، وعلى الأرض نخطو ويخطو أولادي، وإلى الأرض سيكون مثواي ومثواهم.. إنها الحياة.

إن الخلد المقصود هنا هو خلد الذكرى، الذكر العطر لمن رحل عنا، ذكرى مآثره وجليل أعماله، الذكر بالأثر الطيب الذي يتركه، وبالعمل الصالح الذي ينطوي تحت لوائه.. كل عمل طيب، فيه الخير له وللناس من حوله ومن بعده، وقد قال شوقي رحمه الله:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان
فاصنع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثان

سعاد حسين

ردود سريعة

- الكاتب مصطفى محمود علي من مصر: مقالتكم عن المفكر الإسلامي أنور الجندي شاملة، ولكن سبق نشر رحلته مع الكتابة في المجلة.. نتمنى لكم التوفيق، وننتظر مساهمات أخرى جديدة.

- الأستاذ هواري عبدالقادر من الجزائر: وصلتنا دراستكم المعنونة بـ«العلاقة التكاملية بين العلم والدين»، وإذ كنا نتفق معكم فيما ذكرتم من محفزات الدين للعلم والعلماء، فإن الموضوع بشكل عام قد كتب فيه كثيرًا من نفس الزاوية.. نشكر لكم جهدكم، وفي انتظار المزيد.

- الكاتب هشام إبراهيم من مصر: مقالتكم عن تاريخ النوبة لم تقدم سوى المتعارف عليه، كنا نود أن تضيف لنا بعدًا آخر غير تاريخي، كالبعد الثقافي الآني، أو قضايا مجتمع النوبة الإنسانية.

- الكاتبة أسماء أبو بكر: مقالتكم «عن الفكر الإسلامي وواقعنا الراهن» وجدناها منشورة باسم غيرك، وبالتحديد في موقع مركز الشرق العربي للدراسات، باسم الكاتب السعودي يسري عبدالغني، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢٨، نرجو إفادتنا عن سبب هذا البيان.

- الكاتب الأديب محمد علام: أسلوبكم في كتابة مقال «إهداء إلى محمود درويش» ينم عن موهبة أصيلة لابد أنها استغرقت منكم قراءة دؤوبة متصلة للأعمال الحداثية، ومع ذلك فهذا «النص» الأدبي لا يناسب سياسة تحرير المجلة لميله إلى «الاستغراب».. نتمنى إرسال نصوص أخرى قريبة من الواقع العربي.

- القراء الأعزاء... (نفس ختام ردود سريعة في كل عدد).

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

أسماء الله الحسنى

إحصاء أسماء الله الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات القدرية والشرعية صادرة عن أسماء الله وصفاته، ولهذا كانت في غاية الإحكام والصلاح والنفع.

ومراتب إحصاء أسماء الله التي مَن أحصاها دخل الجنة ثلاث: حفظها، وفهمها، ودعاء الله بها.. دعاء عبادة ودعاء مسألة.

(طريق الوصول إلى العلم المأمول للسعدي)

حكم ومواعظ

- حسبك من الشر سماعه.
- من اتكل على زاد غيره طال جوعه.
- إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.
- للفقر نور مادمت تستره، فإذا أظهر ذهب نوره.
- اجعل الصبر زادك، والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك.
- مَن تعلق بوعد الأماني، لم يفارق التواني.
- لا تعمَ عن نقصان نفسك؛ فتطغى.
- مَن تزين بزائل فهو مغرور.
- مَن عرف نفسه، لم يغتر بثناء الناس عليه.
- فِرَّ من الشرف، يتبعك الشرف.
- من وضع الحكمة في غير أهلها فقد ظلمها.

(الحديقة- لمحب الدين الخطيب رحمه الله)

هذه عبرة.. فهل من معتبر؟!

قال ابن الجوزي- رحمه الله تعالى: «قال أحد الزاهدين: الدنيا والدة للموت، ناقضة للمبرم، مرتجعة للعطية، وكل من فيها يجري إلى ما لا يدري، وكلّ مستقر فيها غير راضٍ بها، وذلك دليل على أنها ليست بدار قرار».

(المصدر: آداب الحسن البصري- لابن الجوزي- ١/ ٧١).

وصية القائد المحاصر

هذه وصية أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه للمسلمين قبل استشهاده، عندما حاصره الخارجون عليه، قال فيها: «أما بعد، فإن الله رضي لكم السمع والطاعة، وجنبكم الفرقة والمعصية والاختلاف، ونبأكم بما قد فعله الذين من قبلكم.. فاقبلوا نصيحة الله، واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف، لا يكون لها رأس يجمعها، ومتى تفعلوا ذلك.. يسلط عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرم بعض، ومن يفعل ذلك لا يقم دينه وتكونوا شيعًا، وقد قال الله لرسوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾(الأنعام: ١٥٩).

(إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء)

أكمل الناس هداية

قال العلامة ابن القيم- رحمه الله تعالى: «أكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا.

فمن جاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد».

قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنًا، فمن نصر عليها نصر على عدوه، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه.

(الفوائد- لابن القيم- ص: ٥٦)

ليس في العلم شيء خفيف

سئل الإمام مالك عن مسألة، فقال: لا أدري.
فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير- وكان السائل ذا قدر- فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة، ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥)
(ترتيب المدارك وتقريب المسالك: ١/ ٧٢).

بلاغة العرب

قال أبوحيان التوحيدي: قلت لأبي سليمان المنطقي: هل بلاغة أحسن من بلاغة العرب؟
فقال: ...على ما ظهر لنا وخيل إلينا.. لم نجد لغة كالعربية، وذلك لأنها أوسع مناهج، وألطف مخارج، وأغلى مدارج، وحروفها أتم، وأسماؤها أعظم، ومعانيها أوغل، ومعاريضها أشمل. ولها هذا النحو الذي حِصَّته منها حصة المنطق من العقل.
وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا، وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس، وعلى ما ترجم لنا أيضا من ذلك.
(الحديقة- لمحب الدين الخطيب رحمه الله)

خاطب الدنيا

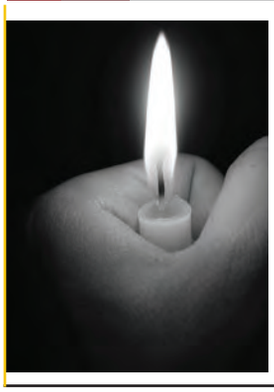

قال بهلول بن عمرو:
يا خاطب الدنيا إلى نفسه
تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غـدارة
قريبة العرس من المأتم
(عقلاء المجانين- للحسن بن محمد بن حبيب)

أنواع التصنيف في الحديث

١- الجوامع: وفيها يقوم المؤلف بجمع الحديث في جميع الأبواب من فقه وعقيدة ومعاملات وسيرة وغيرها كالجامع الصحيح للبخاري.
٢- المسانيد: وفيها يقوم المؤلف بجمع مرويات كل صحابي على حدة، كمسند الإمام أحمد.
٣- السنن: وفيها يقوم المؤلف بجمع الأحاديث على أبواب الفقه مثل سنن النسائي.
٤- المعاجم: وفيها يقوم المؤلف بجمع الأحاديث مرتبة على أسماء شيوخه على ترتيب حروف الهجاء، مثل المعاجم الثلاثة للطبراني (الأكبر والأوسط والأصغر).
٥- العلل: وهي الكتب المشتملة على الأحاديث المعلولة مع بيان عللها.
٦- الأجزاء: والجزء كتاب صغير جمع فيه مؤلفه مرويات راوٍ واحدٍ، أو جمع فيه ما يتعلق بموضوع واحد، مثل جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري.
٧- المستدركات: وفيها يقوم المؤلف بجمع الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاتته على شرطه، مثل المستدرك على الصحيحين.
٨- المستخرجات: وفيها يقوم المؤلف بتخريج أحاديث غيره من المؤلفين بأسانيد لنفسه من غير طريق المؤلف الأول.

التسامح... مطلب إنساني

حسن بن محمد
كاتب تونسي

جاء الإسلام شاملًا لكل معاني القيم الإنسانية والحضارية السامية وفي طليعتها التسامح، والذي كان من أبرز أخلاق الرسول محمد ﷺ حتى سميت رسالته بالحنيفية السمحة، ولقد قال ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة»(رواه أحمد)، ولم ينفك القرآن الكريم عن الدعوة إلى التسامح والتراحم ونبذ العنف والبغض من أجل تحقيق التواصل الثقافي بين الشعوب والأمم، والمتأمل في المبادئ التي قررتها الآيات القرآنية لحرية التدين لا يسعه إلا الاعتراف بأنها مبادئ للتسامح الديني في أبعد قيمه وأعمق معانيه، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة: ٢٥٦)، وبذلك شرع احترام معتقدات الأفراد والجماعات، وحض على تقدير ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية، وهذه قيمة التسامح في أعلى تجلياتها.

ولقد قام الرسول ﷺ بتجسيد معاني السماحة التي أسسها القرآن على البر والقسط فحوَّلها من مجرد قيمة نظرية إلى مفهوم عملي لازم حياته الشريفة في جميع مراحلها، حيث دعا إلى إشاعة السماحة والسلام بين المسلمين وغيرهم من الأمم، واعتبر ذلك من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، ومن مظاهر سماحته ﷺ عدم دعائه بالهلاك والدمار على المشركين أثناء هجرته إلى الطائف، على الرغم من أنهم كذبوه وآذوه حتى أدموا قدميه الشريفتين، وأغروا به سفهاءهم وطردوه من مدينتهم، وعلى الرغم من أن ساعة الانتقام آنت بين يديه وصار ملك الجبال تحت إمرته وتصرفه ينتظر منه الأمر بإطباق الأخشبين على المشركين، لكن خلق السماحة القرآني الذي تشبع به النبي الكريم ﷺ ونهل منه حتى ارتوى دفعه إلى الاعتذار إلى ملك الجبال، وقال قولته الشهيرة: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولايشرك به شيئا» (متفق عليه).

غير أن الوضع الإنساني المعاصر أصبح محكومًا في جانب كبير منه بالنزاع والحروب والصراعات، وخاصة في المجتمعات المتعددة الثقافات، والتي تحفل بالاختلاف في أنماط المعيشة والتفكير وتنوع كبير في الآراء والمعتقدات، فسادت في مجتمعاتنا ثقافة إقصائية كرست أحادية الرأي والتفكير التي تبعث على الكراهية وممارسة التمييز والنظرة الدونية إلى الآخر وإثارة الأحقاد والضغائن بين أفراد الوطن الواحد فتفجرت الصراعات لمجرد اختلاف الآراء والتوجهات.

إن التسامح ليس قيمة أخلاقية مجردة ومطلقة، وليس خارجًا عن سياق التطور التاريخي الاجتماعي، وإنما هو نتاج تشكيلة اجتماعية وثقافية وتاريخية، وهو يعكس قدرة المرء على التعايش مع عقائد وعادات الآخرين، وهو ضروري إلى التفاهم والاتفاق حول المسائل الخلافية ووجهات النظر المتباينة والمصالح المتعارضة دون اللجوء إلى القسوة أو العنف أو الإقصاء.

إن الدعوة إلى ثقافة الحوار بين الأفراد والجماعات، وأصحاب الديانات المختلفة تمكن من تحقيق التواصل والتعاون والاحترام المتبادل تحت ظل المشتركات الوطنية والصالح العام وما يعكسه ذلك من نتائج إيجابية في تحقيق السلم الأهلي والتعايش المجتمعي والأمن العالمي.